تراث معاني القرآن في العربية

الجزء الثاني

دراسة صوتية

تأليف الدكتور

منير جمعة

بلنسية للنشر والتوزيع

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

معاني القرآن (أو فراء) في التراث العربي

تأليف الدكتور

منير جمعة أحمد

مدرس العلوم اللغوية بآداب المنوفية

بلنسية للنشر والتوزيع

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بطاقة الفهرسة

جمعة ، منير .
معاني القرآن في التراث العربي/منير جمعة .
ط١ - القاهرة : بلنسيه للنشر والتوزيع / ٢٠٠٦.
٣٢٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
تدمك : ٥ - ٠٢ - ٦١٩٢ - ٩٧٧
١ـ اللغة العربية - النحو
٢ـ التراث العربي ٣ـ فقه اللغة
أ ـ العنوان
ديوي ٤١٥,١

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية 2462 / 2006
الترقيم الدولي : I.S.B.N 977-6192-02-5

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٦ م. لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو الكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه . ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر .

بلنسية للنشر والتوزيع

٨ ش جمال حمدان - خلف عمارات المقاولون العرب - آخر شارع مصطفى النحاس - الحى الثامن - مدينة نصر

تليفاكس : ٠٠٢٠٢٩٢٨٨١٢٩
محمول : ٠١٢٤٣٩١٧٤٢

ص . ب : ١١٧٤٦٠
برقياً : الحى الثامن - م.نصر
القاهرة - مصر

BALANCIA
BUPLISHERS
Cairo - Egypt

Tel-Fax : 002029288129
Mob : 0124391742
P.O.Box : 117460

E-Mail :
anagmyy@yahoo.com
Web Location :
http://www. balancia.com

الصف والإخراج الفني / المخرج أفنيك لخدمات الكمبيوتر

مطابع الولاء الحديثة
تليفون : ٠٤٨/٢٢٣٥٩٠١

إهداء

إلى أحبة اختطفوا بُضعة من مهجتي ، ورحلوا :

- الدكتور / ابراهيم الادكاوي
- الدكتور / محمد رأفت سعيد
- الحـــاج / مجاهد الشاذلي
- الدكتور / حسين الدرج
- العلامـة / إبراهيم محمود
- أختـــي / فاطمة جمعة
- الأسـتاذ / جمال عبد الهادي
- الأستاذ / جمال أبي النيل
- الأستاذ / فوزي عبد المنعم
- الأستاذ / هشام محمد أحمد

وإلى ثلاثة انهدّ بموتهم جبل علم باذخ :

العلامة/ محمود شاكر،العلامة / محمود الطناحي،العلامة / رمضان عبد التواب

مَمَاتُـــكَ لِلــذِّكْرِ الْجَمِيـــلِ خُلُــودُ ... فَحَسْـبُكَ أَنْ تَحْيَـا وَأَنْـتَ فَقِيـدُ
وَحَسْبُ الأُلَى لَمْ يُجْدِهِمْ بَعْدَكَ الأَسَى ... دُنُـوُّكَ بِالــذِّكْرَى وَأَنْـتَ بَعِيــدُ
وَقَفْتَ عَلَى الْفُصْحَى حَيَاتَــكَ يَافِعًــا ... وَكَهْلاً وَشَيْخًا وَالطُّـرُوسُ شُـهُودُ
وَكَمْ رُحْتَ تَسْتَقْرِي الـدَّقَائِقَ بَاحِثًــا ... وَجهْدُكَ فِـي اسْـتِقْرَائِهِنَّ جَهِيــدُ
وَأَفْنَيْتَ فِي التَّحْقِيــقِ عُمْـرَكَ كُلَّــهُ ... وَقَوْلُكَ فَصْلٌ فِي الجِـدَالِ سَـدِيدُ

وإلى إخواني حبات القلوب الذين نتذكرهم عند كل غروب

شُكرٌ وَتقدِير

إلى البروفيسور الكبير

تيلمان ناجل

الذي أشعرني أن العلم رَحِم بين أهله

المقدمة

الحمد لله الحنان المنان ، الواحد الديان ؛ حمدًا يليق بجلال وجهه ، وعظيم سلطانه . أحمدك ربنا حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيءٍ بعد ، وأصلي وأسلم على إمام المتقين وسيد المرسلين ، أكرم الناس خلقا ، وأفصحهم منطقا ، وبعد ،

فمن نافلة القول أن الأمم ما عاشت لهم لغتهم عاشوا على موصولة تردّهم إلى غابر ، وتجمعهم على حاضر ، وتربطهم بمستقبل .

ولست أضيف جديدًا حين أقرر أن كثيرا من لغات العالم القديم ، فقدت خصائصها ، وانمحت معالمها ، إلى حدٍّ قطع صلتها بالحياة ، بعد أن صارت اليوم بخلاف ما كانت عليه بالأمس ، لكنّ لغتنا العربية الطارفة التالدة كانت بنَجوةٍ من هذا الشَرَك ، بما ربط الله به بينها وبين كتابه المعجز الحكيم من روابط الخلود ، فإذا لغتنا اليوم . عربية القرآن والحديث والشعر والبحث – هي هي ، عند المُلِمِّ بالهيّن من قواعدها وخصائصها ؛ بينما غيرها يكاد يُطوى ولا يُروى .

ولما كان القرآن الكريم . ولا يزال . قطب رحى العربية الشامخ ، وعمود فقارها الراسخ ؛ فقد دارت حوله دراسات ، تعددت مشاربها ، واختلفت مناهجها ، تغيّت . في مجملها . الإبانة عن مراد كلام الله ، فهي تبحث عن المعنى بوجه من الوجوه .

ونتج من هذه الحركة . التي قدر لها أن تمتّد ولا ترتدّ ، وأن تتوسّع ولا تتقوقع . تراث باذخ فى علوم شتى ، فمنه ما يتعلق بالقراءات والتجويد ، ومنه ما يتعلق بالفقه والأحكام ، ومنه ما يتعلق بالبلاغة ، ومنه ما يتعلق بالتفسير .

وقد كان من جميل صنع الله لي ، و توفيقه إياي أن شغلني بهذا التراث الشريف حينًا من الدهر ، حين قمت بدراسة (تراث غريب القرآن فى العربية) دراسة لغوية ، فى مرحلة الماجستير ، فعشت مع أعلام كبارٍ ، أحاول أن أميط اللثام عن جهودهم الجبارة فى خدمة النص القرآني .

وأيقنت ـ وليس الخبر كالعيان ـ أن الانشغال بالتراث ليس حرثًا فى البحر ، كما يرى نفرٌ مهازيل ، ممن عَشِيت أبصارهم عن رؤية الصبح الأبلج ، وإنما هو موقف حضاريٌّ ليس لنا إلاّ أن نعتصم به فى مواجهة حركة التذويب والتغريب ، وإلاّ كنا كما قال الشاعر : [الطويل]

كمُرضعةٍ أولادَ أخرى وضيّعت بنيها فلم تَرْقَعْ بذلك مَرْقَعا

والمنشغلون بالتراث عالمون . بيقين . ما فيه من جواهر وذخائر ، لو كانت لأمةٍ أخرى لصدّعت رءوس الناس أبد الدهر عُجبا وفخرا .

غير أنه من نكد الطالع أن أمتنا بليت – فى جملة ما بليت – بأناسٍ يزعمون الثقافة ويدّعون العلم ، يرددون ليل نهار أنه لابد لنا إن أردنا الوثوب من رقدتنا ، والخروج عن خيبتنا . من القطيعة المعرفية مع التراث ، ودفن الماضى بكل ما فيه إلى الأبد ، لنبدأ من واقعنا وحاضرنا .

وبهذا عُكّر جوٌّ ، وتغيّر مَناخٌ ، ما أكثر ما كان . قبلُ . جوٌّ تواصل وانتفاع مع السابقين العظماء .

وحقيق بالذكر أن بعض جامعاتنا (العريقة) لا ترى فى تحقيق التراث ، أو الانشغال باستخراج كنوزه عملاً علميا ، يستحق صاحبه درجة أو وظيفة .

ووصل الحال إلى أن كثيرًا من خريجى الجامعة المتخصصين لا يستطيع أن يقرأ كتابًا تراثيًا فضلا عن أن يفهمه : لأن المنهج العلمى الحداثى الذى

يجعل الدراسات الغربية المثل المؤتم يحول بينه وبين التراث ، ويضرب بينهما بسور له باب:

سوفَ نرى إذا انجلى الغبارُ ... أفرسٌ تحتــــك أم حمــــارُ

هل أقول إن جريمة من أخطر الجرائم ترتكب في حق التراث واللغة والدين ؟ جعلت نفرا إذا مرّ حديث التراث بأسماعهم تلبستهم حالة أبان عنها أحكم الحاكمين ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر ٣٩/ ٤٥) إن الحديث ذو شجون ، والمناسبة تجرني جرا إلى صرخةٍ أرجو ألا تكون في واد !

وأرى من النَّصَفَةِ ـ وقد عايشت الغربيين سنوات ثلاثاً . الإشارةُ إلى أن أكثرهم عامل ناصبٌ ، مُستغرَق الذهن فيما يخدم قضية العلم بصفة عامة ، وما يخدم أمته وتراثها بصفةٍ خاصة . فليتنا سايرناهم في هذا ، ونقلنا ذلك عنهم إلى جامعاتنا ومراكزنا البحثية ؛ نسخا لهذه التبعية المقيتة !

وحِذارَ الوقوع في المحذور؛ أُلمع أنني لست أزعم أن لي بتراثنا الجليل صلةً واشجة ، فالمتلبس بما لم يعط كلابس ثوبي زور ، وكل ما أزعمه أني ارتكبت هواه ، فلي به ولهٌ ، يتأبّى على التقلب والحُئول ، ولي عليه غيرة أَعُدُّها دِينا ، ألقى الله عليه .

وخلّ عنك هذا الحديث ، وما فيه من بث وأسف . فالأمر كما قال الشاعر : [الطويل]

ولو كان همّا واحدًا لاحتملتُه ... ولكنه همٌّ وثــانٍ وثالــثُ

مآل المسألة ، إذن ، إلى القناعة التي لا يصدها صادّ أن التراث بمجالاته الرحبة لا يزال صالحا للبحث والدرس ؛ ولذا قررت أن أظل قابعا في عُدْوَة المرابطين الذائدين عن حياضه، وتعاورتني رغبة في استكمال ما بدأت في مرحلة الماجستير ، وآجاءني ذلك إلى تتبع حركة التأليف في التراث العربي ، ذلك

التتبع الذي قادني إلى أن هناك اتجاها في التصنيف له موائز خاصة ، تَمَثَّلَ في تلك الكتب التي سميت (معاني القرآن) وهي كتب آخذة من اللغة بطرَف ، ومن التفسير بطرَف ، ولكن أحدا لم يحاول التعرف على مسار حركتها ، وإدراك العلائق بين مصنفاتها .

ومما حرضني على الاهتمام بهذا الموضوع أن كثيرا من الباحثين لا يفرقون بين (غريب القرآن) و(معاني القرآن) ويخلطون بينهما خلطا لمّا ، بل رُبَما يخلطون بين هذين المصطلحين ومصطلحات أُخر ، من مثل : (تأويل المشكل) ، و (التفسير) ، و(الإعراب) !

كما بدهني ما تحويه كتب معاني القرآن من درس لغوي راقٍ ، يعد بحق بواكير دراسة المعنى دراسة مستوعبة في تراثنا العربي كله ، ذلك أنها لا تقتصر على مجرد ذكر المعنى المعجمي الذي يراه المصنف ، وإنما تقوم بتحليل النص القرآني تحليلا عميقا شاملا . في الغالب . بما يصلح معه القول بأنها صارت مجالا فسيحا لرصد التغيرات المعقدة التي تناهبت اللسان العربي بنُظمه الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، بل إنها لم تغفل التحولات التي تطرأ على معنى المفردة أو التركيب أحيانا بسبب سطوة السياق ؛ فقد عُنيَ كثير من أصحاب تلك الكتب بالكشف عن المعاني السياقية المتولدة عن المعاني الأصلية لبعض الصيغ .

وهي إلى جنب ذلك تنطلق إلى جمع طائفة ليست قليلة من القراءات القرآنية ، متواترة وغير متواترة ، والقراءات . في حقيقتها . مرآة للهجات العربية [١]، مما يجعل من تلك الكتب مستودعا أمينا ، ومنبعا ثرًا لمن يريد دراسة اللهجات دراسة مستوعِبة .

بهذا يَضَحُ ـ كما أشرت آنفا ـ أن هذه الكتب لم تدرس من قبل ، في

---

(١) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٢٠٤ .

إطار يجمع خالفها بسالفها ، على مر الدهور ، ويقيم منها منظومة متناغمة للدراسة اللغوية الشاملة ، ولعل مردّ ذلك لأمرين :

الأول : أن أحدا من محققي هذه الكتب أنفسهم لم يُعَنِّ نفسه بتحرير مصطلح (معاني القرآن) تحريرا دقيقا ، مع أن هذا المصطلح هو عنوان الكتاب ، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

والثاني : أن كثيرا من هذه الكتب الماتعة لا يزال مخطوطا إلى اليوم ، مما حجبها عن الدرس اللساني ؛ لقلة من ردّاهم الله لَبوسَ الصبر على قراءة المخطوطات فضلا عن البحث عنها !

وأستطيع القول - بكلمة موجزة - إن كتب معاني القرآن كنوز لغوية ، لا تزال مركوزة ، ويمكن لها - حين يَخبُرها الناس - أن تضرب بسهمها في حل كثير من معضلات الدرس اللغوي الحديث ، وأن تضيء كثيرا من المواطن الداجية في تاريخ العربية ، ذلك التاريخ الذي يرى بعضهم . بعد مرور أكثر من نصف قرن على محاولات درسه وفهمه . أنه من أشد تواريخ الألسنة البشرية غموضا ، حتى ليكاد يكون بلا تاريخ[1] .

ولعل ما يضاعف أهمية تلك الكتب . بالإضافة إلى منهجها . مكانة مصنفيها السامقة فهم أئمة أئمتنا ، وبعضهم من رءوس المدارس اللغوية الكبرى التي ظهرت على مدار التاريخ .

فمَن أَوْلى من الأخفش والفراء والزجاج والنحاس والأزهري والفارسي وأشباههم بإمامة الدرس اللغوي القرآني وتحليله ، والكتابة في معاني القرآن ؟ إن كل واحد منهم أمة وحده

وحسبك أن تتأمل ما قاله ثمامة النميري حين رأى الفراء لأول مرة : " رأيت أُبَّهة أديب ، فجلست إليه ، ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا ، وفاتشته عن

---

(١) راجع في هذه القضية مقدمة الدكتور سعد مصلوح لـ (معجم القراءات) .

النحو فشاهدته نسيجَ وحْدِه، وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم ، وبالنجوم ماهرا ، وبالطب خبيرا ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا، فقلت له : من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء افقال : أنا هو"[1] . هذا هو الفراء فما ظنك بكتابه . الذي يرى بعض الباحثين أنه كتاب الكوفيين الأول والأخير ، فليس للكوفيين كتاب آخر سواه[2] . كيف تكون أهميته إذن؟

وأنت خبيرٌ أن الفراء في مكانته هذه ليس فردا فاذًّا ، فكثير من أهل المعاني على منواله فانسج ، فإنما الأمثلة دوالٌّ هوادٍ لنا في تلمُّس مرتبة هؤلاء في اللغة ، ولا تعدو كونها كذلك :

فلا تَحْسَبَنْ هندًا لها الغدرُ وَحْدَها سجيَّةُ نفسٍ كلُّ غانيةٍ هندُ

ولئن كان أمر اختيار هذا الموضوع لدراسة واحدة أمرا وعرا ، فإن مجموعة أخرى متضافرة من العقبات كادت تصرفني عنه ، لولا بقية من اعتصام بالله سبحانه وتعالى جعلتني أَرْكل التردّدَ .

وتمثلتْ أولى تلك العقبات في سعة مادة الدراسة ، من ناحية الزمان والمكان ، فهي تشمل تراث المعاني كله من بدء ظهوره إلى يومنا هذا ؛ فهكذا جاء العنوان (تراث معاني القرآن في العربية : دراسة صوتية دلالية) .

ولم يقتصر هذا التراث على المطبوع فقط ، بل كان كثير منه مخطوطا شتيتا لم تمتد إليه يد البحث من قبل .

والعجيب أني عانيت من كلا النوعين معا ! أما **المطبوع** ، فأكثره غير محقق تحقيقا علميا يريح الناظرين فيه ، بل إن بعضه لا يقيم النص إقامة

---

(١) وفيات الأعيان (د. إحسان عباس) ٦/ ١٧٦.

(٢) انظر كتاب (المدارس النحوية بين الواقع والأسطورة) ، للدكتور إبراهيم السامرائي، إذ يرى أن كلمة (مدرسة) واسعة جدا على النحو الكوفي ؛ لأنه لا يمثله في التاريخ إلا كتاب واحد ، هو (معاني القرآن) للفراء ، راجع القضية في الفصل الأول من هذا الكتاب .

صحيحة ، فضلاً عن عدم تخريجه للنصوص في كثير من الأحيان ، مما جعلني أرتدي مسوح المحققين مكرها لا باطلاً !

أما **المخطوط** ، فقد كان أمره يمثل الطامة الكبرى للبحث ، إذ كيف يمكن جمعه من مكتبات العالم ؟ وكم يستغرق هذا من الوقت ؟ وكم يتطلب من المال ؟ وأنا امرؤ باحث قليل الحيلة، وأمري لا يخرج عن قول العرب : (حالي حويلٌ ، ومالي مويلٌ). كأكثر الباحثين في بلداننا النزيفة .

وقرّ رأيي على أن أبْرِدَ لتلك المكتبات من أجل تصوير هذه المخطوطات ، ولكن الأمر انتهى إلى قول الشاعر : [الطويل]

أَهَبْتُ فعادَ الصوتُ لم يقضِ حاجةً ... إليَّ ولبَّاني الصدى وهْو طائعُ

فكان لابد مما ليس منه بد ، فسافرت . بمباركة من أستاذي العلامة الدكتور رمضان عبد التواب برد الله مضجعه . إلى ألمانيا ، لجمع المادة العلمية ، ونجحت بفضل الله تعالى ، ثم بمعاونة أستاذي هناك الدكتور تيلمان ناجل رئيس قسم اللغة العربية بجامعة جوتنجن، في الظفر بما سعيت من أجله ، وربحت فوق ذلك خبرة بالحياة الأوربية ، ومناهج البحث اللغوي هناك ، كما ظفرت ببعض المراجع الأجنبية ، وصدق من قال :

الغَمَراتِ ثُمَّ يَنجَلينا.

وأطلّت معاناة أخرى ، تجسدت في قراءة هذه المخطوطات قراءة دقيقة ، لأستنبط منها استنباطات صحيحة ، ويا لها من محنة في ظل غياب الخبير المتمرس من جهة ، وصدمة فقدان الموجِّه العلامة الدكتور رمضان عبد التواب في بداية الطريق من جهة أخرى .

ومع تشعب مادة الدراسة وسَعتها كان لابد من العودة إلى جمهرة ضخمة من المراجع في أوجه الدرس اللغوي المتنوعة من القديم والحديث ، على حد سواء .

وطال وقت البحث ، وأنا أتمثل قول ابن الرومي : [البسيط]

نارُ الرّوِيّة نارٌ جِدّ مُنضِجَةٌ   وللبديهة نارٌ ذاتُ تلويحِ
وقد يُفضِّلُها قومٌ لعاجلِها   لكنّه عاجلٌ يَمضي مع الريحِ[1]

الدراسات السابقة :

لم تكن كتب المعاني غرضا إلا لدراسات ضيقة محدودة ، تتعلق بشخصية واحدة . في الغالب . أو شخصيتين من أهل المعاني ، ومنها :

١- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، للدكتور أحمد مكي الأنصاري ، طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ، ١٩٦٢م.

٢- المباحث اللغوية في (معاني القرآن) للفراء ، للباحث نعيم مصطفي يحيي شرف ، رسالة ماجستير ، في كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٩١م.

٣- الظواهر اللغوية في كتاب (معاني القرآن) للأخفش ، للباحث صبري محمد محمود القلش ، رسالة ماجستير ، في كلية اللغة العربية بالقاهرة ،١٩٩٠م.

٤- الظواهر اللغوية في كتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج ، للباحث مسلم عبد الفتاح حسن ، رسالة ماجستير ، في كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٩١م.

٥- العربية والنص القرآني ، للدكتور عيسى شحاتة عيسى ، دار قباء بالقاهرة ، ٢٠٠١م وهذا الكتاب في أصله رسالة دكتوراه للباحث، بكلية الآداب ، جامعة المنيا .

ويتبين من هذا العرض للدراسات السابقة أنها اقتصرت على شخصية واحدة في الغالب ، باستثناء الكتاب الأخير ، فقد جمع بين الأخفش والفراء ، وأضاف إليهما أبا عبيدة صاحب المجاز المشهور ، والسمة الغالبة على هذه الكتب

---

(١) ديوان ابن الرومي ق ٤٢٢ / ١ـ ٢ صـ ٥٦٧

أنها ليست مخلَصة للدراسة الصوتية والدلالية ، وإنما تتناول سائر الدراسة اللغوية : ولذا توزع جهد الباحثين فيها، فجاء تناولهم للدراسة الصوتية والدلالية قاصرا ، حيث لم يتناولوا في الدراسة الصوتية موضوعي المماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية على سبيل المثال ، كما أنهم قصروا الدراسة الدلالية على دراسة الألفاظ من دون التراكيب . مع أن تناول التراكيب أبرز ما في كتب المعاني . باستثناء الكتاب الأخير الذي تناول دراسة التراكيب ، ولكن بطريقة عجلى ، وغير متعمقة .

وقد توزعت الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

أما **المقدمة** ، فقد تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة فيه.

وأما **التمهيد** فقد تضمن أربعة مباحث :

الأول : تحرير المصطلحات .

والثاني : حصر تراث معاني القرآن في العربية .

والثالث : بين معاني القرآن وكتب أخرى مشابهة .

الرابع : دواعي التأليف في معاني القرآن وبداياته.

أما **الباب الأول** : (مناهج المصنفين في معاني القرآن) ويتضمن أربعة فصول :

الأول : كتب خالصة في المعاني .

والثاني :كتب تجمع بين المعاني وغيرها .

والثالث : كتب واهية الصلة بالمعاني .

والرابع: كتب في التفسير تحمل اسم المعاني .

وأما **الباب الثاني** : (الظواهر الصوتية في كتب المعاني) فيتضمن ثلاثة فصول :

الأول : المخالفة الصوتية والإبدال ،

والثاني : المماثلة الصوتية والإدغام ،

والثالث : السمات التحبيرية .

أما **الباب الثالث** : (دلالة الألفاظ عند أهل المعاني) ويشمل أربعة فصول :

الأول : الترادف ، والثاني المشترك اللفظي .

والثالث : الأضداد ، والرابع المعرب .

أما **الباب الرابع** : (دلالة التراكيب عند أهل المعاني) فيشمل أ ربعة فصول :

الأول : معاني الحروف .

والثاني :(ظواهر أسلوبية عند أهل المعاني) .

والثالث : تجليات تعدد المعنى .

والرابع : المعاني السياقية للصيغ الإنشائية .

ثم **الخاتمة وأهم النتائج** .

ثم **الفهارس** .

وبعد : فإني أسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا البحث كقطرة في بحر خدمة القرآن الكريم، وأن يثبتني في خندق حراسة العربية ما حييت ، وأن يعفو بكرمه عن تقصيري وزلتي إنه ولي ذلك و القادر عليه ، وبه وحده تُستدفع البلايا .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

كتبه

مُنير جُمعة أحمد

مدرس العلوم اللغوية بقسم اللغة العربية

بآداب المنوفية

فجر الثاني عشر من صفر عام ستة وعشرين وأربعمائة وألف

من هجرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم

الموافق الثاني والعشرين من شهر مارس عام ألفين وخمسة للميلاد

التمهيد

ويتضمن مباحث أربعة

المبحث الأوّل — تحديد المصطلحات

المبحث الثاني — حصر تراث معاني القرآن في العربية

المبحث الثالث — بين معاني القرآن وكتب أخرى مشابهة

المبحث الرابع — دواعي التأليف في معاني القرآن وبداياته

المبحث الأول
تحديد المصطلحات

العنوان سمة العمل الفني أو الأدبي الأولى ، من حيث إنه يضم النص الواسع في حالة اختزال وكمون كبيرين ، ويختزن فيه بنيته أو دلالته أو كليهما في آن ، وقد يضم العنوان الهدف من العمل ذاته ، أو خاتمة القصة وحل العقد فيها [1] .

وإذا كان هذا يصدق على العمل الفني والأدبي ، فإن انطباقه على الأعمال العلمية – والبحوث اللغوية جزء منها – أولى بسبب الدقة المفترضة في مثل هذا النوع من الأعمال.

ولذا فإنه من الأهمية بمكان أن أستهل هذه الدراسة بتحديد مفهوم كل مصطلح من المصطلحات التي وردت في عنوانها :

(تراث معاني القرآن في العربية ، دراسة صوتية دلالية)

فإن ذلك من شأنه أن يرفع الالتباس المحتمل في فهمها ، ويريح القارئ من عناء الحدس والتخمين ، كما أرى أنه من المهم أن أبيّن المنهج الذي سأتبعه فيها .

أولاً : التراث :

هذه مفردة قرآنية ، وردت في قوله تعالى : ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ (الفجر ١٩/٨٩) وقد قال الزجاج في أصل اشتقاقها : " والتراث أصله

(١) سيمياء العنوان ٣٩ .

الوراث ، من ورثت ، ولكنّ التاء تبدل من الواو إذا كانت مضمومة ، نحو : تراث ، وأصله وُراث ، ونحو : تُجاه ، وأصله وُجاه ، من واجهت"[1] .

ويزيد ابن فارس معنى هذه اللفظة وضوحًا فيقول[2] : " الواو والراء والثاء : كلمة واحدة ، هي الوِرثُ والميراث ، أصله الواو ، وهو : أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين، بنسبٍ أو سببٍ ، قال : [من الوافر]

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَنِينَا[3]

إذن فالتراث في اللغة من مادة (ورث) ، ومعناها : الميراث ، والوِرْثُ ، وهو تركة الميت وبعبارة اللسان : " ما يخلفه الرجل لورثته "[4] .

ويمكن أن نقول : إن التراث هو ما يْخلفه الشخص بعد موته من آثار نافعة أو ضارة ، مادية كانت أو أدبية أو علمية أو لغوية ... الخ ، وبهذا المعنى جاءت الكلمة في شعرٍ للشريف الرضي ، يرثي فيه الصاحب بن عبّاد ، وينعى على حكام عصره ما فعلوه ، بمحاولة نهب تركته[5]: [من الكامل]

طَلَبُوا التُّرَاثَ فَلَمْ يَرَوْا مِنْ بَعْدِه إِلاَّ عُلاً وَفَضَائِلاً وَجَلالاَ
هَيْهَاتَ فَاتَهُمُ تُرَاثُ مُخَاطِرٍ حَفِظَ الثَّنَاءَ وَضَيَّعَ الأَمْوَالاَ

ومن هنا جاء مصطلح (**كتب التراث**) أي ما خلّفه لنا الراحلون من آثار في شتي المجالات.

وبناء على ذلك فإني أردت بمصطلح (**التراث**) في العنوان : كُتب (معاني القرآن) التي رحل أصحابها عن هذه الدنيا ، وخلّفوها ميراثًا لمن بعدهم .

---

(١) معاني الزجاج ٥ / ٣٢٣ .

(٣) مقاييس اللغة (ورث) ٦ / ١٠٥ .

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته الشهيرة ، في ديوانه (تحقيق أيمن ميدان) ق ٣٥/٨١ ص ٣٤٢.

(٤) اللسان ورث ٢٠١/٢ دار صادر .

(٥) ديوان الشريف الرضي ١٨٧/٢ ، وانظر الشريف الرضي حياته ودراسة شعره ١٨٩/١ .

أما تلك الكتب التي مازال أصحابها على قيد الحياة . متعهم الله بالصحة والعافية . فلا تعد تراثًا ، وإن كانت في معاني القرآن ، فإن أصحابها لم يتركوها ميراثًا لمن بعدهم بعد ، وهي قابلة للحذف أو الزيادة ، والتبديل والتغيير ، من قبل مؤلفيها ، فكم من مؤلفات بدا لأصحابها بداءٌ ، فتراجعوا عنها . وكم من أفكار تبرأ أصحابها منها ! ، ولذا فإن تلك المصنفات لا تدخل في نطاق هذه الدراسة [1] .

ثانياً : معاني القرآن :

هذا المصطلح ، الذي ورد في العنوان ، مركّبٌ تركيبًا إضافيًّا من مفردتين ، ويحسن بي أن أحدد مفهوم كل منهما على حدةٍ ، ثم أتناولهما معًا كمصطلح خاص .

أ) المعاني :

قال ابن منظور : " عنيت بالقول كذا : أردت ، ومعنى كل كلام ومَعْناته ومَعْنِيَّته : مَقْصِده " [2]

وقال ابن فارس : " والذي يدل عليه قياس اللغة أن المعنى هو القصد الذي يبرز ، ويظهر في الشيء إذا بُحث عنه ، يقال : هذا معنى الكلام . ومعنى الشعر : أي الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ . والدليل على القياس قول العرب : لم تَعْنِ الأرض شيئًا ، ولم تَعْنُ أيضًا ، وذلك إذا لم تُنبتْ : فكأنها إذا

---

(١) ومن هذه المصنفات التي لا يزال أصحابها أحياء – مد الله في أعمارهم – كتاب(التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز) للدكتور وهبة الزحيلي – حفظه الله – نشر دار الفكر بسوريا ١٤١٦هـ ، وكتاب (المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم) لمحمد بسّام رشدي ، نشر الدار نفسها في السنة ذاتها.

(٢) لسان العرب (عنا) ١٥ / ١٠٦ دار صادر .

كانت كذا فإنها لم تُفِد شيئًا ، ولم تُبرز خيرًا " [1]

" وقال قوم : اشتقاق المعنى من الإظهار ، يقال عنت القِرْبة إذا لم تحفظ الماء ، بل أظهرته ، وعنوان الكتاب من هذا ... فإن المراد بالمعنى الشيء الذي يفيده اللفظ " [2].

ونستطيع أن نقول : إن مفهوم المعنى لغة يدور حول : الغاية من الكلام ، والهدف المقصود من التركيب ، وإيصال المراد إلى المخاطب .

ب) القرآن :

يتعذّر تحديد القرآن الكريم بالتعريف المنطقي المعهود ، ولذا اختلف العلماء في تعريفه اختلافًا كبيرًا ؛ لأن بعضهم نظر إليه من زاويةٍ تختلف عن الزاوية التي ينظر فيها غيرهم ؛ فأما من ناحية أصل اشتقاق كلمة (**قرآن**) في اللغة ، فهناك أقوال كثيرة أقواها اثنان :

الأول : أن يكون مصدرًا من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا ، وهو معنى واضح ، ولذا ذهب إليه كثير من العلماء ، وقالوا في تفسير آية: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ أي : قراءته . (القيامة ٧٥ / ١٧)

الثاني : أن يكون بمعنى الجمع والضم ، وقد نصّت عليه بعض المعاجم اللغوية أيضًا ، وقد نسبه الطبري إلى قتادة ، فقال : " ... وأما على قول قتادة ، فإن الواجب أن يكون مصدرًا من قول القائل : قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، كقولك : ما قَرَأَتْ هذه الناقة سلاً قط ، تريد بذلك أنها لم تضم رحما على ولد ... " [3]

---

(١) مقاييس اللغة (عني) ٤ / ١٤٨ – ١٤٩ .

(٢) الصاحبي لابن فارس ٣١٣ – ٣١٤ .

(٣) تفسير الطبري ١ / ٤٣ .

فهذان معنيان صحيحان في اللغة [1] ، وإن كان كثير من العلماء يرجح المعنى الأول [2] ، والجمع غير متعذّر [3] .

التعريف الاصطلاحي للقرآن :

قال عنه الإمام الجرجاني : " القرآن : هو المنزّل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلاً متواترًا بلا شبهة " [4]

أي إن التواتر شرطٌ عند الجرجاني لقبول القراءة ، إلى جانب موافقة خط المصحف العثماني – ولو احتمالاً – وموافقة العربية ولو بوجه .

وقد نسب الإمام المناوي القول باشتراط التواتر للأصوليين إذ يقول : " القرآن عند الأصوليين : اللفظ المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بلا شبهة ، نقلا متواترا " [5] .

ويرى الإمام السيوطي أيضًا : " أن كثيرًا من الأصوليين يذهبون إلى أن التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله ، وليس بشرطٍ في محله ووضعه وترتيبه " [6] .

أما القـرّاء : فأكثرهم يشترطون صحة سند القراءة ، وليس التواتر ، ومن أبرزهم : الإمام مكي بن أبي طالب [7] ، والإمام أبو شامة [8] ، والإمام ابن

---

(١) انظر تهذيب اللغة (قرأ) ١ / ٤١ – ٤٤ ،والصحاح ١ / ٦٥ ،والمعجم الوسيط ٢ /٧٢٢ .

(٢) كالطبري في تفسيره ١/ ٤٢ – ٤٣ ، وابن عطية في تفسيره ١/٧٩ ، وأبي حيان في البحر المحيط ٨/٣٨٧.

(٣) لأن القرآن قراءة ، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض ، والله أعلم .

(٤) التعريفات ١٥٢

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ٢٦٩ .

(٦) الإتقان ١/١٠٣ .

(٧) الإبانة عن معاني القراءات ١٨ .

(٨) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ١٧٧ .

الجزري [1] ، وقد رأى السيوطي أن هذا الرأي " هو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه " [2] ، وفند رأي من اشترط التواتر بقوله : " فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره إذ ما ثبت من أحرف متواترة عن النبي ﷺ وجب قبوله ، وقُطع بكونه قرآنًا ، وافق الرسم أم لا ، وإذا شرطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة " [3] .

غير أنه ينبغي أن نستدرك فنقول : إن صحة السند هنا يُقصد بها ما يُطلق عليه : (المشهور) ، وهو ما صحّ سنده ، وقلّ عن شرط التواتر ؛ فهو مستفيض عن الإمام الذي قرأ به أو اختاره ، مع موافقته الرسم والعربية ، فهو يُقرأ به ، وليس من باب الغلط أو الشذوذ [4] ، ويقابله مصطلح (الآحاد) ، وهو : ما صحّ سنده وخالف الرسم أو العربية [5] .

وعلى هذا فإن الاقتصار في الدراسة على ما كتب في معاني القرآن بقراءة حفص ، تخصيص بغير مخصص ؛ إذْ كلّ قراءة اجتمعت فيها الشروط الثلاثة السابقة (قرآنٌ) عند المسلمين ؛ ولذا فإن كل كتاب يحمل عنوان (**معاني القراءات**) ويغلب عليه تناول القراءات العشر المتواترة ، أو بعضها فهو داخل في نطاق هذه الدراسة ، إلى جوار الكتب التي تحمل عنوان (**معاني القرآن**) سواء بسواء ، فهي وإن كانت تشترك مع سائر كتب توجيه القراءات القرآنية في اقتصارها غالبًا على تناول مواضع اختلاف القراءات ، فإنها تشترك أيضًا مع كتب معاني القرآن في إبراز الدلالات الراجحة لكل قراءة من ناحية ، والتحليل

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٣ (٢) الإتقان ١/١٠٠

(٣) الإتقان ١/١٠١ .

(٤) انظر المرشد الوجيز ١٧٨ ، والإتقان ١/١٠٢ ، والإتحاف ٦ .

(٥) انظر الإتقان ١/١٠٢ .

اللغوي الشامل للوصول لذلك من ناحية أخرى : ولهذا حرص أصحابها على ذكر كلمة (**معاني**) في عنوانات مصنفاتهم ، ولا نكاد نجد فارقًا في التناول بينها وبين سائر كتب معاني القرآن .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المصنفين قصر مصنفه على تناول معاني سورة واحدة من القرآن الكريم ، وهي سورة الفاتحة غالبًا [١] وبعضهم ألّف كتابه في معاني آية واحدة مثل: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة ١/١) .

ومثل هذه المصنفات لا تعتمد المنهج اللغوي في تحليل الآيات غالبًا ، ويستعصي على الباحث حصرها لكثرتها الكاثرة . من ناحية أخرى ؛ لذا فلن تدخل في نطاق هذه الدراسة [٢] .

مفهوم مصطلح (معاني القرآن)

هذا مصطلحٌ خاصٌ ، أُطلق على كثير من المصنّفات قديمًا وحديثًا . ويُعنى به ما يُشكل في القرآن ، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه ، وكان هذا

---

(١) ومن أمثلة هذه الكتب –وهي لا تزال مخطوطة– كتاب (تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني) للتجيبي الإقليشي (ت ٥٥٠ هـ) بعمادة شئون المكتبات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ورقم الحاسب (٤٠٠ / ٢١) ، وكتاب (عين المعاني في تفسير السبع المثاني) لابن طيفور (ت٥٦٠ هـ) بالجامعة الإسلامية أيضًا ،ورقم الحاسب (١٦٨ / ٢١) ، وكتاب (الفوائد اللائحة من معاني الفاتحة) لبدر الدين ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) بالمكتبة نفسها ، رقم الحاسب (٢١/١٨٣) ، وكتاب (جواهر المعاني في تفسير السبع المثاني) لعلاء الدين الشيرازي (ت ٨٦١ هـ) بالمكتبة نفسها ، رقم الحاسب (٥٣٧ / ٢١) ، وكتاب (حل معاني فاتحة الكتاب الشريف) بالمكتبة نفسها ، ورقم الحاسب (١٢٣ / ٢١) .

(٢) ومن أمثلة تلك المصنفات كتاب (الإبانة والتفهيم في معنى بسم الله الرحمن الرحيم) للإمام الزجاج ، وقد قام بنشره وتحقيقه كل من : الدكتور محمد البلاسي عن دار الشروق ، والدكتور عبد الفتاح سليم عن مكتبة الآداب بالقاهرة .

بازاء معاني الآثار ، ومعاني الشعر ، أو أبيات المعاني.[١]

وأكثرُ مَنْ كتب في (**معاني القرآن**) النحويون . ولذا فإن هذه الكتب قد صُبغت بالصبغة النحوية ،إلى حد أن بعضهم يرى أن مصطلح(معاني القرآن) يعني :(أصول النحو في القرآن)[٢] ، وهذا الوصف ـ على ما فيه من مبالغة ـ يلفتنا إلى الاهتمام الواسع بالنحو في هذه المصنفات ، كوسيلة لإبراز المراد من الآية أو التركيب : فهي تقدّم تناولاً من ناحية الإعراب ، والبنية والأصوات ، لتصل إلى الدلالة المستنبطة من الآيات ، فهمُّها الأول إظهار المعنى وبيان المقصد من التركيب القرآني . وهي في سبيلها لذلك ، ربما تتناول المفردات ، وبخاصة الغريب منها ، وربما تضيف شيئًا مما يوجد في كتب التفسير عادة ، مثل أسباب النزول ، وذكر المأثور من التفسير في الآية – إن وجد – ... الخ .

ولعل الذي دعا أصحاب هذه الكتب إلى اختيار هذا العنوان بالذّات : إحساسهم بأن القرآن الكريم له استعمالات دلالية خاصة للألفاظ والتراكيب في بعض المواضع : تختلف أحيانًا عن الدلالات المألوفة، ولذا كانت بحاجة إلى بيان خاص ، ومن أمثلة ذلك قول الأخفش في معانيه : " ومن معاني القرآن قول الله عزّ وجلّ ... "[٣] .

وهو الأمر الذي يفسر لنا أيضًا المنهج الانتقائي ـ في تحليل الآيات ـ الذي اتبعه أكثر المصنفين .

ومع أن هذه الكتب تقدم لنا تحليلاً لغويًّا في الأساس ، فإنها لا تعتمد على الأخذ بمطلق اللغة ، بل تراعي ـ غالبًا ـ اتساق المعنى اللغوي مع المراد من الآية بصفة عامة ، ومع ما ثبت من تفسير مأثور بعد حذف أسانيده غالبًا ؛

---

(١) مقدمة تحقيق (معاني القرآن) للفراء ١ / ١١

(٢) انظر مقدمة الدكتورة هدى قرّاعة في تحقيق كتاب معاني القرآن للأخفش

(٣) معاني القرآن للأخفش (د . هدى قرّاعة) ٣٢٩/١ .

كما أنها تعتمد التحليل ولا تلجأ إلى التأويل Interpretation إلا نادراً ، ولأن التناول لغوي ؛ كان من البدهي أن يعالج المصنفون كثيرًا من الظواهر اللغوية في أثناء تحليلهم للآيات ، مما سأتحدث عنه – بإذن الله – فيما بعد .

وجامع الأمر في مفهوم (**معاني القرآن**) أن هناك ضوابط ثلاثة لابد من انطباقها ـ جميعًا ـ على الكتاب ، حتى يكون اسمًا على مسمى ، وهي :

أولاً : أن يحمل الكتاب عنوان : (**معاني القرآن**) ، أو (**معاني التنزيل**) ، أو (**معاني الفرقان**) ، أو (**معاني القراءات**) .... إلخ . ولا بأس بأن يُسبق بكلمة أو كلمتين ، أو أن يلحق بكلمة أو كلمتين أيضًا مثل :(**إيجاز البيان عن معاني القرآن**) لبيان الحق النيسابوري (ت بعد سنة ٥٥٣ هـ) ، و(**المختار في معاني قراءات أهل الأمصار**) لابن إدريس (من علماء القرن السابع الهجري) ، فالعنوان إذن يجب أن يظهر فيه مصطلح (**المعاني**) بوضوح .

ثانياً : أن يكون تناول المصنِّف في كتابه منصبًّا على التراكيب القرآنية ، وليس على المفردات فقط ، إذ لو اقتصر على المفردات لصار الكتاب في (**غريب القرآن**) وليس في المعاني .

ثالثاً : أن يغلب على الكتاب التناول اللغوي بصفة عامة ، أو النحوي بصفة خاصة ، وليس نقل التفسير المأثور ، أو التفسير العلمي أو الإشاري أو العقلي أو الفقهي . فكل ذلك من شأن كتب التفسير لا المعاني .

وبناء على ما سبق يتضح انه ليس كل كتاب يحمل اسم المعاني في العنوان داخلاً في نطاق هذه الدراسة ، حتى يستوفي الثلاثة الشروط جميعًا .

ثالثاً : في العربية

وهذا قيد ورد في العنوان من أجل ألا تتوسع الدراسة إلى ما كتب في معاني القرآن بلغات أخرى ، غير اللغة العربية ، فبرأيي أن معاني القرآن في كل لغة تحتاج لدراسة مستقلة ، إذ يصعب أن يحيط أحد باللغات جميعًا ، أو بكتب المعاني في تلك اللغات أيضًا.

رابعاً : الدراسة صوتية دلالية

ويقصد بهذا أني سأقصر جهدي في هذه الدراسة على هذين المجالين دون غيرهما من مجالات البحث اللغوي ، حتى لا تتشعب بي الدراسة لأمور تحتاج إلى دراسات مستقلة، وأغلب ظني أن غيري من الباحثين قد تناولها ، مثل الظواهر النحوية والصرفية ، إذ هي تمثل أبرز ما في كتب المعاني من ظواهر ، فلا غرو أن يكون قد تناولها جمهرةٌ من الباحثين من قبل .

ومن المهم أن أشير هنا إلى أني محكوم في دراستي هذه بمعالجة الظواهر الصوتية والدلالية التي تعرّض لها مصنفو المعاني ، وكان لهم فيها آراءٌ وأقوالٌ، أما تلك الظواهر التي لم تتحدد ملامحها عندهم ، أو التي تناولها عدد قليل منهم ، فلن تكون هدفًا لهذه الدراسة ، فسيكون الجهد منصبًّا – إذن – على أهم الظواهر الصوتية والدلالية ، لا على حصرها ، وتناولها جميعًا .

خامساً : منهج الدراسة

اقتضت طبيعة موضوع الدراسة أن يكون منهجها تكامليًّا : إذ هو يلملم أطرافه المتناثرة في بطون كتب التراث من جهة ، ثم يدرسه في ضوء علم اللغة الحديث من جهة أخرى : فكان من المناسب مثلاً أن يكون منهج الدراسة تاريخيًّا في بعض الفصول ، ووصفيًّا تحليليًّا في فصول أخرى .... وهكذا .

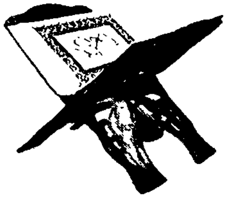

المبحث الثاني
حصر تراث معاني القرآن في العربية

هذه قائمة تحصر تراث المعاني في العربية ، تبدأ من الأقدم فالأحداث ، بحسب تاريخ الوفيات للمؤلفين ، إذ ليس عندنا تأريخ لتصنيف الكتب إلا نادراً!

وهذه القائمة تشمل كل كتاب يحمل في عنوانه اسم (**معاني القرآن**) أو أحد مرادفاته ، بصرف النظر عن انطباق الاسم على المسمّى أو لا .

وهدفي من إثبات هذه القائمة معرفة الموجود من هذه المؤلفات ، وأين يوجد ، سواءٌ كان مطبوعاً أو لا يزال مخطوطاً ، والإشارة إلى المفقود منها .

وقد قمت بترجمة موجزة لجميع المصنّفين الذين نُسب إليهم تصنيف في هذا المجال ، مع أن كثيراً منهم من الأعلام المبرِّزين ، ولكن القارئ في حاجة دائمة لذكر طرف مُوجز عنهم وعن تواريخ وفياتهم – على الأقل – ليتابع التسلسل التاريخي لهذه المؤلفات بلا مشقة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن بعض المؤلفين مغمور ، فهو يحتاج إلى ترجمة تلقي الضوء على أبرز مصنفاته ، والعلم الذي برز فيه ، وتاريخ وفاته ، وبهذا يطرد أمر جميع المصنّفين على وتيرة واحدة .

أما تحقيق القول في انتماء الكتب المذكورة هنا لمعاني القرآن - بمعناه الاصطلاحي - من عدمه ، فليس محل تحقيق ذلك هنا ، وإنما سيكون بإذن

الله محل دراسة في الباب الأول ، بعنوان (**مناهج المصنفين في معاني القرآن**) .

أما هنا ، فسأكتفي بتحقيق نسبة الكتاب لصاحبه بإيجاز ، وإثبات العنوان الصحيح – في نظري – والإشارة إلى المطبوع ومكان طبعه ، والمخطوط ومكان وجوده ، إلا إذا استدعى الأمر بعض التفصيل في مواطن قليلة لمناقشة أمر يتعلق بإثبات نسبة عنوان معين لصاحبه على سبيل المثال .

❁❁❁❁

(١) معاني القرآن : لواصل بن عطاء [١]

وهو أول من نُسب إليه التأليف في المعاني ، مع كونه ليس لغويًّا ، وإن كان أديبًا بليغًا وخطيبًا مصْقعًا . ولم يصل إلينا كتابه في المعاني .

(٢) معاني القرآن : لأبان بن تغلب [٢]

نسب له كتابان في القرآن ، أحدهما (معاني القرآن) قال عنه ابن النديم : " لطيف " [٣] أي صغير الحجم ، والثاني (**الغريب في القرآن**) قال ياقوت الحموي إنه : " صنّف الغريب في القرآن ، وذكر شواهده " [٤] وابن النديم أقرب إلى عصر أبان ، مما يقوي أن العنوانين لكتاب واحد في المعاني ، ولذا أورده الداودي في طبقات المفسرين ، ونسب إليه كتابًا في (**معاني القرآن**) ، ولم يصل إلينا[٥] .

---

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزّال ؛ رأس المعتزلة ، توفي سنة ١٣١هـ ، انظر في ترجمته :معجم الأدباء ٢٤٦/١٩ ، وطبقات المفسرين للداودى ٢ / ٣٥٦ .

(٢) هو أبان بن تغلب بن رباح الجريري البكري ، كان لغويًّا ثبتًا وقارئًا فقيهًا ، ينسب إلى الشيعة الإمامية ، توفي سنة ١٤١ هـ ، انظر في ترجمته معجم الأدباء ١ / ١٠٧ ، وبغية الوعاة ١ / ٤٠٤ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ١ .

(٣) الفهرست ٢٧٦ .

(٤) معجم الأدباء ١/ ١٠٧ .)

(٥) انظر طبقات الداودي ١/١ .

(٣) **معاني القرآن** : لأبي جعفر الرؤاسي الكوفي [١]

نسب إليه كتاب في المعاني ، قال عنه ابن النديم : " معاني القرآن ، يروى إلى اليوم ... " [٢] أي إن الكتاب كان متداولاً إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وقت تصنيف الفهرست ، لكن لم يصل إلينا .

(٤) **معاني القرآن** : ليونس بن حبيب [٣]

نسب إليه كتابان في المعاني كبير وصغير ، ولكن لم يصل إلينا منهما شيءٌ ، وقد جمع الدكتور حسين نصار آراءً متفرقة ليونس في المعاني ، وقال عنها : " ... عثرت على عدة أقوال ليونس ، تعالج جوانب مختلفة من الآيات القرآنية ، ولكنها مجردة من كل قرينة تؤدي بنا إلى إثباتها في كتاب (**معاني القرآن**) أو نفيها عنه" [٤] .

وهذا هو المنهج القويم ؛ إذ لا يمكن نسبة كتاب لأحد ، إلاّ بدليل واضح وبرهان ساطع.

(٥) **معاني القرآن** : لأبي الحسن علي الكسائي إمام مدرسة الكوفة [٥]

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي النحوي الشيعي المعروف ، أستاذ الكسائي ، والرائد الأول لمدرسة الكوفة ، وأول من وضع منهم كتابًا في النحو ،توفي في عصر الرشيد (من عام ١٧٠ هـ – ١٩٣ هـ انظر ترجمته في البغية ١/ ١٠٩، ومعجم الأدباء ١٨ / ١٢٥ ، والوافي ٢ / ٣٣٤ ، والداودي ٢ / ١٣٠ وهدية العارفين ٦ /٧ .

(٢) الفهرست ٣٧ .

(٣) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبّي البصري ، أحد شيوخ سيبويه كان نحويًّا مشهورًا ،توفي سنة ١٨٣ هـ أو ١٨٢ هـ ، انظر ترجمته في: أخبار النحويين البصريين ٥١ – ٥٤ ونزهة الألباء ٤٧،وبغية الوعاة٢/٣٦٥ والفهرست ٣٧ والداودي٢/ ٣٨٥.

(٤) (يونس بن حبيب) للدكتور حسين نصار ص ٥٦ .

(٥) الإمام أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الكسائي ، المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة ، وأحد أئمة القراءات السبعة ، وعلم النحو المعروف، وأستاذ الفراء، اختلف في=

وهذا الكتاب اتفقت المصادر على نسبته إليه ، ولكنه فُقد - مع الأسف - ولم يصل إلينا .

وقد قام أحد الباحثين المعاصرين بما أسماه محاولة بناء ذلك الكتاب ، عن طريق جمع آراء الكسائي من المصادر المختلفة ، وتوزيعها على سور القرآن الكريم ، ورأى أنه بذلك قدم صورة قريبةً من أصل الكتاب ، وهو المنهج الذي يخالف ما قاله الدكتور حسين نصار في الموضوع السابق مباشرةً - عند حديثنا عن كتاب معاني القرآن ليونس بن حبيب - وسوف أتناول هذا الأمر بالتفصيل - إن شاء الله - في موضعه من هذه الدراسة.

(٦) معاني القرآن : لأبي فيد مؤرّج بن عمرو السدوسي [١]

ذكر ابن النديم في ترجمته أن من كتبه " كتاب المعاني "[٢] وأورده في قائمة مؤلفي (**معاني القرآن**)[٣] : والكتاب مفقود!

(٧) معاني القرآن : لأبي محمد عبيد الله اليزيدي [٤]

وقد ذكره ابن النديم في الفهرست في قائمة مؤلفي معاني القرآن[٥] .

= سنة وفاته ، فقيل سنة ١٧٩ أو ١٨٢ أو ١٨٣ أو ١٩٢ هـ ، وقال الداودي :" وقيل سنة تسع وثمانين " انظر ترجمته في الفهرست ٣٧ ونزهة الألباء ٥٨ – ٦٤وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٣٩٩ .

(١) هو أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي البصري ، من أعيان أصحاب الخليل ، وكبار أهل العربية، توفي سنة ١٩٥ هـ وقيل غير ذلك ، انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٩ / ١٩٦ ، وطبقات الزبيدي ٧٨ ، ونزهة الألباء ١٠٥ ، وبغية الوعاة ٢ / ٣٠٥ ، والداودي ٢ / ٢٤١ .

(٢) الفهرست ٥٣– ٥٤ .

(٣) الفهرست ٣٧ .

(٤) هو أبو محمد عبيد الله بن الفضل بن سفيان بن منجوف السدوسي ، ويلقب بغنويه السدوسي، إخباري، روى عن أبي عبيدة ومات بعد المائتين، انظر الفهرست ٣٧ ، و١٢٢

(٥) انظر الفهرست ٣٧ .

(٨) **معاني القرآن : لأبي علي بن المستنير قطرب** [١]

قال الداودي : " وله من التصانيف (معاني القرآن) لم يسبق إلى مثله ، وعليه احتذى الفراء " [٢] ولست أدري هل نقل الداودي هذا الكلام عن غيره ، أو أنه رأى الكتاب بنفسه ، وعلى أية حال ، فإن هذا الكتاب النفيس لم يصل إلينا !.

(٩) **معاني القرآن : لأبي زكريا الفراء** [٣]

وهو أحد أهم كتب المعاني على الإطلاق ، وهو مطبوع بحمد الله [٤] .

(١٠)**معاني القرآن : لأبي معاذ الفضل بن خالد المروزي** [٥]

ذكره ابن النديم في الفهرست فقال[٦] : " كتاب معاني القرآن ، لأبي معاذ الفضل بن خلف النحوي ، كبير، عمله لإسحاق بن إبراهيم الطاهري " [٧] ولم يصل إلينا ذلك الكتاب.

---

(١) هو محمد بن المستنير قطرب ، تلميذ سيبويه ، وأحد العلماء الكبار في النحو واللغة توفي سنة ٢٠٦ هـ ، انظر ترجمته في إنباه الرواة ٣ / ٦١٩ .

(٢) طبقات الداودي ٢ / ٢٥٥ .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ،خليفة الكسائي في إمامة مدرسة الكوفة ، وأحد أعلام العربية المبرّزين في اللغة والنحو ، توفي سنة ٢٠٧ هـ له ترجمة في معظم المصادر القديمة ، انظر منها : الفهرست ٧٣ ، و٣٧ ، ونزهة الألباء ٨١ ومعجم الأدباء ٢٠ / ٩ .

(٤) نشرته الهيئة العامة للكتاب بتحقيق (محمد علي النجار وآخرين) سنة (١٩٨٠ م)

(٥) هو أبو معاذ الفضل بن خالد المروزي النحوي ، روى عنه الأزهري في التهذيب ، وذكره ابن حبان في (الثقات) ، توفي سنة ٢١٠ هـ ، انظر: الفهرست ٣٧ ، ومعجم الأدباء ٢١٤/٦ ، وطبقات الداودي ٢٨/٢ – ٢٩ ، وبغية الوعاة ٢/ ٢٤٢ ، (وفي المرجعين الآخرين أنه مات سنة ٢١١ هـ) والعبر ٣٢٦/١.

(٦) انظر الفهرست ٣٧ .

(٧) توفي هذا الوزير سنة ٢٣٥ هـ ،كما في تاريخ بغداد ٣٤٤/٦ .

(١١) معاني القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثني [١]

وقد ذكر ابن النديم له ثلاثة كتب في القرآن ، وكرر ذلك أكثر من مرة ، وهي (مجاز القرآن) و(معاني القرآن) و(غريب القرآن) [٢] ، فأما المجاز فقد سبق لي دراسته من قبل، وتبين لي أنه كتاب في مفردات القرآن، أو الغريب ، ولا يكاد يختلف عن نظائره من كتب الغريب ، إلا الاختلاف الذي يقع في الأسلوب عادةً بين المصنفين ، وهو رأى محقق المجاز أيضًا [٣]. ومع هذا فربما كان لأبي عبيدة كتابٌ في المعاني وضعه قبل المجاز ولم يصل إلينا .

(١٢) معاني القرآن : لأبي المنهال عيينة بن المنهال [٤]

ذكره ابن النديم بهذا الاسم في قائمة مؤلفي (معاني القرآن) [٥] ، ويبدو لي أنه هو : عيينة بن عبد الرحمن أبو المنهال المهلبي النحوي ، فلعلّ (المنهال) كان لقبًا لأبيه عبد الرحمن ، و(أبا المنهال) كانت كنية له نفسه لم تذكرها المراجع المتأخرة "[٦] .

يقول عنه ياقوت – نقلاً عن تاريخ نيسابور – : " وكان حسن المعرفة بالإسناد والأخبار والأيّام ، وعمل لإسحاق بن إبراهيم الطاهري في القرآن" .

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري ، كان من أعلم الناس باللغة ، وأنساب العرب ، توفي سنة ٢١٠ أو ٢١١ هـ ، انظر ترجمته في المعارف لابن قتيبة ٢٣٦، والفهرست ٥٨ ، ومعجم الأدباء ١٥٦/١٩.

(٢) انظر الفهرست ٣٧ ، ٥٨ .

(٣) انظر مقدمة تحقيق الدكتور فؤاد سزكين لكتاب المجاز ١ / ١٨ .

(٤) كان نحويًا لغويًا ، وتتلمذ على يد الخليل بن أحمد ، وعمل مؤدبًا للأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر ، وصحبه إلى نيسابور ، والراجح أن وفاته كانت بين عامي ٢١٤ و٢٣٠ هـ وهي مدة ولاية هذا الأمير لنيسابور . انظر ترجمة أبي المنهال في الفهرست ٥٤ ، ومعجم الأدباء ١٦ / ١٦٥ – ١٦٧ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣٨٤ – ٣٨٥ والبغية ٢ / ٢٣٩ .

(٥) انظر الفهرست ٣٧ .

(٦) النحو وكتب التفسير ١ / ١١٩ .

وإسحاق بن الطاهري هذا هو الذي ألّف له الفضل بن خالد - الذي ذكرناه آنفاً - كتاباً في القرآن، كما ذكر ابن النديم، فلعلّ الرجلين قد اشتركا في التأليف له، ولم يصل إلينا كتابه.

(١٣) **معاني القرآن** : للأخفش الأوسط [١]

وهو كتاب شهير مطبوع [٢]، بحمد الله.

(١٤) **معاني القرآن** : لأبي عبيد القاسم بن سلاّم [٣]

وقد ذكر الخطيب البغدادي [٤] أن أبا عبيد جمع هذا الكتاب من كتب المعاني السابقة عليه، مضيفاً إليه الآثار بأسانيدها وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء، وهذا هو المتوقع من رجل جمع بين علوم اللغة والفقه والحديث.

وقد روى بعض أصحاب التراجم من المتأخرين أن " كتاب المعاني المذكور، كان ابتدأه القاسم بن سلام، وبلغ فيه إلى الحج أو الأنبياء ولم يكمله؛ لنهي الإمام أحمد بن حنبل ﷺ له، وذلك أن الإمام أحمد كتب إليه: بلغني أنك

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، أحد كبار أئمة النحو البصريين، صاحب سيبويه، ونقل كتابه وعلمه إلى الناس، وأخذ عنه الجرمي والمازني، توفي سنة ٢١٥، أو ٢٢١ هـ، انظر ترجمته في الفهرست ٥٨ وانظر أيضاً ٣٧، ونزهة الألباء ٩٤ – ٩٥ ،ومعجم الأدباء ١١ / ٢٣٠.

(٢) حققه ثلاثة من الباحثين، الأول: د/ فائز فارس، ونشره على نفقته سنة ١٩٧٩ م، والثاني: د/عبدالأمير محمد أمين الورد، ونشرته له عالم الكتب ببيروت عام ١٩٨٥ م، والثالثة: د/ هدى قراعة، ونشرته مكتبة الخانجي عام ١٩٩٠ م.

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلاّم، اللغويّ الثبت والفقيه والقارئ والمحدث، له تصانيف كثيرة في اللغة والغريب والقراءات، توفي – على الراجح – عام ٢٢٤ هـ، انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ /٤٠٣، وإنباه الرواة ٣ / ١٢، والفهرست ٧٨، وانظر الترجمة الضافية التي صنعها له أستاذنا العلاّمة رمضان عبد التواب في مقدمة تحقيقه الماتع لكتاب (الغريب المصنف) ١ / ٩ – ٢١٢.

(٤) انظر تاريخ بغداد ١٢ / ٤٠٥.

تؤلف كتابًا في القراءات ، أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة يحتج بهما في معاني القرآن ، فلا تفعل ! فأخذه إسماعيل – ابن إسحاق – وزاد فيه زيادة ، وانتهى إلى حيث انتهى أبو عبيدة "[1] .

ويصعب تصديق هذه الرواية لعدة أمور ، منها :

١) أن أصحاب التراجم المتقدمين لم يذكروها ، ولم يذكرها أيضًا من المتأخرين سوى الداودي وابن الجزري فيما أعلم .

٢) أن الخطيب البغدادي ذكر أن أبا عبيد روى النصف من كتابه ، ومات قبل أن يسمع منه باقيه[2] ، بما يعني أن أبا عبيد أتمّ الكتاب ، ولكن الموت عاجله قبل أن يتم روايته لتلاميذه .

٣) أن الخطيب البغدادي مدح كتاب (**معاني القرآن**) لإسماعيل بن إسحاق[3] (الذي زعمت الرواية أنه أتمّ معاني أبي عبيد) ولم يُشر من قريب أو بعيد لتلك القصة مع أن الدواعي كانت تدعوه لذكرها في هذا الموضع ، بما يعني أن هذه القصة لم تصل إليه ، أو وصلت إليه ، وأَعْرض عنها لما رأى من تهافتها !

٤) ليس أبو عبيد وحده الذي كان ينقل عن أبي عبيدة والفراء ، بل فعل ذلك كثير من الأئمة ، كالبخاري في صحيحه ، والطبري في تفسيره[4] ، كما أن الزجاج ، جارى أبا عبيدة في بعض آرائه ، وضمّنها كتاب (**معاني القرآن وإعرابه**) مما لم يوافق العلماء أبا عبيدة عليه ، " هذا مع أن الزجاج كان حنبليّ المذهب ، وكان آخر ما دعا الله به أن يحشره على مذهب أحمد بن حنبل "[5] .

---

(١) طبقات المفسرين للداودي ١ / ١٠٦ – ١٠٧ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢ /٤٠٥ .

(٣) انظر تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٥ – ٢٨٦ .

(٤)ذكر محقق المجاز أمثلة كثيرة لنقل البخاري والطبري عن أبي عبيدة ، فراجع ذلك في المقدمة.

(٥) انظر معجم الأدباء لياقوت ١ / ١٣٠ .

وأبو عبيد حين ينقل عن أبي عبيدة، فهو — بلا شك — يختلف عن غيره، بسبب ثقافته الموسوعية، فهو لغوي محدث فقيه عالم بالقراءات، مما يسمح له بحسن الانتقاء والاقتباس، فليس مجرد نقله عن أبي عبيدة أو الفراء عيبًا يدعوه للتوقف عما بدأه !

(١٥) **معاني القرآن** : لأبي محمد سلمة بن عاصم النحوي [١]

قال عنه أبو بكر بن الأنباري : "كتاب سلمة أجود الكتب - يعني كتابه في معاني القرآن - قال : " لأن سلمة كان عالمًا"[٢] ، وسلمة هذا هو والد المفضل، الآتي ذكره، ولم يصل كتابه إلينا .

(١٦) **معاني القرآن** : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة [٣]

ذكرته له بعض المصادر [٤] ، وإن كان ابن النديم لم يذكره في قائمته لمؤلفي معاني القرآن، لكنّ محقق كتاب (**تأويل مشكل القرآن**) لابن قتيبة . ذكر له هذا الكتاب[٥] . وذكر أنه قرأه عليه قاسم بن أصبغ، وهو رجل أندلسي رحل إلى المشرق (ت ٣٤٠ هـ) وفي ابن أصبغ هذا يقول المقرّي : " وسمع من ابن قتيبة كثيرًا من كتبه " [٦] . وعلى أية حال، فإن الكتاب مفقود، ولم يصل إلينا.

---

(١) هو أبو محمد سلمة بن عاصم، صاحب الفراء وراويته، كان عالمًا بالنحو واللغة، توفي بعد السبعين والمائتين، كما ذكر ابن الجزري في غاية النهاية ١/٣١١ ، وانظر طبقات المفسرين ١/١٩٥ ومعجم الأدباء١١/٢٤٢

(٢) انظر بغية الوعاة ٢/ ٦٣ وطبقات المفسرين ١ / ٢٤٥ .

(٣) عالم لغويّ كبير،له مصنفات كثيرة ،وبخاصة في الدراسات القرآنية ، توفي سنة ٢٧٦ هـ ، انظر ترجمته في مراتب النحويين ١٣٦-١٣٧، وإنباه الرواة ٢ / ١٤٣وطبقات الزبيدي١٨٣.

(٤) انظر بغية الوعاة ٢ / ٦٣ وطبقات المفسرين ١ / ٢٤٥

(٥) مقدمة تحقيق تأويل المشكل ٣١ .

(٦) نفح الطيب ٢ / ٢٥٤ .

(١٧) **معاني القرآن** : للقاضي أبي إسحاق بن إسماعيل الأزدي [١]

ولم يذكر ابن النديم كتابه هذا في قائمته لمؤلفي المعاني ، وقد سبق أن ذكرت قول الداودي - في ترجمة الأزدي - أن كتابه في المعاني بمثابة الترقيع والتتميم لكتاب أبي عبيد ، وأن كلاً منهما لم يجاوز فيه سورة الحج أو الأنبياء على قوله . وإني أسوق إلى القارئ الكريم شهادة الخطيب البغدادي في هذا الموضوع حيث يقول عن مصنفات أبي إسحاق الأزدي : " ... ومنها كتابه في القراءات وهو كتاب جليل عظيم الخطر ، ومنها كتابه في (**معاني القرآن**) ، وهذان الكتابان يشهد بفضله فيهما واحد زمانه ، ومن انتهى إليه العلم بالنحو واللغة في ذلك الأوان وهو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، ورأيت أبا بكر بن مجاهد يصف هذين الكتابين ، وسمعته مرّات لا أحصيها يقول : (سمعت أبا العباس المبرد يقول : القاضي أعلم بالتصريف مني) [٢] ، ولعل القارئ بعد هذا يتساءل : كيف لم يذكره ابن النديم ضمن مؤلفي المعاني ؟ وكيف يمكن تصديق رواية الداودي مع هذه الشهادة النادرة ؟ ، وهل يمكن أن يشتهر كتابٌ ، ويثني عليه العلماء هذا الثناء ، وهو لم يتم ؟! أعتقد أن الإجابة عن هذه الأسئلة واضحة ، وهي تبين عدم صحة رواية الداودي !

وعلى أية حال ، فإن الكتاب مفقود ، ولم يصل إلينا .

(١٨) **معاني القرآن** : لأبي العباس المبرّد [٣]

---

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي ، القاضي والفقيه المالكي ، والعالم اللغوي والنحوي ، له مصنفات في القرآن والقراءات ، توفي سنة ٢٨٢ هـ ، له ترجمة في معجم الأدباء ٦ / ١٢٩ وبغية الوعاة ١/٤٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٣) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن ثمالة الأزدي البصري ، لغويٌّ كبير من أعلام البصريين ، ولد سنة ٢١٠ هـ وتوفي سنة ٢٨٥ هـ ، له ترجمة في الفهرست ٥٩، وإنباه الرواة =

وهو كتاب تكاد المصادر تتفق على نسبته إليه ، وبعضها يضيف إليه كتابًا آخر بعنوان (**الحروف في معاني القرآن**) [1] ، وللأسف لم يصل إلينا منهما شيء .

(١٩)ضياء القلوب في معاني القرآن : للمفضل بن سلمة بن عاصم [2]

ذكر ابن النديم " أن له كتاب ضياء القلوب في معاني القرآن ، نيف وعشرون جزءًا ، وكتاب معاني القرآن ، مفرد [3] " .

وقد عدهما أستاذنا العلامة رمضان عبد التواب – رحمه الله – كتابين ، في مقدمة تحقيقه لكتاب المفضل (**مختصر المذكر والمؤنث**) [4] ، بينما يرى الدكتور إبراهيم رفيدة أن للمفضل واحدًا منهما فقط هو (**ضياء القلوب من معاني القرآن وغريبه ومشكله**)[5]

أما الكتاب الثاني فهو لوالده (سلمة بن عاصم) المتقدم ، ويخيّل إليّ أن هذا هو الصواب ، وذلك للأمور التالية : -

١) أن ابن النديم لم يذكر لسلمة بن عاصم (والد المفضل) كتاب (معاني

= ٣ / ٢٤١ والبغية ١ / ٢٦٩ .

(١) انظر على سبيل المثال :هدية العارفين ٦ / ٢٠ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ / ١٦٤ – ١٦٧ .

(٢) هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي، الأديب اللغوي الكبير وهو بخلاف المفضل الضبي المشهور، توفي ببغداد (تاريخ بغداد ١٣ / ٢٤) اختلف في تاريخ وفاته ، فقيل بعد سنة ٢٩٠ هـ (سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦٢) ورجّح أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ذلك في الترجمة الوافية له في مقدمة تحقيقه كتاب (مختصر المذكر والمؤنث) للمفضل ٩ – ١٠ وانظر أيضًا معجم الشعراء للمرزباني ٢٩٧ – ٢٩٨ .

(٣) انظر الفهرست ٨٠ .

(٤) انظر مقدمة ذلك التحقيق ١٧ ، ١٩ .

(٥) انظر النحو وكتب التفسير ١ / ١٢٣ – ١٢٤ .

القرآن) في ترجمته ، مع أن كثيرًا من أصحاب التراجم ذكروه له ، بل إن ابن الأنباري – كما نقلت – يرى أن كتاب سلمة في المعاني أجود الكتب ، فكيف يسقط مثل هذا الكتاب من قائمة مؤلفي المعاني ؟! .

٢) أن عبارة ابن النديم التي ذكرت اسم المفضل مع الكتابين ، ذكرته مكررًا مرتين متتاليتين من دون أن تجمعهما وتذكر اسم المؤلف بعدهما [١] ، مما يوحي بأن أحد الاسمين أصابه الخلط ، وهو خلط ليس غريبًا بين سلمة وابنه ، فإن تاريخ وفاتهما أيضًا مضطرب جدًا ، وأكثر من يترجم لهما إنما يذكره تخمينًا، مما يدل على شيء من الجهالة في حياتهما.

٣) ربما كان أصل الكتابين المنسوبين للمفضل واحدًا ، ولكن أضاف إليه، وفسّر ما غمض منه ، فنقل باسمين مختلفين ، ومما يقوي هذا الاحتمال قول ابن النديم - في نسخة أخرى من الكتاب[٢] - عن الكتاب الثاني : " **كتاب معاني القرآن مفسّر** " ، في حين أن بعض من ترجموا للمفضل لم يذكروا له إلا كتابًا واحدًا في المعاني [٣] .

(٢٠) معاني القرآن : لأحمد بن يحيى ثعلب [٤]

وهو كتاب تتفق المصادر على نسبته إليه ، ولم يصل إلينا.

---

(١) انظر الفهرست ٣٧ ، ٨٠ .

(٢) كما جاء في طبعة دار المعرفة ، ببيروت ١/١٠٩ .

(٣) انظر على سبيل المثال هدية العارفين ٦ / ٤٦٨ .

(٤) هو الإمام المشهور أحمد بن يحيى بن يسار ، أو سيار ، أبو العباس ثعلب ، إمام كوفي كبير في اللغة والنحو ، صاحب (الفصيح) ، توفي سنة ٢٩١ هـ ، انظر ترجمته في الفهرست ٣٤ و٧٤ ومعجم الأدباء ٥/١٠٢ ، والبغية ١/٣٩٦– ٣٩٨ ، والداودي١/٩٤–٩٨.

(٢١) **معاني القرآن** : لمحمد بن أحمد بن كَيْسان النحوي[1]

لم يصل إلينا .

(٢٢) **النكت الحسان في معاني القرآن** : لأبي حيان التوحيدي[2]

وقد قرأت اسم هذا الكتاب بالفهرس الجامع لأسماء المخطوطات التي تحويها مكتبة برلين تحت رقم ٧٣١ ، فاستبشرت خيرًا ، وذهبت للمكتبة المذكورة بنفسي ، وطلبت الاطلاع على مخطوطة الكتاب ، أو تصويرها ، ولكن أخبرني الموظف المختص أنها فقدت من المكتبة بكل أسف ، مع أنها لا تزال في قائمة المخطوطات بالمكتبة!

(٢٣) **تفسير معاني القرآن** : لأبي الحسن عبد العزيز بن محمد الطبري[3]

وكتابه لا يزال مخطوطًا ، وتوجد منه نسخة بمركز أم القرى لتحقيق التراث ، تحت رقم ١٠٥١ ، وهي مصورة عن المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٢١٩ .

---

(١) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحسن ، الأديب والنحوي الشهير ، توفي سنة ٢٩٩ هـ وقيل ٣٢٠ هـ ، انظر ترجمته في نزهة الألباء ٢٦٢ وإنباه الرواة ٣ / ٥٩ ، والبغية ١ / ١٩ وكتاب (ابن كيسان النحوي) للدكتور محمد البنا ص ٥٤ وما بعدها .

(٢) هو علي بن محمد بن العباس ،كان إمامًا في اللغة والفلسفة ،صحب السيرافي والصاحب بن عباد ، من أشهر مصنفاته : (الإمتاع والمؤانسة) ، توفي بشيراز، في حدود سنة ٤٠٠ هـ ، له ترجمة في البلغة في أئمة اللغة ١/١٤٥ ، ١٥٦ ، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٧ ، ومعجم الأدباء ٢٨٧/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ /١٠٩ .

(٣) توفي بعد سنة ٣١٠ هـ كما في صفحة العنوان من المخطوطة المذكورة ، ولم أهتد لترجمة له في المصادر التي بين يدي .

(٢٤)معاني القرآن وإعرابه : لأبي إسحاق الزجاج [١]

وهو كتاب شهير ، مطبوع [٢] متداول ، بحمد الله .

(٢٥) معاني القرآن : لأبي بكر الشيباني المعروف بالجعد [٣]

ولم يصل إلينا هذا الكتاب .

(٢٦)معاني القرآن : لأبي بكر بن الخياط النحوي [٤]

ولم يصل هذا الكتاب إلينا .

(٢٧)معاني القرآن : لأبي بكر بن خزيمة النيسابوري [٥]

وهذا الكتاب لم يذكره أصحاب التراجم ، بل ذكره ابن خزيمة نفسه في

---

(١) هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ بن سهل الزجاج ، أحد أئمة اللغة ، ومن شيوخ العربية والنحو المعدودين ، ومن أوائل أعلام المدرسة البغدادية ، توفي سنة ٣١١ هـ ، انظر ترجمته في طبقات الزبيدي ١١١ وفي معجم الأدباء ١/١٣٠ وإنباه الرواة ١/١٥٩ ، ووفيات الأعيان ١/٤٩ وبغية الوعاة ١/٤١١ .

(٢) طبع بتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، بدار الحديث، بالقاهرة وسنتناوله بإذن الله في موضعه

(٣) هو الإمام محمد بن عثمان بن سبح ، أحد المقدمين في النحو والأدب ، ومن أصحاب أبي الحسن بن كيسان ، اختُلف في سنة وفاته ، فقيل ٣١١ هـ ، وقيل سنة نيف وعشرين وثلاثمائة للهجرة ، له ترجمة في الفهرست ٨٢ ، ونزهة الألباء ٢٠٦ ، ومعجم الأدباء ١٨/٢٥٠،وإنباه الرواة ٣/١٨٤،وطبقات الداودي ٢/١٩٣ ، وهدية العارفين ٦/٢٩

(٤) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور بن الخياط ، أحد شيوخ أبي علي الفارسي ، وهو من أصل سمرقندي ، توفي سنة ٣٢٠ هـ ، وانظر ترجمته في الفهرست ٨١ ، ومعجم الأدباء ١٨/١٤١ ، وإنباه الرواة ٣/٥٤ ، وطبقات المفسرين ٨٤١ ، والوافي للصفدي ٢/٨٨ .

(٥) هو الإمام المحدث المشهور أبو بكر محمد بن إسحاق النيسابوري الشافعي المعروف بابن خزيمة ، إمام الأئمة ، له مصنفات جليلة أشهرها : (الصحيح)، و (التوحيد)، ولد سنة ٢٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٣٢٣ هـ له ترجمة في المنتظم ٦ / ١٨٤ ،وسير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦٥ ، وشذرات الذهب ٤ / ٥٧ .

كتاب آخر له هو (**توحيد صفات الرب عز وجل**) [١] وأحال إليه في ثلاثة مواضع ،ولم يصل إلينا ذلك الكتاب.

(٢٨) معاني القرآن : لأبي الحسن الخزاز النحوي[٢]

ذكرت بعض المصادر أنه ألّف هذا الكتاب للوزير أبي الحسن بن الجراح ، ونحله إياه . ولم يصل إلينا.

(٢٩) المشكل في معاني القرآن : لأبي بكر بن الأنباري [٣]

قال ياقوت عنه : وكتاب " **المشكل في معاني القرآن** " ، بلغ فيه إلى سورة طه ، وأملاه سنين كثيرة ، ولم يتمه " [٤] ، ولم يصل إلينا .

(٣٠) معاني القرآن وتفسيره : لأبي الحسن علي بن عيسى الجراح [٥]

وهو الوزير الذي سبق الإشارة إليه ، وقد تقدم أن الخزاز ألّف له هذا الكتاب ، والحق أنه كتاب واحد ، إمّا أنه للخزاز ، أو لهذا الوزير ، فلا يصحّ أن يذكر لكليهما ، وقد قال ابن النديم في ترجمة ابن الجراح : " كتاب معاني

---

(١) نشر هذا الكتاب بعناية الدكتور / محمد مصطفى الأعظمي بالدار السلفية للنشر في القاهرة ١٤٠٣ هـ .

(٢) هو أبو الحسن عبد الله بن محمد بن سفيان الخزاز النحوي ، كان معلمًا في دار الوزير أبي الحسن بن الجراح ، توفي سنة ٣٢٥ هـ ، انظر ترجمته في الفهرست ٨٢ ، وإنباه الرواة ١٣٥/٢ ، والداودي ٢٤٧/١ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، الإمام اللغوي النحوي المعروف ، ولد سنة ٢٧١ هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ على الراجح، له ترجمة في الفهرست ٧٥ ومعجم الأدباء ٣١٢/١٨ ، والداودي٢٢٩/٢ .

(٤) معجم الأدباء ١٤ / ٧٣، وفيه أنه توفي عام ٣٣٥ هـ ، وانظر الفهرست ٧٥ .

(٥) توفي هذا الوزير سنة ٣٣٤ هـ، والمعلومات عنه شحيحة، له ترجمة في الفهرست ٣١، وغاية النهاية ١٣٩/١.

القرآن وتفسيره ، أعانه عليه أبو الحسن الخزاز ، وأبو بكر بن مجاهد " [1] .

فإذا صح هذا ، فإن الكتاب للوزير . فإن الإعانة من جانب هذين العالمين ، لا تنفي عنه صفة التأليف ، والله أعلم .

(٣١) **معاني القرآن** : لأبي بكر بن العباس الصولي البغدادي [2]

وهو كتاب مفقود ، وقد نقل أبو الحسن النيسابوري عنه في كتابه (**باهر البرهان**) [3] فقال : " وحكى الصوليّ في معانيه: أن بعض الكتاب أنكر الإرادة للجماد . وتكلم على وجه الطعن ، فألقمته الحجر بقول الراعي [4] : [الكامل] .

فِي مَهْمَهٍ فَلَقَتْ بِهَا هَامَاتِهَا ... فَلْقَ الْفُئُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نُصُولاَ [5]

---

(١) الفهرست سنة ١٢٩ ومعجم الأدباء ١٤ / ٦٨ .

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي ، نسبة إلى جده صول تكين ، الإخباري العلامة ، وأحد الأدباء الفضلاء ، روى عنه الدارقطني ، وتتلمذ على أبي داود السجستاني وثعلب والمبرد ، اتصل بالخلفاء ومن أشهر كتبه (الأوراق) ، وتوفي ٣٣٥هـ، له ترجمة في معجم الشعراء للمرزباني٤٣١، ووفيات الأعيان ٣٥٦/٤- ٣٦١ ، والمنتظم لابن الجوزي ٦ / ٣٥٩ ، والشذرات ٤ / ١٢

(٣) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ٢ / ٨٧٤ ، ولم أجد من نسب للصولي كتاباً في المعاني سوى أبي الحسن النيسابوري في كتابه هذا .

(٤) هو الراعي النميري ، الشاعر الأموي المعروف ، كان معاصراً لجرير والفرزدق ، انظر ترجمته في بداية تحقيق ديوانه، والبيت في الديوان ق ٢٠/٥٨ ص ٢٢٢، وتفسير الطبري ٥ /١٨٧ ،واللسان (رود) ١٨٩/٣ ، وفيها جميعًا (قلقت – قلق الفئوس) .

(٥) المهمه : المفازة ، وفلقت : شقّت وكسرت ، ونصولاً : خروجًا وتكسُّرًا ،وقال القرطبي في تفسيره ١١/ ٢٦ : " ... فشبّه وقع السيوف على رءوسهم بوقع الفئوس في الأرض ، فإن الفأس ، يقع فيها ويثبت ولا يكاد يخرج " .والشاهد قول الشاعر : (إذا أردن) ، فقد جعل للفئوس إرادة ،وهو المطلوب .

(٣٢) معاني القرآن : لأبي جعفر النحاس [١]

وهذا الكتاب مطبوع متداول[٢] ، والعجيب أن بروكلمان ذكر هذا الكتاب تحت عنوان **(الجنى الداني في حروف المعاني)**[٣] !

وليت شعري ! كيف وقع مثله في هذا الخطأ الجسيم ؟ فكتاب (الجنى الداني) ليس مجهول النسبة ، ولا مجهول الموضوع ، فمعروف أنه للحسن بن قاسم المرادي ـ وقد طبع بحلب في سوريا بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ـ ومعروف أنه في معاني الحروف وليس في معاني القرآن ، ولكن جلّ من لا يسهو !

(٣٣) التوسط بين الأخفش وثعلب في معاني القرآن واختيار أبي محمد في ذلك [٤] **: لأبي محمد عبد الله بن درستويه النحوي البصري** [٥]

وهذا العالم نسب إليه كتابان آخران في هذا المجال سأذكرهما فيما يلي.

(٣٤) المعاني في القراءات : لأبي جعفر بن درستويه

وقد قال ابن النديم عن هذا الكتاب : " المعاني في القراءات ، ولم

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النحاس المرادي المصري ، الإمام النحوي اللغوي الشهير ، له مصنفات كثيرة أهمها (إعراب القرآن) ، توفي سنة ٣٣٨ هـ ، له ترجمة في إنباه الرواة ١/١٠١ .

(٢) طبع بتحقيق الشيخ /محمد علي الصابوني، بمكة المكرمة ، وسوف أتناوله بالتحليل في موضعه من هذه الدراسة بإذن الله.

(٣) انظر تاريخ الأدب العربي ٢ / ٢٧٦ .

(٤) ورد هذا الاسم في الفهرست لابن النديم ٣٣، وجاء في إنباه الرواة ٢/١١٣ (في تفسير القرآن) بدلاً من (معاني القرآن) والأول هو الصحيح لأن كتابي الأخفش وثعلب في المعاني .

(٥) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي الفسوي، كان جيد التصانيف، وشديد التعصب للبصريين ، توفي سنة ٣٤٧ هـ ، له ترجمة في طبقات الزبيدي ١٢٧ ، والفهرست ٦٣ ، وإنباه الرواة ٢ / ١١٣ – ١١٤.

يتمه "[1] ، بينما ذكره القفطي باسم : " المعاني في القرآن "[2] ، ولعلّ الأول أقرب إلى الصواب ؛ لأن ابن درستويه له كتابان – بخلاف هذا الكتاب – يتعلقان بالمعاني القرآنية ، وعلى أية حال فإن الكتب الثلاثة لم يصل إلينا منها شيء .

(٣٥) الرد على الفراء في المعاني[3] : لأبي جعفر بن درستويه

ويتضح من هذا العنوان أن ابن درستويه البصري ، ينتصر لمذهبه ، ويرد على الكوفيين في شخص إمام كبير من أئمتهم وهو الفراء .

(٣٦)الموضح في معاني القرآن[4] : لأبي بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش[5]

وقد ذكر هذا الكتاب باسم (الموضح في القرآن ومعانيه) والاسمان متقاربان . ولم يصل الكتاب إلينا .

(٣٧)رياضة الألسنة في إعراب القرآن ومعانيه : لأبي بكر بن أشتة الأصبهاني[6]

اتفقت المصادر على نسبته إليه ، وهو مفقود .

---

(١) الفهرست ٣٣ . (٢) إنباه الرواة ٢ /١١٣ – ١١٤ .

(٣) انظر الفهرست ٣٣ ، وإنباه الرواة ٢ / ١١٣ – ١١٤ .

(٤) الفهرست ٣٦ .

(٥) هو الإمام المقرئ المفسر اللغوي ، له تفسير بعنوان : (شفاء الصدور في تفسير القرآن الكريم) ، توفي سنة ٣٥١ هـ ، وله ترجمة في غاية النهاية ٢ / ١١٩ – ١٢١ والداودي ٢ / ١٣١ – ١٣٣ .

(٦) هو الإمام النحوي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة اللوذري الأصبهاني ، أستاذ كبير ومحقق ثقة ، توفي سنة ٣٦٠ هـ أو ٣٧٠ هـ ، انظر غاية النهاية ٢ /١٨٤ ،والبغية ١ / ١٤٢ والداودي ٢ / ١٥٧.

(٣٨) معاني القراءات : لأبي منصور الأزهري [١]

وقد طبع هذا الكتاب [٢]

(٣٩) الإغفال : لأبي علي الفارسي [٣]

وهو كتاب يرد فيه على أستاذه الزجاج ، فيما أغفله الزجاج في معانيه مما يجب أن يتناوله ، أي أنه استدراكٌ على معاني الزجاج ، وهو مطبوع [٤] .

(٤٠) المختصر الموضح في معاني القرآن وكشف مشكلات الفرقان : لأبي خلف عبد العزيز الصيدلاني الرازي المرزباني [٥]

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً ، وتوجد منه نسخة بمكتبة آيا صوفيا برقم ٢/٢٩٧ ، ويقع في ٢٢٤ ورقة ، كتبت في القرن السادس الهجري [٦]، ومنه نسخة أخرى تبدأ من أول سورة مريم إلى آخر القرآن ، عدد أوراقها ٢٤٥ ، بعمادة شئون المكتبات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (رقم الحاسب ٩٠٦ / ٢١) .

---

(١) هو إمام العربية الكبير أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري ، ينسب إلى (هراة) إحدى مدن خراسان ،فيها ولد سنة ٢٨٢ هـ ، لغوي فقيه محدث ، لكنّ شهرته اللغوية غلبت عليه بسبب كتابه الشهير (تهذيب اللغة) ، توفي سنة ٣٧٠ هـ له ترجمة في معجم الأدباء ١٧ / ١٦٤ – ١٦٥ ،وإنباه الرواة ٤ / ١٧١ ، وبغية الوعاة ١ / ١٩ – ٢٠ ، والبلغة ١٨٦ .

(٢) وقد حققه الدكتور عوض بن حمد القوزي ، ونشره مع آخر ، بتوزيع دار المعارف ، بالقاهرة .

(٣) هو الإمام العلامة أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ، صاحب (الحجة في القراءات السبع) ، لغوي ، مقرئٌ مفسر ، توفي سنة ٣٧٧ هـ له ترجمة في معجم الأدباء ٧ / ٢٣٢ ، والفهرست ٦٩.

(٤) طبع بتحقيق الدكتور / عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم ، بالمجمع الثقافي بدبي .

(٥) من علماء القرن الرابع الهجري ، كما ورد بصفحة العنوان من المخطوطة ، ولم أعثر على ترجمة له .

(٦) انظر : تاريخ التراث العربي ١ / ٢١٨ .

(٤١) معاني القران : للشريف الرضي [١]

وقد نسبه إليه بعض أصحاب التراجم [٢] ، ولم يصل إلينا ، وقد ذكر ابن جني أن هذا الكتاب يتعذّر وجود مثله ، وأنه يدل على توسعه في علم النحو واللغة [٣] .

(٤٢) تاج المعاني في تفسير السبع المثاني : للإمام أبي نصر منصور بن سعيد بن أحمد بن الحسن [٤]

وهو كبير في مجلدات ، ألفه أبو نصر تلبية لرغبة القائد أبي علي يحكم عام ٣٥٣هـ ، وقدّم له بمقدمة في الحروف والإعراب ، ثم شرع في التفسير ، بعبارات لطيفة ، وألفاظ فصيحة [٥] ، ولم يصل إلينا .

(٤٣) الإبانة عن معاني القراءات : لمكي القيسي [٦]

---

(١) هو الإمام محمد بن الحسين الطاهر ، الموسوي ، البغدادي ، من أعيان الشيعة ، كان شاعرًا كبيرًا ، وله ديوان شعر مطبوع ، وأديبًا ونحويًّا ، ولد سنة ٣٥٩ هـ وتوفي سنة ٤٠٦ هـ ، له ترجمة في يتيمة الدهر ٣ / ١٥٥، ووفيات الأعيان ٤ / ٤١٤ — ٤٢٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٥٥٨ ، والشذرات ٥/ ٤٣ — ٤٦ ، والأعلام ٤ / ٦٣ .

(٢) ومنهم ابن العماد في الشذرات ٤٥/٥ نقلاً عن ابن جني، وبروكلمان ٦٢/٢ ،والزركلي في الأعلام ٦٣/٤.

(٣) الشذرات ٥ / ٤٥ .

(٤) هو أبو نصر منصور بن الحسين بن محمد بن أحمد النيسابوري المفسر ، سمع من أبي العباس الأصم ، وكاد أن ينفرد به توفي سنة ٤٢٢ هـ ، وله ترجمة في سير الأعلام ٤٤١/١٧ ، والداودي ٣٣٨/٢ ، وشذرات الذهب ١١٦/٥ .

(٥) انظر كشف الظنون ٢٧٠/١ .

(٦) هو الإمام العلامة المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار ، كان من أوعية العلم، له تصانيف زادت عن الثمانين ، ولد بالقيروان ، ومات بقرطبة ، سنة ٤٣٧ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٩ / ١٦٧ ، ووفيات الأعيان ٥ / ٢٧٤ ،ومعرفة القراء الكبار ١ / ٣١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٥٩١/١٧ .

وهو كتاب مطبوع [1] ، وقد نسبت كتب التراجم إليه كتابين آخرين ، سيرد ذكرهما فيما يلي.

(٤٤) الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه : للقيسي أيضاً

وقد ذكروا أنه سبعون جزءًا [2] ! ولم يصل إلينا .

(٤٥) مشكل المعاني والتفسير : للقيسي أيضاً

ذكروا أنه جاء في خمسة عشر جزءًا [3] .

(٤٦) تفسير معاني القرآن : لعلي بن محمد علي الطبرستاني ، المعروف بـ آلكيا الهراسي [4]

وهذا الكتاب هو نفسه كتاب (أحكام القران) كما جاء في بعض المصادر ، والمخطوطة الموجودة للكتاب في قسم المخطوطات ، بالهيئة العامة للكتاب بمصر ، تثبت أن العنوان الصحيح هو (أحكام القران) [5]

---

(١) نشر بتحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ، بدار المأمون للتراث عام ١٩٧٩ م .

(٢) انظر إنباه الرواة ٣ / ٣١٥ ، وشذرات الذهب ٥ / ١٧٥ .

(٣) انفرد القفطي بهذه التسمية للكتاب ، انظر إنباه الرواة ٣ / ٣١٥ ، وشذرات الذهب ٥ / ١٧٥ ، وقد طُبع الكتاب (بعنوان تفسير مشكل إعراب القرآن) ، مرتين ، الأولى: بتحقيق الأستاذ حاتم الضامن، ببغداد، والأخرى : بتحقيق الأستاذ ياسين السوّاس ، في دمشق ، وعلى ذلك فالكتاب في الإعراب لا في المعاني.

(٤) هو الإمام أبو الحسن ، سُمّي بألكيا ومعناه الكبير ، بلغة الفرس ، شيخ الشافعية في زمانه ، وتفقه على إمام الحرمين ، كان فقيهًا فصيحًا ، محدثًا مهيبًا ، توفي سنة ٥٠٤ هـ ، له ترجمة في وفيات الأعيان ٣ / ٢٨٦ ، وطبقات السبكي ٧ / ٢٣٢ ، والشذرات ٦/ ١٤ .

(٥) انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤ ٧٠ / ٤٤ .

(٤٧) **تفسير غُرر المعاني** : لابن دينويه[١]

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطًا بمكتبة سبسهلار ، تحت رقم ٥٣٤ تفسير.

(٤٨) **باهر البرهان في معاني مشكلات القران** : لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي[٢]

وقد طبع هذا الكتاب المهم بفضل الله[٣] .

(٤٩) **إيجاز البيان عن معاني القرآن** : لبيان الحق النيسابوري أيضًا

وهو كتاب اختصر فيه كتابه السابق وقد طبع أيضًا[٤]

ولعلّ النيسابوري الوحيد من بين مؤلفي المعاني الذي وصل إلينا كتابان كاملان له بل إن له كتابًا ثالثًا في المعاني أيضًا لم يصل إلينا .

(٥٠) **غرر الأقاويل في معاني التنزيل** : لبيان الحق النيسابوري أيضًا

ولم يصل إلينا . وإنما أشار إليه في كتابيه السابقين ، كما ذكر أن له كتابًا رابعًا يشرح فيه الشواهد الشعرية الكثيرة التي وردت في كتابه (باهر البرهان) ، ولم يصل إلينا أيضا.

(٥١) **مفاتيح الأغاني في القراءات و المعاني** : لأبى العلاء الكرماني[٥]

---

(١) هو أحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن دينويه ، توفي سنة ٥٠٨ هـ ، كما جاء في صفحة العنوان من المخطوطة .

(٢) هو العلامة اللغوي نجم الدين أبو القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري القزويني ، الفقيه المفسر الملقب ببيان الحق ، توفي بعد سنة ٥٥٣ هـ ، له ترجمة في معجم الأدباء ١٩ / ١٢٤ ، والبغية ٢ / ٢٧٧ ، والداودي ٢ / ٣١١ .

(٣)وقد حققته الباحثة سعاد بنت صالح بابقي ، وطبع بمعهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ١٩٩٨م

(٤) نشرته دار الغرب الإسلامي ، بتحقيق الدكتور حنيف الله حسن القاسمي ١٩٩٥ م .

(٥) هو أبو العلاء محمد بن أبي المحاسن بن أبي الفتح الكرماني ، كان مقرئًا ، وجماعا للكتب ، وهو من رجال المائة السادسة، وهو بخلاف أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني المتوفى=

(ت بعد ٥٦٣ هـ)

وهو كتاب مطبوع [١].

(٥٢) لوامع البرهان وقواطع البيان في معاني القرآن : لمحمد بن الحسين المعيني [٢]

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٥٣ تفسير .

(٥٣) عين المعاني في تفسير كتاب الله العزيز : لبهاء الدين أبي الفضل الغزنوي [٣]

ولا يزال هذا الكتاب مخطوطًا ، وتوجد نسخة منه بمعهد البحوث العلمية وتحقيق التراث بجامعة أم القرى برقم ١٧٢ ، وقد حصلت على صورة منها بفضل الله تعالى وعدد أوراق تلك النسخة ٤٢٧ ورقة .

(٥٤) الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة : لجامع العلوم النحوي [٤]

= بعد ٥٤٠ هـ ، انظر كشف الظنون ٢/١٧٥٥ ، ومقدمة محقق الكتاب ١٥ .

(١) حققه الدكتور عبد الكريم مصطفى مدلج ، ضمن أطروحته للدكتوراه ، ونشره بدار ابن حزم ، ببيروت ، ٢٠٠١ م .

(٢) هو أبو الفضائل محمد بن الحسن بن أبي علي بن عبد الرحمن المعيني البكشي ، ولد ومات بنيسابور سنة ٥٣٧ هـ ، انظر ترجمته في معجم البلدان ٤/٢٣٦ ، والتحبير في المعجم الكبير للسمعاني التميمي ٢/ ١١٤.

(٣) هو الإمام بهاء الدين أبو الفضل محمد بن يوسف الحنفي المقرئ المفسر ، الفقيه ، توفي بالقاهرة ٥٩٩هـ ، له ترجمة في العبر ٤ / ٣٠٩ ،ومعرفة القراء الكبار ٢ / ٥٧٩ ، والشذرات ٦ / ٥٥٧ .

(٤) هو نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الضرير النحوي الباقولي ، المعروف بجامع العلوم ، من أكابر النحاة واللغويين ،كان معظمًا عند معاصريه ، له مصنفات قيمة ، منها : (الجواهر في إعراب القرآن) المنسوب خطأً للزجاج ، و(شرح اللمع)، توفي =

وقد طبع هذا الكتاب منذ أعوام ثلاثة بعنوان (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات) .

ويبدو لي أن هذا العنوان الذي اختاره المحقق غير دقيق للأسباب التالية :

١) أن هذا العنوان مخالف لما جاء في صفحة العنوان لأقدم نسخة من مخطوطات الكتاب وهي نسخة مكتبة مراد ملا باسطنبول [١] ، فقد جاء عنوانها كما يلي : " كتاب الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة صنعة الشيخ الإمام الأجلّ نور الدين جامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين بن علي النحوي ، تغمده الله برحمته ، وألبسه لباس مغفرته " [٢]

وهي نسخة في غاية الأهمية لأنها أقدم النسخ ويكفي أن نقرأ قول المحقق: " هذه النسخة قد قوبلت على نسخة الأصل المكتوبة في زمن المؤلف ؛ إذ وردت عبارة للناسخ أدخلها في صلب المتن أشار بها إلى ذلك ،وقد رفعتها من الأصل ، ووضعتها في الهامش ، وهي قوله : (هكذا في نسخة الأصل التي قرأتها على المصنف) " [٣] .

ويتبين من ذلك أن هذه النسخة :

أ - أقدم النسخ .

ب - قوبلت على نسخة المؤلف في حياته .

ج - ظهر العنوان فيها واضحًا كاملاً

= ٥٤٣هـ ، انظر ترجمته في : معجم الأدباء ١٣ / ١٦٤ ، وإنباه الرواة ٢ / ٢٤٧ - ٢٤٩ ، وبغية الوعاة ٢ / ١٦٠ - ١٦١ ، والبلغة ١٥١ - ١٥٢ .

(١) وقد حصلت على صورة منها بغرض دراستها قبل أن يظهر الكتاب بتحقيق الدكتور عبد القادر السعدي بدار عمار بالأردن سنة ٢٠٠١ م . .

(٢) هذا هو النص الذي على عنوان المخطوطة المذكورة .

(٣) الكشف ١ / ٤٤٢ (هامش) .

فكيف لم يعول المحقق عليها في إثبات العنوان مع أنه جعلها أصلاً للتحقيق كله ؟! [(١)]

٢) النسختان الآخريان اللتان اعتمد المحقق عليهما – بجانب نسخة مراد ملا – ليس فيهما هذا العنوان أيضًا ، فنسخة مكتبة شهيد علي يقول عنها المحقق : " حصل طمس للعنوان في الورقة الأولى منها ، ولكن كُتب جزء من عنوانها في الصفحة المقابلة لها مع ذكر اسم المؤلف كاملاً " ، وقد ذكر أيضًا أنه لم يتبق من هذا العنوان المطموس سوى (كشف المشكلات) بل إن المحقق الفاضل لم يضع صورة فوتوغرافية لصفحة العنوان أو الصفحة الأولى من كل مخطوطة ، كما جرت عادة المحققين من أرباب هذا الفن ، ولو فعل لاتضح كثير من الأمور.

وأما نسخة الأردن فقد ذكر المحقق الفاضل أن عنوانها : (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات) [(٢)] وهذا العنوان ليس العنوان الذي اختاره المحقق أيضًا ! كما يبدو عليه الاختصار من الناسخ الذي كتبها بعد وفاة المصنف بما لا يقل عن سبع وخمسين سنة ، فقد جاء في آخر النسخة – كما نقل المحقق – : " وقع الفراغ من كتابته في منتصف شهر الله رجب سنة .... وستمائة " [(٣)] وعلى هذا ؛ فلو افترضنا أن مكان الفراغ في المخطوطة أقل الأعداد وهو رقم (واحد) ، لصار نسخها قريبًا مما ذكرت !

٣) أن هذا العنوان الذي أثبته المحقق الفاضل لم يرد أيضًا عند أصحاب التراجم ، كما ذكره هو ، فكثير منهم ذكره مختصرًا ، وبعضهم أثبت

---

(١) فقد قال المحقق : " تم النسخ الأول على نسخة (ت) أي: نسخة مكتبة مراد ملا ؛ لأنها أقدم النسخ " . الكشف ١ / ١٥٧ .

(٢) انظر الكشف ١ / ١٦١ . (٣) الكشف ١ / ١٦٢ .

عنوان المخطوطة القديمة الذي أشرت إليه ، كصاحب كشف الظنون [1]؛ إذ أطلق على الكتاب اسم : " الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة "وكذلك فعل صاحب هدية العارفين [2] فقد سماه : " كشف المعضلات في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة " أي : بزيادة كلمة (المعضلات) فقط ، وقد ذكره كحالة في معجم المؤلفين [3] باسمين مختلفين أحدهما الاسم الذي جاء في المخطوطة القدمى .

فإذا كان الأمر كذلك ، فليس هناك مبررٌ لترك ما جاء على صفحة العنوان بأقدم مخطوطة ،وبخاصة أن أحدًا من أصحاب التراجم لم يزعم أنه أطلق عليه العنوان الذي اختاره للكتاب ، والغالب أنه ذكره مختصرًا، أو بما اشتهر به ،كالكشف مثلاً .

٤) جاء في جميع النسخ في مقدمة المصنف : " .... أما بعد ، فإن هذا الكتاب مؤلّف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة ... " [4] ألا يعدّ هذا دليلاً واضحًا على العنوان الذي أراده المؤلف لكتابه؛ وبخاصة أن الكتاب – في منهجه العام – لا يختلف عن بقية كتب المعاني؟

تلك الأربعة الأسباب [5] التي جعلتني أَثْبُت على العنوان الذي أثبتته

(١) كشف الظنون ٢ / ١٤٩٣ .

(٢) هدية العارفين ، وقد قام الدكتور محمد الدالي بتحقيق هذا الكتاب أيضا ونشره ــ بهذا العنوان المختصر ــ بمجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٩٥ م . ١ / ٦٩٧ .

(٣) معجم المؤلفين ٧ / ٧٥ .

(٤) الكشف ١ / ١٦٥ .

(٥) وقد وقعت بعد أن كتبت هذا الكلام على نص نفيس للعلامة المحقق الكبير أحمد راتب النفاخ يثبت فيه هذا الكتاب بهذا العنوان الذي اخترته ، فالحمد لله على توفيقه، انظر هذا النص في رسالته إلى العلامة الطناحي والتي طبعت ضمن (مقالات العلامة الطناحي) ١/٣٣.

المخطوطة احترامًا لحق المؤلف في أن يضع العنوان الذي يراه مناسبًا لموضوعه ، بلا افتئات من أحدٍ مهما كان علمه !

(٥٥) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار : لأبي بكر بن إدريس [١]

وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بمعهد المخطوطات العربية ، تحت رقم ٧٦ قراءات .

(٥٦) التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير : لابن النقيب [٢]

وقد ذكر بعض أصحاب التراجم أن هذا الكتاب يقع في خمسين مجلدًا [٣] ، ولكنه لم يصل إلينا .

(٥٧) نهج البيان عن كشف معاني القرآن : لمحمد بن الحسن الشيباني [٤]

وهو كتاب مطبوع [٥].

---

(١) أبو بكر أحمد بن عبد الله بن إدريس قارئ معروف ، ينتشر اسمه في كتب القراءات ، وإن لم توجد له ترجمة تشير لشيء من حياته أوفاته ! وقد ذكره صاحب كشف الظنون ١٦٢٣/٢ وسمى كتابه (المختار في القراءات الثماني) ، وهو عنوان مخالف لما هو ثابت في صفحة العنوان من المخطوطة ، ولعله رواه بالمعنى !

(٢) هو الإمام الزاهد العابد محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين الحنبلي، البلخي الأصل، ثم المقدسي ، ولد سنة ٦١١ هـ ، وتوفي ببيت المقدس – ردّ الله غربته – سنة ٦٩٨ هـ، له ترجمة في العبر ٣٨٩/٥ ، والشذرات ٧ / ٧٧٣ .

(٣) انظر هدية العارفين ٦ / ١٣٩ .

(٤) من علماء الشيعة، توفي في القرن السابع الهجري ، له ترجمة في الأنوار الساطعة في المائة السابعة ، للطهراني ١٥٦/١ .

(٥) نشر هذا الكتاب بمطبعة الهادي بايران ، بتحقيق حسين دركاهي ، بدون تاريخ .

(٥٨) مختصر نهج البيان عن كشف معاني القرآن : لمحمد بن على النقيّ الشيباني

وهو اختصار لكتاب الشيباني السابق ، وقد اطلعت على نسخة منه محفوظة بمكتبة برلين تحت رقم ٩٣٠. pm ٥٣٤ ، ولم أر فيه جديدا عما في الأصل .

(٥٩) إيضاح البيان عن معنى أم القرآن : لنجم الدين الطوفي [١]

وتوجد نسخة منه بمكتبة برلين بألمانيا تحت رقم ٧٥٢ . Lb٩ . ٩٤٠. وقد طبع أخيرا [٢]

(٦٠) معاني ألفاظ القرآن : لضياء الدين الدوركي [٣]

ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً ، وتوجد نسخة منه بمكتبة الفاتيكان تحت رقم (فايدا ١٤٥٠) .

(٦١) رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات : لابن اللبان [٤]

وقد اطلعت على نسخة من مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة برلين تحت رقم ٧٤٦ . We ١٢٧٢ ، فوجدته في المحكم والمتشابه ، وبخاصة في آيات الصفات ، وله

---

(١) هو نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري، الحنبلي الأصولي ، سمع من ابن حيان الأندلسي ، وابن تيمية ، واتُّهم ـ ظلمًا ـ بالتشيع ، توفي٧١٦ هـ ، انظر ترجمته في الدرر الكامنة٢/١٥٤ – ١٥٧ ، والشذرات ٧١/٨ ، والأعلام ١٢٧/٣.

(٢) حققه الدكتور على حسين البواب ، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة سنة ٢٠٠٠م .

(٣) هو الإمام ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن دمور بن مصطفى الرومي الدوركي الحنفي ، توفي على الراجح سنة ٧٢٩هـ ، وله ترجمة في الدرر الكامنة ٤٣٨/٣ ، الأعلام ١٢٢/٦ .

(٤) هو الإمام شمس الدين محمد بن عبد المؤمن الدمشقي ، مفسر صوفي ، نشأ بدمشق ، واستقر بمصر وبها مات سنة ٧٤٩ هـ له ترجمة في الدرر الكامنة ٣٣٠/٣ .

نسخة أخرى مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ١٢٦ توحيد ، وقد ذكر سركيس أن الكتاب مطبوع [١] .

(٦٢)كشف المعاني في المتشابه من المثاني : لبدر الدين بن جماعة [٢]

وهو كتاب مطبوع [٣] .

(٦٣)لباب التأويل في معاني التنزيل : للخازن [٤]

وقد طبع هذا الكتاب مرارًا [٥] .

(٦٤)الكفيل بمعاني التنزيل : لأبي الحسين الكندي [٦]

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطًا ، وتوجد نسخة منه بدار الكتب المصرية ، قسم المخطوطات ، تحت رقم ١٨٧ تفسير ، وهي تقع في ثلاثة وعشرين مجلدًا ، غير أن المجلد الأول منها مفقود .

---

(١) انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢٩ .

(٢) هو الإمام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة ، الكناني الحموي الشافعي ، تولى القضاء بالقدس الشريف ، والديار المصرية ،كان محدثًا مفسرًا فقيهًا ذا مهابة وجلالة ، ولد سنة ٦٣٩ هـ وتوفي سنة ٧٣٣هـ ،له ترجمة في الوافي بالوفيات٢/١٨ – ٢٠ ،وطبقات السبكي ٩ / ١٣٩ ، والشذرات ٨ / ١٨٤ .

(٣) نشر بتحقيق الدكتور عبد الجواد خلف ، بكراتشي ١٩٨٨م ، وبتحقيق د. محمد داود بالقاهرة ٢٠٠٢م .

(٤) هو الإمام علاء الدين أبو الحسن ، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي – بلدة بحلب – الشافعي ، الصوفي ، المفسر ، المحدث ، ولد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ ، وتوفي بحلب سنة ٧٤١ هـ ، له ترجمة في الدرر الكامنة ٣ / ٩٧ ، وطبقات الداودي وشذرات الذهب ٨/٢٢٩

(٥) ومن هذه الطبعات ، طبعة دار التقدم بالقاهرة عام ١٣٢١ هـ .

(٦) هو الإمام القاضي عماد الدين أبو الحسين بن أبي بكر بن الحسين ، تولّى قضاء الإسكندرية، وكان نحويًا كبيرًا ،وفقيهًا مالكيًا ، توفي سنة ٧٤١ هـ ، له ترجمة في بغية الوعاة ١/ ٥٣٢ ، وطبقات الداودي ١/١٦١ ، والدرر الكامنة ٢ / ١٦١ .

(٦٥) ضياء السبيل في معاني التنزيل : لأبي الحسن البكري الصديقي[١]

ولا يزال هذا الكتاب مخطوطًا ، وتوجد نسخة منه بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث بجامعة أم القرى ، تحت رقم ١١٦٤.

(٦٦) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير : للخطيب الشربيني[٢]

وهو كتاب مطبوع[٣] .

(٦٧) تحرير التأويل على ما في معاني بعض آي التنزيل : لعبد الرحمن أفندي العمادي[٤]

وتوجد نسخة من مخطوطة هذا الكتاب بمكتبة برلين ، تحت رقم ١٨٢١ . We ١٠١٥.

---

(١) هو الإمام علاء الدين أبو الحسن علي بن جلال الدين محمد البكري الصديقي ، محدث ، مفسر ، فقيه ، صوفي ، توفي بالقاهرة ، ودفن بجوار قبر الشافعي ، رضي الله عنهما سنة ٩٥٢ هـ ، له ترجمة في شذرات الذهب ١٠ / ٤١٩ .

(٢) هو الإمام شمس الدين، محمد بن محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، القاهري الشافعي ، أجمع أهل مصر على صلاحه وورعه ، ومن أهم مؤلفاته شرحه لكتاب المنهاج وكتاب التنبيه من كتب الفقه الشافعي ، توفي بمصر سنة ٩٧٧ هـ ، له ترجمة في شذرات الذهب ١٠ / ٥٦١ ، والأعلام للزركلي ٣/ ٨٥٧ .

(٣) طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة عام ١٢٩٩ هـ .

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد العمادي الحنفي الدمشقي ، مفسر فقيه ، تولى الإفتاء بدمشق ، ولد سنة ٩٧٨ هـ توفي سنة ١٠٥١هـ ، له ترجمة في خلاصة الأثر ٢ /١٥ ، وانظر بروكلمان ١٢/ ٧٤ ، والأعلام ٣/٣٣٢.

(٦٨)تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل : لشمس الدين محمد بن علي الصدّيقي [(١)]

وتوجد نسخة مخطوطة منه بمعهد البحوث العلمية ، وإحياء التراث بجامعة أم القرى تحت رقم ١٠٤٠.

(٦٩)الفلك المشحون في تفسير بعض معاني كتاب الله المكنون : للمناشيري [(٢)]

وتوجد نسخة من مخطوطة هذا الكتاب بمكتبة برلين ، تحت رقم ٩٠٨ . We ١٢٨٦ وعدد أوراقها ٢٩٥ ورقة ، كتبت سنة ١١٠٠هـ .

(٧٠) تفسير مباني البيان من معاني القرآن : للدماميني [(٣)]

وتوجد نسخة من هذه المخطوطة بمكتبة طهران الوطنية تحت رقم ٥٤٣ تفسير .

(٧١) الفيض العميم في معنى القرآن العظيم : للدمنهوري [(٤)]

---

(١) هو الإمام شمس الدين محمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي الشافعي ، كان والده عالمًا كبيرًا ، وهو صاحب كتاب (ضياء السبيل في معاني التنزيل) ، أما ابنه هذا فقد كان مفسرًا كبيرًا ،وصوفيًا زاهدًا ، وله ديوان شعر ، توفّي سنة ٩٩٣ هـ ، وبعض كتب التراجم تخلط بينه وبين أبيه ، انظر ترجمته في شذرات الذهب ١٠ / ٦٣٢ ،والأعلام ٧ / ٦٠ .

(٢) هو محمد بن محمود بن خضر المناشيري ، فلكي من أهل دمشق ، ولد سنة ٩٨١ هـ وتوفي سنة ١٠٣٩ هـ انظر خلاصة الأثر ٢١٤/٤ ، وهدية العارفين ٢/ ٢٧٦ ، والأعلام ٨٨/٧.

(٣) هو مهذب الدين أحمد بن عبد الرضى ، فقيه إمامي ، من أهل البصرة ، كان حيًا سنة ١٠٨٨ هـ ، انظر أعيان الشيعة ٤٨٨/٨ ، والأعلام ١/ ١٥٠.

(٤) هو أحمد بن عبد المنعم بن صيام بن يوسف ، شيخ الجامع الأزهر في زمانه ، كان عالماً كثير التصانيف ، توفي سنة ١١٩٢ هـ ، له ترجمة في سلك الدرر ١٣٥/١ ، والأعلام ١٦٤/١.

ولا يزال هذا الكتاب مخطوطًا ، وتوجد نسخة منه بعمادة شئون المكتبات بالجامعة الإسلامية ، تحت رقم ٤٢٤٩ / ٤ .

(٧٢) نـور الأنـوار في فهم بعض معاني كتاب الله العزيز الغفار : للشبيني [١]

وهو لا يزال مخطوطًا ، وتوجد منه نسخة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ٣٠٢/١ ، (٧٦) ١٠٧٦ ، وهي بخط المؤلف .

(٧٣) ضياء التأويل في معاني التنزيل : للفُلانيّ [٢]

وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط (ق٣ ، ج٣٧/١) ، تحت رقم ٢٠٤١ د .

(٧٤) نفائس الجواهر الحسان البهية في بيان أسرار معاني الآيات القرآنية : للخطيب الجماعي [٣]

وهو مخطوط في التفسير بدار الكتب بالقاهرة (١٧١/٣) ، تحت رقم ٢٠٧٣٠/ ب .

(٧٥) فتح الرحمن في معاني القرآن : للشيخ أبي حُرَيْبَة [٤]

وهذا تفسير لم يتمه صاحبه ، وقد أكمله عالم من علماء القرن الثالث عشر الهجري يعرف بالقحافي [٤] ، وهذا الكتاب توجد نسخة مخطوطة منه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٤ تيمور .

---

(١) هو علي بن شلبي الشبيني ، مفسر، شافعي ، كان حيًا سنة ١١٩٢ هـ ، له ترجمة في الأعلام ٢٩٣/٤ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن فودي الفلانيّ توفي سنة ١٢٤٤ هـ ، كما في عنوان المخطوطة .

(٣) هو الحسن بن إبراهيم بن حسن الجماعي توفي سنة ١٢٦٥ هـ، كما في عنوان المخطوطة.

(٤) هو أحمد الشنتناوي الصرفي ، مفسر ، مصري ، صوفي، توفي سنة ١٢٦٨ هـ ، له ترجمة في الأعلام ١٣٦/١.

(٧٦)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للآلوسي [١]

وهذا كتاب شهير ، طبع مرارًا بحمد الله [٢] .

(٧٧)مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد : لمحمد نووي الجاوي [٣]

وهو كتاب في التفسير ، طبع عدة مرات .[٤]

(٧٨)معاني القرآن بين الرواية والدراية : للشيخ الباقوري [٥]

وهو كتاب مطبوع [٦].

(٧٩)صفوة البيان لمعاني القرآن : للشيخ حسنين مخلوف [٧]

وهو مطبوع [٨].

---

(٤) هو عبد الله بن علي القحافي من علماء القرن الثالث الهجري ، كما هو مثبت بصفحة العنوان في المخطوطة.

(١) هو العلامة أبو الثناء ، شهاب الدين ، السيد محمود أفندي الآلوسي ، شيخ العلماء في بغداد ، كان محدثًا لا يجارى ، ومفسرًا لا يبارى ، ولد ببغداد سنة ١٢١٧ هـ ،وتوفي – بعد عمر قصير – عام ١٢٧٠هـ ، انظر ترجمته في (التفسير والمفسرون١/ ٣٣٣) والأعلام للزركلي٣/١٠١٥

(٢) ومن هذه الطبعات : طبعة إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .

(٣) هو محمد بن عمر نووي الجاوي ، مفسر صوفي ، من فقهاء الشافعية ، توفي بمكة ١٣١٦هـ ، انظر الأعلام ٣١٨/٦ .

(٤) طبع مؤخرا بتصحيح محمد الضناوي بدار الكتب العلمية ١٩٩٧ م .

(٥) هو الشيخ أحمد حسن الباقوري ، من كبار علماء الأزهر ، تولّى وزارة الأوقاف المصرية ، وله كثير من المصنفات ، انظر ترجمته في تتمة الأعلام للزركلي ١ /٣٠ .

(٦) طبع بمركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٦م ، مع مقدمة للدكتور عبد الجليل شلبي .

(٧) هو العلامة حسنين محمد مخلوف العدوي ، كان نائبًا لرئيس المحكمة العليا ، ثم مفتيًا للديار المصرية مرتين ، ولد عام ١٨٩٠م ، وعُمرّ قرنًا كاملاً ؛ إذ توفي١٩٩٠م انظر إتمام الأعلام ١٢٦، ومقالة "شيخ المشايخ" لمحمود حبيب ، بجريدة الأخبار القاهرية ، بتاريخ ٢٠٠١/١٢/٦م)

(٨) طبع على نفقة وزارة الشئون الإسلامية بالكويت عام ١٩٨٧م.

(٨٠) رد الأذهان إلى معاني القرآن : لأبي بكر جومي [١]

وهو مطبوع [٢] .

(٨١) البيان لمعاني كلم القرآن : للشيخ حسين معوض [٣]

وهو مطبوع [٤] .

(٨٢) من معاني القرآن : لعبد الرحيم فودة [٥]

وهو كتاب مطبوع ، جمع فيه مؤلفه بعض المقالات حول القرآن الكريم ، كان قد نشرها في جريدة الشعب في الستينيات من القرن الماضي وهو مطبوع [٦] .

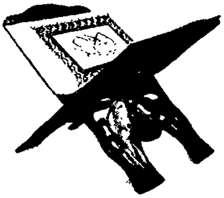

---

(١) هو الشيخ أبو بكر محمود جومي ،كان رئيسًا لقضاة نيجيريا ، ومفتيها ، وعالمًا ومفسرًا ومقرئًا ، ولد عام ١٩٢٢م بجومي وهي بلدة بشمال نيجيريا ،وتوفي عام ١٩٩٢ م ، انظر ترجمته في إتمام الأعلام ٨٢-٨٣ ومقدمة [رد الأذهان] التي كتبها الناشر .

(٢) طبعته مؤسسة غومبي للتجارة ، نيجيريا ، عام ١٩٨٧ م .

(٣) هو الشيخ حسين محمود معوض ، من علماء الأزهر الشريف ، وشيخ الطريقة الخلوتية الدومية .

(٤) طبع بإشراف المؤلف عام ١٩٨٩ م .

(٥) هو عبد الرحيم محمود فودة ، صحفي مصري ، لم أجد من ترجم له .

(٦) طبع الكتاب بدار الكاتب العربي بالقاهرة ، دون تاريخ .

المبحث الثالث

بين معاني القرآن وكتبٍ أخرى مشابهة

تمهيد

حاول العلماء فى كل عصر امتثال أمر الله سبحانه بالتدبر فى أسرار كتاب الله العزيز ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد ٤٧/ ٢٤) وذلك وصولاً للتفسير الصحيح الذي ينبنى عليه عمل المكلف فى الدنيا .

وقد اختلفت مشارب هؤلاء العلماء فى النظر إلى كتاب الله عز وجل ، فمنهم من قصر اهتمامه على التفسير بالمأثور ، ومنهم من جمع بين المأثور واللغة ، ومنهم من اهتم بالغريب فقط ، ومنهم من جعل كل اعتماده أو جله على اللغة ... ، فقدموا لنا ما عرف بكتب معاني القرآن ، ويجدر بنا قبل الحديث عن كتب معانى القرآن تحديد العلاقة بينها وبين الأنواع الأخرى من الدراسات القرآنية التى أشرنا إليها ، كمحاولة لتحديد المفاهيم .

بين معانى القرآن وكتب الغريب :

تهتم كتب غريب القرآن – غالبًا – باللفظة المفردة ، فتبين غامضها ، وتشرح دلالتها ، وربما تستشهد لذلك ببعض الشواهد النثرية أو الشعرية الواردة عن العرب ، بلا توسع في ذلك . ولذا فهي تعد بحق نواة المعاجم

العربية [1] .

وتشترك كتب معانى القرآن مع كتب الغريب فى تلك السمة ، ولكنها تزيد عليها – فى كثير من الأحيان – دراسة اشتقاق الكلمات ، أو بنيتها ، وعلاقتها بغيرها فى السياق ، كما تهتم بالإعراب ، وبالقراءات الواردة فيها ، وربما تذكر بعض لغات القبائل المختلفة ، مما يجعلها نواة لكتب التفسير اللغوية .

فالفرق بينهما يكمن فى اقتصار كتب الغريب – غالبًا – على الكلمة المفردة ، بينما تهتم كتب المعانى – غالبًا – بالتراكيب . ولذا وجدنا أن أكثر من ألّفوا فى المعانى من النحويين ، بينما أكثر من ألّفوا فى الغريب من اللغويين ، الذين يهتمون بالدلالة لا بالنحو بصفة خاصة .

بين كتب المعاني ومشكل القرآن :

ظهر في إطار الدراسات القرآنية اتجاه يسعى لإزالة التعارض المتوهم بين بعض آيات القرآن الكريم ، والرد على من شكك فيه أو في بلاغته ، أو زعم التخالف بين أحكامه ، وممن ألّف في هذا المجال ابن قتيبة صاحب كتاب (**تأويل مشكل القرآن**) الذي قال في بيان سبب تصنيفه : " وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ، ولغوا فيه وهجروا ، واتبعوا ﴿ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ ﴾ (آل عمران ٣ / ٧) ، بأفهام كليلة ، وأبصارٍ عليلة، ونظر مدخول ، فحرّفوا الكلام عن مواضعه ، وعدلوه عن سبله ، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف ، وأدلوا فى ذلك بعلل ، ربما أمالت الضعيف الغمر ، والحدث الغرّ ، واعترضت بالشبه في القلوب ، وقدحت بالشكوك في الصدور ... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله ، وأرمي من

(١) مزيد من الإيضاح حول هذه المسألة ، انظر (تراث غريب القرآن في العربية ، دراسة لغوية) للباحث منير جمعة أحمد في إطار أطروحته للماجستير ، بمكتبة كلية الآداب جامعة المنوفية .

ورائه بالحجج النيِّرة ، والبراهين البيّنة ، وأكشف للناس ما يلبسون ، فألفت هذا الكتاب ، جامعًا لتأويل مشكل القرآن ..." [1]

ويتضح من كلام ابن قتيبة الفرق البيِّن بين كتب المعانى وكتب المشكل، فتأويل المشكل عمل فكرى فى المقام الأول ، يعتمد الحجج العقلية ، والبراهين المنطقية ، وإن كان لا يخلو من تفسير بالمأثور أو باللغة فى بعض الأحيان .

أما معانى القرآن ، فنوع من الدرس اللغوي في الأصل ، ولا اهتمام فيها بالجدل العقلي ، أو الحوار المنطقي ، إلا فى أحوال نادرة ، والنادر لا حكم له !

بين معاني القرآن وإعرابه :

لا شك أن كتب إعراب القرآن وثيقة الصلة بكتب المعانى ، فإن كتب المعانى لا تخلو - في كثير من الأحيان - من التحليل النحوي ، وذكر أوجه الإعراب المختلفة ، ولكن الفرق بينهما أن كتب المعانى تتخذ من الإعراب وسيلة للفهم الإجمالي للتركيب ، وطريقًا لفهم المعاني ، وليس الإعراب — لديها — هدفًا فى حد ذاته .

ولذلك يقول السيوطى عن الإعراب : " ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى ، لأن الإعراب يميز المعانى ، ويوقف على أغراض المتكلمين " [2] .

كما أن كتب المعانى — التى تهتم بالإعراب — لا تعرب كل كلمة ، ولا كلّ آية ، فتلك ليست مهمتها ! على خلاف ما تفعله كتب الإعراب غالبًا ، إذ إن هدفها الأساسي إعراب مفردات القرآن كلمة كلمة ، وهى لا تذكر المعنى — إن ذكرته — لبيان صحة الوجه الإعرابى الذي حُملت الآية عليه ، أي أن المعنى وسيلة للإعراب ،وليس العكس .

وقد حملت عناوين كثيرة من كتب المعانى اسم (**إعراب القرآن**) أيضًا ،

(١) تأويل مشكل القرآن ٢٢ — ٢٣ .

(٢) الإتقان ٢ / ٢٦٠ .

كما نجد فى معانى الفراء والزجاج ، ومعاني ابن أشتة الأصبهانى واسمه (رياض الألسنة فى إعراب القرآن ومعانيه) مما يدل على الصلة القوية التي تربط بينهما.

والمتتبع لحركة التأليف فى (**إعراب القرآن**) يجد أنها تالية للتأليف فى المعانى وأنها كانت مزيجًا من النحو - أصولاً وإعرابًا - وتوضيح المعاني ببيان المعنى اللغوي للكلمات وتحليل الجمل فى كثير من الأحيان ، ثم سارت فى طريق الانفصال والتطور ، حتى استقل الإعراب عن المعانى ، وتحوّلت الأخيرة إلى كتب تفسير [1] .

ولعلّ هذا الانفصال بين المعانى والإعراب يظهر فى أجلى صوره عند الإمام النحاس الذى صنّف في هذا المجال كتابين ، يحمل الأول عنوان : (**إعراب القرآن**) والثاني : (**معاني القرآن**) وكذلك عند الإمام محمود بن أبى الحسن النيسابورى (توفى بعد سنة ٥٥٣هـ) الذى ألّف كتابين كبيرين فى معانى القرآن ، خلط فيهما بين المعانى والإعراب ، وأنواع أخرى من الدراسات القرآنية ، ثم كتب فى أواخر عمره كتابًا ثالثًا جعله خالصًا للمعاني ، وأخلاه من الإعراب ، وسمّاه (**إيجاز البيان عن معانى القرآن**) .

بين كتب المعاني وكتب التفسير :

تشترك كتب المعانى مع كتب التفسير فى أن كلاً منهما يعالج التركيب بالإضافة إلى المفردات ، وأن كلاً منهما يهدف إلى إبراز المعنى الإجمالي ، وتوضيحه بكل السبل الممكنة ، فمجال عملهما واحد في الغالب .

ومع هذه الصلة الوثيقة ، فإن المتأمل المتعمق يلمح اختلافين واضحين بينهما على الأقل:

الأول : أن كتب التفسير - في الغالب - تعد موسوعات كاملة في كثير من علوم القرآن ، فهي إلى جوار بيان المعانى القرآنية وما ورد فيها من آثار ،

(١) النحو وكتب التفسير ١/٥٥ .

تتحدث غالبًا عن أسباب النزول ، والأحكام المستنبطة من الآية ، والناسخ والمنسوخ ، والقراءات المختلفة وتوجيهها ، وربما تجنح إلى الحديث عن الإعراب والصرف ، ولغات القبائل إذا كان المفسّر لغويًّا ، فالمعروف أن التفسير تبع للمفسّر في اتجاهه ومشربه .

أما كتب المعانى فليست واسعة المدى إلى هذا الحد ، فهى لا تعالج الآيات إلاّ معالجة لغوية فحسب ، وإن تعرضت لشيء مما تتعرض له كتب التفسير فبصورة عارضة وبلا توسع فى الغالب .

والثاني : أن كتب التفسير فى الغالب تعالج جميع الآيات فى السورة ، وربما جميع الكلمات فى الآية بلا انتقاء ، وذلك لمعالجتها الشاملة للنص ، على خلاف كتب المعانى التى تنتقى ولا تستقصى ؛ ولذا فقد تتعرض لآية وتترك أخرى فى السورة ذاتها بل ربما تترك سورًا كاملة ، إذا شعر المؤلف أنها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى معالجة أو مزيد بيان من الناحية اللغوية ومع هذا فإن كثيرًا من المؤلفات التى تحمل عنوان (**معانى القرآن**) أو مرادفات ذلك المصطلح ، مثل (**معانى التنزيل**) أو معانى الكتاب... الخ . ليست فى حقيقة أمرها سوى كتب تفسير كاملة ، ولا علاقة لها بكتب المعانى ، إلا بالاسم فقط ، أي أن أصحابها لم يلتفتوا إلى أن (معانى القرآن) مصطلح خاص يدل على منهج خاص فى التأليف، وليس مرادفًا لمصطلح (**التفسير**) ، وهؤلاء ليسوا قلّة على مرّ العصور، مما يعنى أن مصطلح (**معانى القرآن**) نفسه ، قد بدأ يتوسع رويدًا رويدًا عند كثير من المؤلفين حتى أصبح بمعنى مصطلح التفسير تمامًا .

لكن هذا لم يمنع طائفة من العلماء من التمسك بالمعنى الاصطلاحى (**لمعاني القرآن**) فساروا على نهج أصحابه الأوائل ، وهو الأمر الذى جعل ذلك النوع من التأليف موجودًا بسماته حتى عصرنا هذا .

أهـل المعانـــى :

تميّزت كتب معاني القرآن عن غيرها من المصنّفات ، حتى إن أصحابها عرفوا عند كثير من المفسرين باسم (**أهل المعانى**) أو (**أصحاب المعانى**) .

قال الزركشي : " .. حيث قال المفسرون : (قال أصحاب المعانى) فمرادهم مصنفو الكتب فى معانى القرآن ، كالزجاج ومن قبله ، وغيرهم ، وفى بعض كلام الواحدي : أكبر أهل المعاني الفراء والزجاج وابن الأنباري ، قالوا كذا وكذا ، ومعاني القرآن للزجاج لم يصنّف مثله وحيث أطلق المتأخرون (**أهل المعانى**)[١] فمرادهم مصنفو العلم المشهور "[٢] .

وقد استخدم الواحدى مصطلح (أهل المعاني) ، و مصطلح (أصحاب المعاني) كثيراً فى تفسيره (الوسيط فى تفسير القرآن المجيد) ومن ذلك قوله : فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة ٢/ ٧٨): " وقال أصحاب المعاني ذم الله تعالى بهذه الآية قوماً من اليهود لا يحسنون شيئاً ... ففيه حثٌّ على تعلم العلم ؛ حتى لا يحتاج الإنسان إلى تقليد غيره ، وأن يقرأ شيئا لا يكون له به معرفة "[٣] .

وقوله : " وقال أهل المعاني : طاعة الجميع لله تعالى : تكونهم فى الخلق عند التكوين ، إذ قال : " كن فكان كما أراده "[٤] .

وقوله فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[٥]: " وأكثر أهل المعاني ؛ الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا : هذا نفي للسؤال

---

(١) ليس هذا الكلام صحيحًا بإطلاق إذ قد يطلق هذا الوصف على البلاغيين الذين كتبوا في قسم (المعاني) بصفة خاصة ، وممن أطلق عليهم هذا الوصف التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون.

(٢) البرهان ٢/١٤٦ - ١٤٧ ،وانظر الإتقان ٢ / ٣ .

(٣) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد (تحقيق محمد حسن أبي العزم)١/١٣٨.

(٤) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد (تحقيق محمد حسن أبي العزم) ١/ ١٧٩ .

(٥) البقرة ٢/٢٧٣.

أصلاً ، فهم لا يسألون الناس إلحافا ، ولا غير إلحافا ، لما وصفوا به من التعفف ، قالوا : والمعنى : ليس منهم سؤال فيكون إلحافا "[1] .

وفى تفسير القرطبي نماذج كثيرة لإطلاق هذا الوصف على مصنفي كتب معانى القرآن ومنها ما جاء عنده فى تفسير قوله تعالى :﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات ٥١/ ٢٢) حيث قال : " ... وقال أهل المعانى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ ﴾ ومعناه : وفى المطر رزقكم ، سمى المطر سماء ، لأنه من السماء ينزل "[2]

بل إني وجدت طائفة من أصحاب المعاني أنفسهم يطلقون هذا الوصف نفسه فى كتبهم ، ومنهم أبو الحسن علي بن الحسين الشهير بجامع العلوم النحوي ، (ت ٥٤٣هـ) حيث يقول في كتابه (الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات) في معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ (البقرة: ١/ ٢٣) : " الهاء في (مثله) تعود إلى (ما) ، وهو القرآن ، أي فأتوا بسورة مثل القرآن ، فمن زيادة على هذا ، وهو قول الأخفش ، ودليله في الآية الأخرى ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس :١٠/٣٨) ، وقول ثان : فأتوا بسورة من مثل محمد ، فتعود الهاء إلى (عبدنا) من قوله (على عبدنا) فتكون (مِن) لابتداء الغاية أي ابتدئوا في الإتيان بالسورة من مثل محمد ، فهذان قولان قالهما أصحاب المعاني"[3] .

---

(١) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد (تحقيق محمد حسن أبي العزم)١/٣٨٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٧ / ٤١ ،وانظر أمثلة أخرى ١ / ٢٦٣ و٣٢٢ و٣ / ١٣ و٨ /٢٧٤ ، و٩ / ١٠٠ ، و١١ / ١٧٢ ، و١٣ / ١٣ ، و١٥ / ٤٢ و٨٠ .

(٣) الكشف ١ / ١٨٣ .

ومن هؤلاء أبو العلاء الكرماني في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ قال : "وقال جماعة من أهل المعاني : الأرجل معطوفة على الرءوس في الظاهر لا في المعنى "[١].

ومنهم أيضا أبو بكر بن إدريس الذي يقول في تفسير قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾: " وقال أهل المعاني : التقدير : بلى من كسب سيئته ، ولكن خولف بين اللفظين ؛ لأنه أبلغ في العبارة ، والاختيار توحيد الخطيئة ؛ لأن عليه أكثر الأئمة ، ولما ذكرنا من تقدير أهل المعاني"[٢].

وجاء هذا المصطلح أيضًا عند التهانوي في كتابه (**كشاف اصطلاحات الفنون**) في مواضع كثيرة ،منها قوله : " وأهل المعاني على أن صيغ الأمر ثلاثة أقسام : المقرنة باللام الجازمة ، وغير المقترنة بها ، والاسم الدال على طلب الفعل من أسماء الأفعال "[٣].

واختصاص هؤلاء العلماء بلقبٍ خاص ، دلالة على مدى تأثير كتب معاني القرآن في غيرها ، وعلى مدى تقدير العلماء لمصنفيها ، بالإضافة إلى ما تشير إليه تلك الصفة من اتحاد تلك الكتب في المنهج والمحتوى ، حتى أصبح لها سمتٌ خاص تعرف به ، ولا عجب في ذلك فهي تشترك جميعًا في تحليل النص القرآني ، وتسهيل فهمه ، وتوطئة معناه للدارسين ، وضبط موازين قراءاته ، وتحقيقها وفق الأسلوب العربي ، ولذا فقد عُدّت مرحلة رافدة ، هيأت لنشاة التفسير بمعناه الفني المتكامل[٤] .

(١) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ١٥٢ .
(٢) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ٧ (أ) .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ١/٩٩ .
(٤) انظر النحو وكتب التفسير ١ / ٥٢٩ – ٥٣١ .

المبحث الرابع

دواعي التأليف في معاني القرآن وبداياته

بدهيٌ أن وراء كل كتابٍ من كتب معاني القرآن قصة – علمناها أو لم نعلمها – تتضمن السبب الذي حدا بالمصنف لاختيار المعاني كميدان للكتابة والتصنيف . غير أن تتبع حركة التأليف عند أصحاب المعاني ، وقراءة مقدمات كتبهم ، وما ذكر عنهم في كتب التراجم يمكن أن يساعد في استنباط مجموعة من الأسباب الهامة التي أسهمت في إيجاد تلك الكتب التي تمثل اتجاهًا خاصًا في حقل الدراسات القرآنية عرف بمعاني القرآن ، والجدير بالذكر أن كل سبب من هذه الأسباب يصدق – على حدة – على مجموعة من تلك المصنفات، **ومن أهم تلك الأسباب** :

(١) مجالس الخلفاء والوزراء :

فقد كان من الشائع أن يصطفى الخليفة أو الوزير مجموعة من العلماء المقرّبين، يحضرون مجالسه ؛ ويكونون أهل ثقته ومؤانسته ، وكثيرًا ما كانت تجري حوارات ، وتثور سؤالات بين الحاضرين، ويُطلب من العلماء المتخصصين أن يدلوا بدلوهم فيها ، كما حدث مع الكسائي (ت ١٨٩هـ) الذي كان على اتصال بالخليفة هارون الرشيد ، حتى جعله هارون مؤدّبًا لولديه ، ثم نقله من مرتبة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين ، وكان وزير الخليفة يحيى بن خالد بن برمك يلقى على الكسائي كثيرًا من الأسئلة ، حول القرآن ومعانيه ؛ فان تباطأ في الإجابة. عنها عتب عليه ؛ وان أسرع فيها خاف من

الوقوع في الخطأ ، حتى وجده تلميذه الفراء يبكي من هذا الحرج الذي يقع فيه ، وينتابه فيه نوعان من الخوف : خوف الله سبحانه ، وخوف الوزير : فأراد الكسائي من صاحبه الأخفش أن يسعفه بما يخرجه من هذا الحرج ، بتأليف كتاب في معاني القرآن ، ليس لقِصر باع الكسائي ، ولا لقلة بضاعته ، وإنما ليأنس بمشاركة الأخفش– وهو من هو – له [1].

وكما كان ذلك سببًا في تأليف معاني الأخفش، فقد أُلِّف (**معاني القرآن**) للفراء (ت٢٠٧هـ) لسبب قريب من هذا ، فقد كان للفراء صاحب يدعى عمر بن بُكَير، وكان هذا الصاحب يعمل كاتبًا للوزير الحسن بن سهل ، في خلافة المأمون، وكان الوزير يسأله عن أشياء في القرآن لا يحضره جوابٌ عنها : فقال لشيخه : " فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً ، أو تجعل لي في ذلك كتابًا نرجع إليه ، فعلت " [2]

كما نجد نماذج أخرى لتأثير الوزراء في تصنيف كتب معاني القران ، عند أبى معاذ الفضل ابن خالد المروزي [3] (ت ٢١٠ هـ) ، وأبى المنهال عيينة بن المنهال [4] (ت. بين عامى٢١٤ هـ . ٢٣٠هـ) ، فقد صنّف كل منهما كتابه في معاني القرآن لإسحاق بن إبراهيم الطاهري .

وكذلك عند أبى الحسن عبد الله بن سفيان الخزّاز النحوي (ت ٣٢٥ هـ) ، الذي ذكرت بعض المصادر أنه ألّف كتابه في المعاني للوزير أبى الحسن علىّ بن عيسى الجرّاح [5]. وأخيرًا عند أبى نصر منصور بن سعيد (ت ٤٢٢ هـ) الذي وضع (**تاج المعاني في تفسير السبع المثاني**) تلبية لرغبة القائد أبى على حكم.

---

(١) انظر إنباه الرواة ٢ / ٢٦٦ .

(٢) طبقات الزبيدي ١٤٥ .

(٣) انظر الفهرست لابن النديم ٣٤.

(٤) انظر معجم الأدباء ١٦/ ١٦٥ – ١٦٧ .

(٥) انظر الفهرست لابن النديم ٨٢ ، وإنباه الرواة ٢ / ١٣٥ ، والداودي ١ / ٢٤٧ .

(٢) الانتصار للمذهب

ينتمي أصحاب معاني القرآن لمدارس نحويةٍ ، وطوائفَ دينيةٍ شتّى ، ومن البدهيِّ أن صاحب كل فكرةٍ يحاول إذاعتها ، والانتصار لها ما أمكنه ذلك . ولذا فإن كتبهم تزخر بتقرير أصول مذاهبهم في النحو أو في العقيدة .

فأما المدارس النحوية التي ينتمي إليها مصنفو المعاني ، فأبرزها ثلاث :

أ - **المدرسة البصرية** ، ويمثلها رءوس كبارٌ من أعلامها المعدودين ، ومنهم الأخفش ، وقطرب ، والمبرد ، وابن درستويه.

ب - **المدرسة الكوفية** ، ويمثلها مؤسسوها الأوائل ، ومنهم : أبو جعفر الرؤاسي ، والكسائي ، والفراء ، وثعلب .

ج - **المدرسة البغدادية** ، ويمثلها رائدان كبيران من روّادها الأوائل – وإن كان فيهما ميل للبصريين – وهما الزجّاج والنحاس .

وكلّ واحد من هؤلاء ، مع كونه علمًا كبيرًا في النحو ، وصاحب آراءٍ خاصة أحيانًا ، لكنه كان حريصًا كلّ الحرص على نشر قواعد مدرسته ، فلو نظرت في معاني الأخفش لوجدت أصول المدرسة البصرية ومصطلحاتها بارزةً جليّةً ، ولو تأملت في معاني الفراء ، لوجدته يضم أصول المدرسة الكوفية ، ويقررها ، كما لا تجد في كتاب آخر ، وأما الزجاج ، فمع أنه عاش في بدايات التقاء المذهبين الكوفي والبصري ، الذي سُمّي بالمذهب البغدادي ؛ فقد غلبته نزعته البصرية في كتابه ، فكان ينتصر للبصريين دائمًا ، ويردّ على الكوفيين ردودًا عنيفةً أحيانًا وبخاصة الكسائي والفراء .

وقد بلغ الحماس للبصريين بابن درستويه أن يصنّف كتابًا - لم يصل إلينا - ينتصر فيه للبصريين ويردّ على الفراء وأسماه : (**الرد على الفرّاء في المعاني**)

وأما الطوائف الدينية التي ينتمي إليها أصحاب المعاني – من غير أهل السنة والجماعة – فمن أبرزها :

أ -**المعتزلة** : ويمثلها مؤسسها وزعيمها واصل بن عطاء ، فقد ذكرت له كتب التراجم كتابًا بعنوان (**معاني القران**) ، كما مر بنا ، ربما حاول فيه الدعوة لمذهبه الاعتزالي ، ولم يصل إلينا ذلك الكتاب ، ويمثلها كذلك الأخفش الذي كان قدريًا ، كما جاء في ترجمته، وكما يبرز من كتابه في المعاني ، فقد دافع عن قضايا اعتزالية كثيرة ، ولكن بنبرة هادئة . وكذلك أبو علي الفارسي في كتاب (**الإغفال**) الذي ردّ فيه على الزجاج لاختلاف العقيدة ، فيما يبدو !.

ب - **الشيعة** : ويمثلها أبان بن تغلب ، اللغوي الشهير ، الذي نسب للشيعة الإمامية ، وأبوجعفر الرؤاسي ، المؤسس الأول لمدرسة الكوفة، وأستاذ الكسائي ، وقد كان شيعيًا معروفًا ، وأمّا الثالث ، فهو نجم الدين الطوفي الذي كان تلميذًا لأبي حيان الأندلسي ، وسمع من ابن تيمية ، واتهم بالتشيع ، لكن بعض المحققين ينفي عنه ذلك [1].

وأكثر أهل المعاني ممن لم نشر إليهم هنا هم من التيار الغالب لدى المسلمين – والحمد لله – من أصحاب العقيدة الصحيحة .

ولا عجب أن يحاول كل صاحب مذهب أن يربط مذهبه بالقرآن الكريم ، من خلال الكتابة في (**معاني القرآن**) فأي انتشار يتوقع لفكرة تُجمع مع القرآن في كتاب واحد ؟ !

وقد صدق الإمام أبو طالب الطنزي حين قال : " ... وإن كان متهمًا بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته ، كدأب القدرية ، فإن أحدهم يصنّف الكتاب في التفسير ، ومقصوده منه الإيضاع خلال المساكين ،

(١) ومنهم الدكتور محمد بن خالد ، في مقدمة تحقيقه كتاب (الصعقة الغضبية) للطوفي .

ليصدّهم عن اتّباع السلف، ولزوم طريق الهدى ... "[1].

(٣) الحاجة إلى التفسير اللغوي :

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : " التفسير على أربعة أوجهٍ : وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاّ الله "[2] ويعني كلام ابن عباس ﷺ هذا أن من زعم أن النبي ﷺ قد فسّر للصحابة كل معاني القرآن فقد أبعد النجعة ! " وإنما فسّر لهم النبي ﷺ بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم، وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم، وفسّر لهم أيضًا كثيرًا مما يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء، ويرجع لاجتهادهم "[3].

وقد ناقش الشيخ الذهبي رحمه الله أدلة القائلين بأن النبيّ ﷺ قد بيّن كل معاني القرآن، وأدلة مخالفيهم القائلين بأنّه صلى الله عليه وسلم لم يبيّن إلاّ القليل منها، وانتهى إلى أن النبيّ ﷺ بيّن كثيرًا من المعاني القرآنية، ولم يبيّنها كلها، وقال : " هذا .. وإنّ مما يؤيد أن النبيّ ﷺ لم يفسّر كل معاني القرآن أنّ الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض الآيات، ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله ﷺ ما وقع هذا الاختلاف، أو لارتفع بعد الوقوف على النص "[4].

ولعلّ نشأة كتب " **معاني القرآن** " إنما كانت من هذا الباب الذي تحدّث عنه ابن عباس ﷺ : " وجه تعرفه العرب من كلامها " .

فمعلوم أن اعتماد المفسرين الأكبر كان على التفسير المأثور، لأن الأخذ به أسلم وأحوط، لكنّ التفسير المأثور - كما رأينا - لم يكن ليشمل

---

(١) مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ٢ / ٥٣٤ .

(٢) تفسير الطبري ١ / ١٥

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي ١ / ٥٥ .

(٤) التفسير والمفسرون للذهبي ١ / ٥٥ - ٥٦ .

كل آية ، ولا ليتناول كل لفظة . من هنا كانت الحاجة الملحة لإجابة شافية عما كان يدور في مجالس العلم والأدب من أسئلةٍ حول النص القرآني ، لفظًا وكلامًا مركبًا ، مما لا وجود له في المأثور من التفسير ، إذ إن الإعراب وأوجه القراءات ، والصرف واللغة ، ليست من اهتمام ذلك النوع من التفسير في شيءٍ في الغالب.

وأدت هذه الدوافع القوية لإيجاد تلك الكتب المتخصصة التي تعالج النص القرآني بأسلوب النحاة والأدباء ، وقد وقف منها بعض الفقهاء والمحدثين موقف الرفض ؛ لأن تلك الكتب . من وجهة نظرهم - تصرف الآيات عن ظواهرها إلى معانٍ محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ، ولا يوجد غالبًا إلاّ في الشعر ونحوه ؛ ويكون المتبادر خلافها ، وهذا احتياط واجبٌ - فيما نرى - ولهذا نُقل عن الإمام أحمد في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان ، إحداهما بالمنع والأخرى بالإباحة [1] ، ولعلّ المنع كان للأسباب التي ذكرناها ، ويؤيد ذلك قول الإمام ابن تيمية في " إرجاع أكثر الخطأ في التفسير بالاستدلال أو بالرأي إلى سببين :

" **أحدهما** : قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها ، **والثاني** :

قوم فسّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه ، من غير نظرٍ إلى المتكلم بالقرآن ، والمنزل عليه ، والمخاطب به " [2]

ولعلّ السبب الأوّل الذي ذكره الإمام ابن تيمية ينطبق كل الانطباق على كتب المعتزلة والشيعة وأشباههم من الفرق الضالّة عن عقيدة أهل السنة ، وأما السبب الآخر ، فلا أراه ينطبق إلاّ على كتاب أبي عبيدة في مجاز القرآن ، الذي انتقده كثير من العلماء على مر العصور ، أما كتب معاني القرآن فلا

(١) انظر النحو وكتب التفسير ١ / ٥٤١ – ٥٤٢ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير ٧٩ – ٨٠ .

يكاد يوجد فيها من ذلك - في نظري - إلا القليل .

من أجل ذلك تلقاها الناس تلقيًا حسنًا ، حتى إن المصادر لتذكر أن الفرّاء بمجرد أن شرع في إملاء كتابه في المعاني ، أقبل الناس على درسه إقبالاً عظيمًا ، وقال أحد تلامذته : " فأردنا أن نعدّ الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني ، فلم يُضبط ، فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيًا "[1] .

والمتأمل في كتب المعاني يدرك أنها اهتمت بالمأثور إلى جانب اهتمامها باللغة ، ولم تأخذ بمطلق اللغة وحدها كما يتبادر إلى الأذهان . ولذلك فقد سدّت فراغًا كبيرًا كان دارسو القرآن يتشوّقون لسدّه .

بداية التصنيف في المعاني

بدأ تناول النص القرآني -كما أشرت فيما سبق - بطبقة أصحاب التفسير الأثري ، الذين كانوا يرون ما جاء في الآية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو عن الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - ،بالسند الكامل ، " ثم انتصبت طبقة بعدهم إلى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد ،محذوفة الأسانيد "[2] كالأخفش والكسائي وقطرب والفراء والزجاج ... إلخ . وقد توافقوا جميعًا على تسمية كتبهم تلك باسم (معاني القرآن).

غير أنه يصعب الجزم بمن سبق منهم إلى ذلك ، فكتب التراجم - في هذه النقطة - لا تروي الغليل ،ولا تشفي العليل !

فالخطيب البغدادي يرى أن أوّل من صنّف في المعاني أبو عبيدة معمر بن المثنى[3] ، وقد ذكر ابن النديم[4] لأبي عبيدة ثلاثة كتب في القرآن: (مجاز

(١) تاريخ بغداد ١٤ / ١٥٢ .

(٢) كشف الظنون ١ / ٣٠٠ .

(٣) انظر تاريخ بغداد ٢ / ٤٠٥ .

(٤) انظر الفهرست ٣٤ - ٣٥ ، ٥٣- ٥٤ .

القرآن) ، و(غريب القران) ، و(معاني القران) ، فهل هذه الأسماء لكتابٍ واحد؟ يؤكد ذلك الرأي محقق كتاب المجاز ، حيث يرى أنها أسماءٌ ثلاثة لمصنّف واحد ، هو(مجاز القرآن) وكل واحد سمّاه بأظهر جوانبه إليه [1] .

على حين يذكر القفطي روايةً عن أبي حاتم السجستاني (تلميذ الأخفش) ، ربما تزكي أنّ أبا لأبي عبيدة كتابًا في المعاني ، مؤلّفًا قبل المجاز ، إذ يقول : " وأخذ الأخفش كتاب أبي عبيدة في المعاني : فأسقط منه شيئًا ، وزاد شيئًا ، وأبدل شيئًا ، قال : فقلت له : أي شيءٍ هذا الذي تصنع من هذا ؟ من أعرف بالعربية : أنت أو أبو عبيدة ؟ فقال : الكتاب لمن أصلحه ، وليس لمن أفسده ، قال فلم يُلتفت إلى كتابه وصار مُطّرحًا " [2] .

وهي رواية يصعب عليّ تصديقها ، إذ تُحيط بها ظلال الشك من كل جانب ، فمثل هذا الصنيع من عالم كبير كالأخفش لا يُتَخَيّل ، وبخاصة أن الاتهام قد جاء من أبي حاتم وهو – عند من يقرأ ترجمته بإمعان – همزةٌ لمزةٌ ، لم يترك أحدًا من كبار عصره إلاّ شنعَ عليه [3] كما أن هذا الحوار يصعب إدارته بهذه الطريقة بين أستاذ كبير معظّم لدى البصريين والكوفيين على حدٍ سواء ، وبين تلميذ لم يكن قد بلغ في العلم شأنًا يذكر ، فضلاً عن أن وصف السجستاني لكتاب أستاذه بأنه (فلم يُلتفت إلى كتابه وصار مُطّرحًا) مخالف للواقع ، فقد ذاع كتاب الأخفش ، وتلقته أيادي العلماء بالقبول [4] ـ على مر العصور ـ حتى وصل إلينا ، ولم يُفقد كما فقد معاني أبي عبيدة ، إن كان له كتابٌ بهذا الاسم أصلاً . فربما كان السجستاني يقصد كتاب المجاز ، لأنه

---

(١) انظر مقدمة تحقيق المجاز ١ / ١٨ .
(٢) إنباه الرواة ٢ / ٣٧ ، ٣٨
(٣) انظر مقدمة تحقيق (معاني القرآن) للأخفش (د. فائز فارس) ١ / ٢٧ .
(٤) وقد أفاد منه كبار اللغويين والنحاة والمفسرين في كتبهم ، انظر تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق الدكتور عبد الأمير الورد لمعاني الأخفش ١ / ١١٤ – ١١٦ .

صالح لتمثيل ما تدل عليه العناوين الثلاثة السابقة ، وقد جاءت هذه القصة في (طبقات النحويين واللغويين) للزبيدي ، وليس فيها ذكر للمعاني ، بل جاء فيها : " كان الأخفش قد أخذ كتاب أبي عبيدة في القرآن ...." [1] .

على أية حال ، فالأمر يسهل التحقق منه عند مقارنة الكتابين بعضهما ببعض .

" وبالنظرة العجلى في كتابي أبي عبيدة والأخفش ، نرى اهتمام أبي عبيدة منصبًّا في أكثره على الغريب ، معنيًّا برواية الشعر ، أما كتاب الأخفش، فيمكن أن نعدّه أقدم مصنّف وصل إلى عصرنا ، جامعًا بين دفتيه دراسة لغوية شاملة " [2]

غير أن هذا لا ينفي تأثر الأخفش بمجاز أبي عبيدة في مواضع متعددة من كتابه ، وهو أمر معتاد بين المؤلفين : فان الفراء يبدو في معانيه شديد التأثر بالأخفش أيضًا ، ولم يتهمه أحدٌ بالسرقة أو التلفيق [3] !

بل إن الكسائي نفسه لم يستنكف أن يطلب من الأخفش تأليف كتابٍ في المعاني ، ليأنس به في إجاباته على أحد وزراء الخليفة من ناحية ، وليتخذ منه نموذجًا يحتذيه في الكتابة في المعاني من ناحيةٍ أخرى ، وقد سبق ذكر هذا من قبل .

ومهما يكن من شيء ؛ فإن الأخفش – بلا ريب – أسبق تأليفًا في المعاني من الكسائي والفراء ، لكنّ هذا ليس دليلاً على أسبقيته المطلقة في التأليف في المعاني – وإن استثنينا أبا عبيدة بسبب الشك في وجود كتاب في المعاني له – فإن القفطيّ يرى أن قطرب بن المستنير كان أسبق من الأخفش في التأليف ،

---

(١) طبقات النحويين ٧٤ – ٧٥ .

(٢) مقدمة تحقيق معاني الأخفش د. فائز ١ / ٥٥ .

(٣) انظر المقارنة التي عقدها الدكتور عبد الأمير الورد بين الكتابين في مقدمة تحقيقه لمعاني الأخفش ١ / ٩٤ – ٩٩ .

وكذلك يرى الخطيب البغدادي إذ يقول : " ... وذلك أن أوّل من صنّف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ثم قطرب بن المستنير ، ثم الأخفش ، وصنّف من الكوفيين الكسائي ثم الفراء ، فجمع أبو عبيد من كتبهم ... [1] "

وقطرب أسبق وفاةً من الأخفش ، إذ توفي سنة ٢٠٦ هـ ، بينما توفي الأخفش سنة ٢١٥ هـ أو ٢٢١ هـ ، غير أن هذا لا يعني شيئًا ذا بال ، فمعلومٌ " أن التقدم في الوفاة لا يعني السبق في التأليف على من يعاصره ، أو يقاربه في الوفاة [2] " وليس لدينا – للأسف – توثيقٌ لتاريخ تأليف كتاب كلٍ منهما على وجه الدقة !

ولكنّ الذي يدعو للحيرة ، ليس الخلاف السابق في أول من صنّف في المعاني ، وإنما إغفال بعض الأسماء التي ذكرت المصادر أنها من أصحاب المعاني، كواصل بن عطاء ، رأس المعتزلة المعروف ، وقد توفي (١٣١ هـ) ، وأبان بن تغلب (ت. ١٤١ هـ) ، ويونس بن حبيب (توفي ١٨٢ أو ١٨٣ هـ)

فأما يونس بن حبيب ، اللغوي النحوي الشهير ، وأحد شيوخ الأخفش ، فيمكن أن نتفهّم تجاهله من قبل هؤلاء ، بسبب معاصرته لقطرب والأخفش ، ولا ندري من منهم ألّف كتابه قبل صاحبيه ! فاحتمال أن يكون قد تأخّر عنهما في التأليف قائم ، وليس بعيد الحدوث .

أما واصل وأبان ، فأغلب الظنّ أن إغفال ذكرهما يعود لأحد سببين :

الأوّل : أنهما ليسا من النحويين ، وإن كان الأول أديبًا خطيبًا ، والثاني لغويًا كبيرًا ، وهذا ما يفسّر عبارة الخطيب البغدادي : " أول من صنّف في ذلك من أهل اللغة " ، إذ يبدو أن التأليف في المعاني ارتبط عند بعضهم بالنحويين خاصة من بين أهل اللغة !

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٤٠٥ وقد نقل عنه القفطي هذا الرأي في إنباه الرواة ٣ /١٤ – ١٥ .
(٢) النحو وكتب التفسير ١ / ١١٢ .

والثاني : أن يكون ذلك راجعًا للشك في صحة نسبة الكتاب لصاحبه ، عند كل منهما ، مع أن كتاب واصل ذكره له ياقوت في معجم الأدباء ، والداودي في طبقات المفسرين .

وكتاب أبان ذكره ابن النديم في الفهرست -وكفى به- والداودي في طبقاته أيضًا !

وبعد ، فهل أستطيع أنا أيضًا أن أهضم حق واصل وأبان ، مع كونهما ليسا معاصرين ، أو قريبين من تاريخ وفاة قطرب أو الأخفش ؟ (1)

أخشى أن يكون تجاهلهما بسبب عقيدتهما ، فواصل ، زعيم المعتزلة ، وأبان كان من الشيعة الإمامية ، وهو سبب كافٍ فيما يبدو !

وإن كان هذا السبب ضعيفًا عند بعض العلماء ، لكنه ينضاف لسابقيه في ما يمكن أن أسميه محاولة لإزالة الحيرة من موقفٍ غير مفهوم !

وعلى هذا فالراجح عندي أن واصلاً هو أول من ابتدأ هذا اللون من التصنيف ، وتبعه أبان بن تغلب ؛ إذ يصعب القول بغير هذا في ضوء القرائن السابقة ، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر .

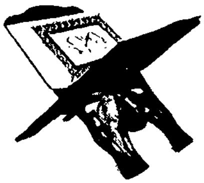

(1) فواصل بن عطاء مثلاً توفي سنة ١٣١ هـ ، والأخفش ٢١٥ أو ٢٢١ هـ ، وهو فارق زمنيٌّ شاسعٌ وحاسمٌ فيما يبدو !

مناهج المصنفين في معاني القــرآن

ويتضمن فصولاً أربعة :

الفصل الأول | كتب خالصة في المعاني .

الفصل الثاني | كتب تجمع بين المعاني وغيرها .

الفصل الثالث | كتب واهية الصلة بالمعاني .

الفصل الرابع | كتب في التفسير تحمل اسم المعاني .

تمهيد

ربما ظن ظانٌّ أن كتب معاني القرآن قليلة العدد لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة أو اليدين على أقصى تقدير!

إلاّ أن الحقيقة أن تراث معاني القرآن في العربية ضخم في العدد، ومتنوع في الاتجاه أما ضخامته؛ فيكفي أن نعلم أن عدد المصنفات التي تحمل عنوان (**معاني القرآن**)، أو أحد مرادفاته – مما أمكنني حصره – يُربى على سبعين كتابا.

ولكن كثيرا من هذه الكتب الثمينة فُقد - بكل أسف - ولم يصل إلينا، كمعاني الكسائي وقطرب والمبرد وابن الأنباري وثعلب وابن درستويه، وغيرهم من أعلام العربية الكبار!

أما ما وصل إلينا، وحفظته لنا يد الدهر، فلا يكاد يتجاوز الثلاثين إلا بقليل وبعضها مطبوع، كمعاني الأخفش والفراء والزجاج والنحاس وبيان الحق النيسابوري ... الخ

وبعضها لا يزال مخطوطا لم ير النور بعد!

وأما ناحية تنوع ذلك التراث؛ فلأن الكتب التي تحمل اسم معاني القرآن في عناوينها لا تسير على وتيرة واحدة، ولا تتبع منهجا واحدًا تطرد عليه في التصنيف، بل تنحو مناحي شتّى، ولو أراد الباحث المتابع لحركتها أن يلم شعثها، ويحدد مساراتها، من خلال تلمس بعض الملامح العامة التي تميز كل طائفة منها، لقاده ذلك إلى وضعها تحت أنواعٍ أربعة تنظمها، وهي:

١ - كتب خالصة في معاني القرآن.
٢ - كتب تختلط فيها المعاني بغيرها.
٣ - كتب تفسير تحمل اسم المعاني.
٤ - كتب واهية الصلة بالمعاني.

وكل نوع من هذه الأنواع الأربعة يقع تحته مجموعة من المصنفات متشابهة الملامح إلا أن بينها فروقًا يسيرة، وسأعقد - بإذن الله - لكل نوع من هذه الأنواع فصلاً مستقلاً، أتحدث فيه عن الكتب التي يضمها، واحدًا في إثر الآخر.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

كتب خالصة في معاني القرآن

أشرت فيما سبق إلى الضوابط الثلاثة التي لابد من تحققها ؛ ليمكن القول إن هذا الكتاب ، من كتب معاني القرآن ، بالمعنى الاصطلاحي ، وهي :

١ - أن يحمل عنوان الكتاب اسم المعاني ، أو أحد مرادفاته.

٢ - ألا يقتصر المصنف على معالجة المفردات ، وإنما يضم إليها المركبات.

٣ - أن يكون التناول لغويًا بالأساس.

فإن وَجَدت كتابًا في تراثنا تنطبق عليه الشروط ؛ فهو كتابٌ خالصٌ في المعاني ، ولا يقدح في ذلك الوصف أن يُغلّب المصنف قضايا النحو في كتابه على ما عداها ؛ لأن تحليل الآيات نحويًا أو لغويًا ، ليس أمرًا دخيلاً على كتب المعاني ، بل هو جزءٌ لا يتجزأ من طبيعة بنائها.

وعلي هذا فسوف أتناول - بإذن الله - هذه الكتب التي تنطبق عليها شروط المعاني وسأقسّمها قسمين :

الأول : كتب تزخر بقضايا النحو والإعراب .

الثاني : كتب تقتصر على تناول المعاني .

ويتضمن القسم الأول الكتب التالية :

١ - معاني القرآن للأخفش .

٢ - معاني القرآن للفراء .

٣ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج .

٤ - الإغفال لأبي على الفارسي .

٥ - الفيض العميم في معنى القرآن العظيم للدمنهوري .

أما القسم الثاني فيشمل الكتب الآتية :

١ - معاني القرآن لأبي جعفر النحاس .

٢ - إيجاز البيان عن معاني القرآن لبيان الحق النيسابوري .

٣ - صفوة البيان لمعاني القرآن لحسنين مخلوف .

أولاً : كتب في المعاني تزخر بقضايا النحو والإعراب

(١) معاني القرآن

للأخفش الأوسط (المتوفى سنة ٢١٥ هـ)

لعلّ كتاب (**معاني القرآن**) للأخفش أقدم مصنف وصل إلى عصرنا جامعًا بين دفتيه دراسة لغوية شاملة للقرآن الكريم .

وأغلب الظن أن كتاب الأخفش أُلّف في أواخر القرن الثاني الهجري ، بين سنة وفاة سيبويه (١٨٠ هـ) وسنة وفاة الكسائي (١٨٩ هـ أو ١٩٣هـ).

ولا تذكر لنا المخطوطة اليتيمة التي حفظتها يد الدهر شيئا عن أسباب تأليف الكتاب ، أو عن منهج الأخفش فيه ، إذ إنها تبدأ بتفسير البسملة مباشرة!

لكنّ الأخفش نفسه يروي قصة تأليف الكتاب فيما ينقله عنه الزبيدي ، فيقول ، " فلما اتصلت الأيام بالاجتماع [يعني بينه وبين الكسائي] ، سألني أن أؤلّف له كتابا في معاني القرآن ، فألفت كتابي في المعاني ، فجعله إمامًا ، وعمل عليه كتابه في المعاني ، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما "[١] .

وبهذا النص نتبين أن الأخفش ألّف كتابه هذا استجابة لطلب الكسائي ، أما منهجه في الكتاب فنستطيع أن نتوصل إليه من خلال دراسة الكتاب بتأنٍ ورويّة.

يبدأ الكتاب بتفسير سورة الفاتحة ، ويسير على الترتيب المصحفي المعهود إلى سورة الناس ثم يختم الكتاب بتناول بعض ألفاظ دعاء القنوت ولفظة (آمين)[٢] ، ولم يخرق هذا الترتيب إلا تناوله لسورة العلق قبل البيّنة .

وهو لا يتناول من السورة إلاّ ما يود التعليق عليه ، ولا يتناول من الآية إلاّ الموضع الذي يرى فيه إشكالاً يحتاج إلى تعليق أو دراسة لظاهرة لغوية معينة .

---

(١) طبقات الزبيدي ٧.

(٢) انظر معاني القرآن للأخفش (د. عبد الأمير) ٢ / ٧٤٧ – ٧٤٩ .

وأسماء السور عنده ليست - في الغالب - هي الأسماء المتداولة اليوم، وإن كانت ذائعة في زمانه، فهو يسمي التوبة : براءة، والإسراء : بني إسرائيل، وفاطر : الملائكة، وغافر: حم المؤمن، وفصلت : السجدة، والشورى : حم عسق ... إلخ [1] .

وكعادة المفسرين القدامى كان الأخفش يسهب ويفصل عند تناوله للسور الأولي، وبخاصة سورة البقرة، ثم يوجز في تناوله للسور التالية .

وربما كان السبب في ذلك يرجع إلى أن الأخفش كان ينتهز فرصة مروره بظاهرة لغوية معينة، أو مسألة نحوية خاصة، ليعمم الحديث في موضوعها، ويفصل في أحكامها، واضعًا لها عنوانا خاصًا، ثم يعود إلى تناول الآيات بالترتيب - في الغالب - مرة أخرى . ولعلّ الأخفش أولّ من فعل ذلك فيما وصل إلينا من مؤلفي **معاني القرآن**، وربما يكون آخرهم أيضا، إذ لا نكاد نجد أحدًا سار على هذه الطريقة باطراد كما فعل هو في هذا المصنف المتفرد !

ومن أمثلة الدراسات اللغوية التي جعل لها الأخفش عنوانات مستقلة.

١) باب من المجاز.
٢) باب الاستثناء.
٣) باب الدعاء.
٤) باب الفاء.
٥) باب الإضافة.
٦) باب المجازاة.
٧) باب أنا وأنت وهو.
٨) باب الواو .
٩) باب اسم الفاعل .
١٠) باب إضافة الزمان إلى الفعل.
١١) هذا بابٌ من التأنيث والتذكير.
١٢) باب (أهل) و(آل).
١٣) باب الفعل .
١٤) باب زيادة (مِنْ).
١٥) هذا باب من تفسير الهمز.
١٦) باب (إنّ) و(أنّ).
١٧) باب من الاستثناء.
١٨) باب الجمع .
١٩) باب اللام [2]

---

(١) انظر مقدمة معاني الأخفش للدكتور فائز فارس ٦٠ – ٦١

(٢) انظر معاني الأخفش (د . فائز) من ٥٤ – ١٢٦ .

وللأخفش مصطلحات كثيرة ليست متداولة اليوم وإن كانت مشهورة عند القدماء وهاك طائفة من المصطلحات في هذا الجدول المختصر [1]

مصطلح الأخفش	المصطلح المتداول	رقم الصفحة
الابتداء	الاستئناف	٥٩
المجازاة	الشرط	٣٥
جواب الدعاء	جواب الأمر	٣٤٨
الاسم الخاص	اسم العلم	٩٢
الدعاء	النداء	٥٨
التفسير	التمييز	٢٠٩
اللام في مكان (كي)	لام التعليل	١٢٢
ماثل لا يكون للواحد	صيغة منتهي الجموع	٣٢٩
ياء الإضافة	ياء المتكلم	٣٧٥

وهو في شرحه للمعني لا يكاد يستخدم طريقة ذكر المرادف للكلمة، بل يُسهب ويفصل، ويستخدم طريقة التعريف غالبًا، ومن أمثلة ذلك قول الأخفش: "وأما قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ (البقرة: ١/٧) فإن الختم ليس يقع على الأبصار، إنما قال: ختم الله على قلوبهم وعلي سمعهم ثم قال: وعلي أبصارهم غشاوة، مستأنفًا، وقوله (خَتَمَ ٱللَّهُ) لأن ذلك كان لعصيانهم الله، فجاز ذلك اللفظ، كما نقول: أهلكته فلانة، إذا أُعجب بها، وهي لا تفعل به شيئا، لأنه هلك في اتباعها، أو

(١) إن أردت استقصاء المصطلحات فعليك بالجدول الموسع الذي صنعه الدكتور فائز فارس وأورده في مقدمة تحقيقه كتاب (معاني القرآن) للأخفش ١/ ١٢٨ وما بعدها.

يكون (خَتَم) حكم أنها مختوم عليها وكذلك﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة: ١/١٠) على هذا التفسير ، والله أعلم "[١] ولعلّنا نلمح من النص السابق أن الأخفش كان معتزليًّا ، إلاّ أنه يعرض قضايا الاعتزال في كتابه هذا بتعقلٍ ، وبلا تطرف ، ففي قضية خلق القرآن مثلا ، نجد الأخفش يلجأ إلى تأويل جميع الآيات التي تعكّر صفو معتقده ، من ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ (النساء ٤/١٦٤) إذ يقول " الكلام خلقٌ من الله على غير الكلام منك، وبغير ما يكون منك ، خلقه الله ثم أوصله إلى موسي "[٢].

وكتاب الأخفش حافلٌ بآراء مؤلفه في أفرع اللغة المختلفة في الأصوات والدلالة والنحو والصرف ، وهو خير شاهد على تضلّعه في العربية وخصوبة مادته ، وتعدد موارده في الدراسات اللغوية.

وأما النحو ، فالكتاب عمدةٌ في الكشف عن معالم المدرسة البصرية التي يأتي الأخفش على رأسها بعد سيبويه ، ويكفي في التدليل على ذلك تلك الجمهرة من الأبواب التي أشرنا إليها آنفا.

أما الأصوات ، فقد احتفى بها الأخفش كثيرًا ، فوصف مخارج الحروف ومن ذلك قوله : " مخرج الدال بطرف اللسان وأطراف الثنيّتين ، ومخرج التاء بطرف اللسان وأصول الثنيتين "[٣]

كما فصّل القول في الهمزة وأحوالها[٤] وتحدث عن المغايرة من خلال استثقال الضمتين وتحويل الثانية إلى فتحة[٥] والمماثلة في الصوائت في إتباع

---

(١) معاني الأخفش (د . فائز) ١ / ٣٤ .

(٢) معاني الأخفش (د. فائز) ١ / ٢٤٨ .

(٣) معاني الأخفش (د. فائز) ١ / ١٠٧.

(٤) انظر على سبيل المثال: معاني الأخفش (د. فائز) ١/١٨و٤١– ٤٥، و٢/٣٠٨، و٣٣٧ .

(٥) انظر معاني الأخفش (د. فائز) ١ / ١٠٧ .

الكسرة الكسرة ، وفي الصوامت تحت ما يسمّى بالإدغام [1].

وقد أكثر الأخفش أيضا من تناول المسائل الصرفية ، فدرس بناء الكلمة ، وأوزان الأسماء ، وبين المفرد والجمع وصيغة جمع الجمع ، وتناول التذكير والتأنيث ، وتصغير الأسماء ، وبيّن أبنية الأفعال وأوزانها [2] .. إلخ.

أما الدلالة فكان بدهيًّا أن يحفل الكتاب بها وبظواهرها وكيف لا وهو في (معاني القرآن) ولذا فقد وجدنا معالجة كبيرة للتراكيب من خلال تفسير العبارات في الآيات لإظهار الدلالة السياقية للجمل ، كما نجد معالجة شاملة لدلالات الألفاظ ، فقد درس الأخفش الترادف وضمّن كتابه نماذج كثيرة له [3].

كما اعترف بظاهرة الأضداد ، فهو يقول " شريت هذا المتاع ، أي : بعته ، وشريته : اشتريته ، أيضا يجوز في المعنيين جميعًا ... وكذلك (الجلل) يكون العظيم ويكون الصغير ، وكذلك (السّدف) يكون الظلمة والضوء .... " [4]

وكذلك أورد بعض الأمثلة للمشترك اللفظي ، ومن ذلك قوله : " وقال: ﴿ يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ (البقرة ١/ ١٠٢) لأن كلّ واحد منهما زوج فالمرأة زوج ، والرجل زوج .. " [5].

الاستشهاد عند الأخفش :

يشغل الاستشهاد حيزًا كبيرًا من كتاب الأخفش ، غير أنه يقتصر على الشاهد القرآني والشعري ، ويعرض عن الاستشهاد بالحديث النبوي ،

(١) انظر معاني الأخفش ١ / ٤ و٥٠ .

(٢) انظر بعض الأمثلة لذلك في معاني الأخفش ١ / ١٢٧ و١٨٤ و١٩٩ و٢١٥ و٢٢٦ و٢٢٧ و٢٢٩ و٢/٣١٥ و٣١٦ و٥٣٠ .

(٣) انظر معاني الأخفش ٢ / ٣١٩ و٣٤٠ و٥٣٢ .

(٤) معاني الأخفش (د. فائز) ١ / ١٦٥ – ١٦٦

(٥) معاني الأخفش (د . فائز) ١٤١.

وربما تكون حجته في ذلك البعد عن موطن تزل فيه الأقدام ، لعدم استطاعته التمييز بين الصحيح والموضوع من الحديث ، فإن لهذا رجاله المتخصصين ، وربما لأن الحديث سُمح بروايته بالمعني ، ولسنا هنا في مجال تقرير صحة هذا الموقف أو خطئه ، فالمدرسة البصرية كلها تسير على المنوال ذاته !

كما أنه أهمل الاحتجاج بأمثال العرب ، ربما لأنها وردت محكية ، أو كما قال ابن برهان: " والأمثال تشذّ كثيرًا وتشوّه لتسير[1] "

غير أن هذا لا يعني رفض الأخفش لأقوال العرب ، فإنه يورد كثيرًا منها ، ويهتم بلغات القبائل اهتماما كبيرًا . وسنضرب لذلك أمثلة فيما بعد.

الاستشهاد بالقرآن والقراءات.

يستعين الأخفش كثيرًا بالآيات القرآنية ليفسّر بها آيات أخرى ، وهو ينهج هذا النهج من أوّل الكتاب إلى آخره ، من ذلك قوله : " وقال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران ٣/١٤) ، مهموز منها موضع الفاء ؛ لأنه من (آب يؤوب) ، وهي معتلة العين مثل (قلت تقول) ، والمَفْعل : مقال ، تقول : آب يؤوب إيابًا ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴾ (الغاشية ٢٥/٨٨) ، وهو الرجوع .. وأمّا الأوّاب فهو الراجع إلى الحق ، وهو من (آب يؤوب) وأما قوله تعالى : ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ ﴾ (سبأ ٣٤/١٠). فهو فيما يذكرون : التسبيح ، وهو – والله أعلم - مثل الأوّل ، يقول : ارجعي إلى الحق ، والأوّاب : الراجع إلى الحق "[2] وأما القراءات فقد استعان بها الأخفش كثيرًا ، وربط بينها وبين المعنى ، وكان الأخفش يختار قراءة من القراءات ، وكثيرًا ما كان

(١) انظر مقدمة تحقيق معاني الأخفش (د . فائز) ١ / ١٩٧ – ١٩٨ .

(٢) معاني الأخفش (د. فائز) ٢/٢١٢ .

يقيم حولها دراسة صوتية أو صرفية ، ومن أمثلة الأولى قوله[1] : " وأما قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ (البقرة ١/ ٧٠) جعل البقر مذكرًا مثل التمر والبسر ، كما تقول : إن زيدا تكلم يا فتى ، وإن شئت قلت : " يشّابه " وهي قراءة مجاهد[2] ، ذكّر البقر يريد (يتشابه) ثم أدغم التاء في الشين ، ومن أنّث البقر ، فقال : (تشّابه) فأدغم ، وإن شاء حذف التاء الآخرة ، ورفع ، كما تقول : إن هذه تكلّم يا فتي ؛ لأنها في (تتشابه) إحداهما تاء (تفعل) ، والأخرى التي كانت في (تشابهت) ، فهو في التأنيث معناه (تفعل) وفي التذكير معناه (فعل) ".

ومن أمثلة الاستشهاد بالقراءات في الدراسة الصرفية قوله : ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ (القيامة ١٠/٧٥) أي أين الفرار .. لأن كل مصدر يُبنى هذا البناء ، فإنما يجعل (مَفعَلاً) وإذا أراد المكان ، قال : (المَفِر) وقد قرئت : (أين المَفِر) [3] ؛ لأن كل ما كان فعله على (يفعِل) كان المفعِلُ منه مكسورًا ، نحو : (المضرِب) إذا أردت المكان الذي يُضرب فيه "[4]

الاستشهاد الشعري :

يُعني الأخفش في كتابه بالشعر عناية كبيرة وهو لا ينشده لمجرد أنه ذواقة ، يطرب له ، وإنما ينشده للاستشهاد على صحة ما يذهب إليه من آراء في فروع اللغة المختلفة ، ويبلغ عدد الأبيات التي استشهد بها سبعة عشر وثلاثمائة

---

(١) معاني الأخفش (د . فائز) ١ / ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢) هذه القراءة منسوبة لابن مسعود فى البحر المحيط ٢٥٤/١ ، والإتحاف ١٣٩ ، أما قراءة مجاهد فهى (تشبّه) على وزن (تفعّل) كما في مختصر ابن خالويه ٧ ، وانظر بقية القراءات التى أوردها الأخفش هنا فى معجم القراءات (د. عبد اللطيف الخطيب)١/١٢٤.

(٣) معاني الأخفش ٢ / ٥١٧ .

(٤) الزبيدى ٧٤ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣٩ .

شاهد ، ولم يكن الأخفش يكتفي بإيراد الشاهد ، بل كان يشرحه ويبين غريب ألفاظه أيضًا ، رغبة منه في زيادة الإيضاح والتيسير على المتلقّين ، ويرى أبو العباس أحمد بن يحيي المعروف بثعلب ، اللغوي المشهور ، أن الأخفش أول من صنع ذلك ، حيث يقول : " أول من أملى غريب كلّ بيتٍ من الشعر تحته الأخفش "[1].

ومن أمثلة ذلك قوله : " قال الراجز "[2]

تسمعُ في أجوافهنّ صَرَدا
وفي اليدينِ جُسْأةً وبددَا

فهذا على : وترى في اليدين ، الجُسْأة : اليُبْس ، والبددُ : السعة "[3]

الاستشهاد بأقوال العرب ولغات القبائل :

على الرغم من أن كتاب الأخفش يكاد يخلو من الأمثال؛ فإنه مشحونٌ بأقوال العرب ، وبلغات القبائل ، وهذه الأقوال هي مما سمعه – غالبا – بنفسه من عرب البادية ، ولذلك فهي أصلٌ لديه يقيس عليه ما لم يسمعه في دراسته اللغوية ، ومن ذلك قوله في (أرأيتكم) : "ومثل ذلك قول العرب : (أبْصِرْك زيدًا) .. وإنما هي : أبصر زيدًا " [4] وهو يعود إليها ليستنبط منها المعاني التي تشبه المعاني القرآنية ، وليدلل على مذهبه الاعتزالي أيضا ، ومن ذلك قوله: "وقال عز وجل :﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (آل عمران:

---

(١) الزبيدى ٧٤ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣٩ .

(٢) البيتان بلا نسبة فى معانى الفراء ٤٠٥/١ ، و٣ /١٢٣، والطبرى ١٠٢/٢٧ ، والخصائص ٤٣٤/٢ ، باختلاف فى بعض الألفاظ .

(٣) معاني الأخفش (د . فائز) ٢ / ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٤) معاني الأخفش (د. عبد الأمير) ٢ / ٤٨٩ .

٧٧/٣) فهذا مثل قولك للرجل : وما تنظر إليّ ؟ إذا كان لا يُنيلك شيئا "[١].

وأما لغات القبائل فهو يذكرها في كثير من الأحيان منسوبةً لأصحابها ، ومن ذلك قوله : " وأهل الحجاز يؤنثون (الصراط) ، كما يؤنثون (الطريق والسبيل والزقاق والسوق والكلاّ ء) وبنو تميم يذكّرون هذا كله ، وبنو أسد يؤنّثون (الهدى) "[٢].

ومن ذلك أيضا مقارنته بين قيس وبني تميم حيث يقول : " لأن قيسًا تقول : (كننت العلم) فهو (مكنون) ، وتقول بنو تميم : (أكننت العلم) فهو (مُكنٌّ) وكننت الجارية فهي (مكنونة)، وفي كتاب الله عز وجل: ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ (البقرة ٢٣٥/١)، وقال : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (الصافات: ٤٩/٣٧) "[٣]

مصادر الكتاب :

يبخل علينا الأخفش ، فلا يكاد يذكر من مصادره إلاّ قليلاً ، ومن هؤلاء : يونس بن حبيب ، وعيسى بن عمر ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، وأبو زيد الأنصاري ، وأبو عمرو بن العلاء ، والأخفش الأكبر ، وخلف الأحمر ، وأما أبو عبيدة ـ الذي زعم أبو حاتم السجستاني أن الأخفش قد أخذ كتابه " في القرآن ؛ فأسقط منه شيئًا ، وزاد شيئًا ، وأبدل منه شيئًا "[٤] ـ فلا ذكر له في

---

(١) معاني الأخفش (د . فائز) ١ / ٢٠٨.

(٢) معاني الأخفش (د . فائز) ١٨/١ وانظر الخلاف فى تذكير هذه الكلمات وتأنيثها فى كتاب (المذكر والمؤنث) للفراء٧٧–٨٨ ،٨٥،وكتاب (البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث) لابن الأنبارى٦٩، ٨٥، وكلا الكتابين بتحقيق أستاذنا العلامة رمضان عبد التواب .

(٣) معاني الأخفش (د . عبد الأمير) ٢ / ٤٩٥ .

(٤) انظر القصة في : طبقات الزبيدي ٧٤ – ٧٥ وإنباه الرواة ٢ / ٣٧ .

معاني الأخفش إلاّ مرة واحدة على الرغم من تأثر الأخفش بأبي عبيدة تأثرًا كبيرًا ويصعب تفسير ذلك الموقف العجيب!

وأعجب من هذا أن الأخفش لم يذكر اسم أستاذه سيبويه قط في معانيه، على الرغم من التشابه الكبير في كثير من النصوص بين معاني الأخفش وكتاب سيبويه ، كما أنه لم يذكر الخليل بن أحمد أيضًا !

وقد أشار الأخفش لبعض مصادره في القراءات إشارات عجلى ، وممن ذكرهم : عبد الله ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومجاهد ، والأعمش ، والحسن البصري ، وأبو السمال .

وهناك كثير من الشخصيات والمجموعات العلمية الذين أشار إليهم ، ولم يذكر أسماءهم أو يحدد شخصياتهم ، فكان كثيرا ما يعبّر عنهم بلفظ (قال بعضهم) أو (بعض القراء) أو (بعض الفقهاء) أو (من أثق به) أو (امرأة من العرب) .... الخ [1] .

أثر المعاني في الخالفين:

لا يكاد أثر كتاب الأخفش فيما خلَفه من مؤلفات في العربية أو الدراسات القرآنية يحصر ، فقلّ أن تجد كتابًا متأخرًا عنه لم ينقل منه ، على تفاوت في مقدار النقل : قلةً أو كثرة ، وفي كيفيته : مباشرًا صريحًا أو غير مباشر (مُصرّحًا به أو غير مصرّح) ، وقد تتبعت ذلك الأثر لكتاب الأخفش في أقرب معاصريه ، وهو الفراء ، فوجدت تشابهًا واضحًا بين معاني الأخفش ومعاني الفرّاء في أكثر من خمسين وثلاثمائة موضع ، وإن كان الفراء لا يصرح في أيٍّ منها باسم الأخفش !

(١) للتوسع في مصادر معاني الأخفش ، راجع: مقدمة تحقيق معاني الأخفش (د. عبد الأمير) ١/٨٣ - ٨٧ .

وقد تتبع أحد الباحثين تأثير معاني الأخفش فيما جاء بعده من المؤلفات، فكانت النتيجة على النحو التالي:

- بلغ ما أخذه القرطبي في تفسيره عن الأخفش خمسة وسبعين وثلاثمائة نص.
- وبلغ ما أخذه أبو جعفر النّحاس في إعراب القرآن ثلاثة وتسعين ومائتي نص.
- وبلغ ما أخذه أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط اثنين وتسعين ومائتي نص.
- وبلغ ما أخذه الجوهري في صحاح اللغة واحدا وستين ومائة نص .
- وبلغ ما أخذه ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير سبعة ومائة نص .
- وبلغ ما أخذه الأزهري في تهذيب اللغة تسعة وسبعين نصًّا .
- وبلغ ما أخذه مكي بن أبي طالب القيسي في مشكل القرآن سبعة وسبعين نصًا.
- وبلغ ما أخذه أبو البقاء العكبري في إملاء ما منّ به الرحمن واحدًا وخمسين نصًّا.
- وبلغ ما أخذه جامع العلوم النحوى ، فى كتابه (إعراب القرآن) ـ المنسوب خطأً للزجاج ـ واحدا وأربعين نصًّا.
- وبلغ ما أخذه ابن جني في المحتسب ثمانية وثلاثين نصًّا.
- وبلغ ما أخذه ابن هشام في مغني اللبيب خمسة وعشرين نصًّا.

أما الكتب التي أفادت من معاني القرآن للأخفش نصوصًا أقل من ذلك فكثيرة لا تكاد تُحصى[(١)]

وختاما أقـــول :

إن معاني القرآن للأخفش كتابٌ قلّ أن يجود الزمن بمثله ، فهو عمدة في بابه ، ولا يعيبه سوى نزعة المصنف الاعتزالية التي تظهر بوضوح للمتأمّل ، غير أنه من ناحية اللغة عموماً والنحو خصوصاً يعد أصلاً كبيرًا لا غنى عنه لكل باحث .

---

(١) انظر مقدمة تحقيق معاني الأخفش (د . عبد الأمير) ١ / ١١٥ – ١١٦ .

(٢) معاني القرآن
لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ)

للفراء في العلم مكانة لا تدانيها مكانة ؛ فقد كان زعيم الكوفيين في النحو بعد الكسائي، ومن هنا تأتي أهمية كتابه العظيم (**معاني القرآن**) ، ذلك الكتاب الذي ظل مرجعًا ثريًا لدارسي النحو واللغة عبر القرون .

ولا يذكر الفراء سبب تأليفه للكتاب . غير أننا وجدنا قصة تأليفه له عند ابن النديم في الفهرست حيث يقول[١] : " قال أبو العباس ثعلب : إن السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني أن عمر بن بكير[٢] كان من أصحابه ، وكان منقطعا إلى الحسن بن سهل ، فكتب إلى الفرّاء : إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن ، فلا يحضرني فيه جواب فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً ، أو تجعل في ذلك كتابًا أرجع إليه فعلتَ . فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا حتى أملّ عليكم كتابا في القرآن . وجعل لهم يومًا . فلما حضروا خرج إليهم ، وكان في المسجد رجلٌ يؤذن ، ويقرأ بالناس في الصلاة ، فالتفت إليه الفراء فقال له : اقرأ : بفاتحة الكتاب ، ففسّرها ، ثم مرّ في الكتاب كله : يقرأ الرجل ويُفسر الفراء ، فقال أبو العباس : لم يعمل أحدٌ قبله، ولا أحسب أن أحدًا يزيد عليه ".

ويبدأ الكتاب بذكر السند إلى الفراء ثم تفسير الفاتحة إلى الناس بعد الإسهاب في الحديث حول (بسم الله الرحمن الرحيم) سائرا في ترتيبه وفق ترتيب المصحف المعهود ، وأسماء السور عنده هي الأسماء التي كانت سائدة في زمانه ، وبعضها ليس شائعا اليوم ؛ فقد أطلق على التوبة : براءة ، وغافر : المؤمن ، والشورى : عسق ، والماعون : الدين ... الخ .

---

(١) الفهرست لابن النديم ٧٣.

(٢) كان إخبارياً ، نسابة ، له بعض الكتب في التاريخ ، انظر ترجمته في الفرست ١١٩-١٢٠.

ولا يتناول الفراء من الآيات إلا ما يرى فيه غموضًا أو إبهامًا أو إشكالاً في الدلالة أو الإعراب أو الأصوات أو البنية ، فإذا خلت الآية من ذلك – برأيه – لم يتعرّض لها بشيء .

وربما تعرض لأسباب النزول ، ليُظهر المعنى غير أنه لا يلتزم ذلك في كل سورة ، ومن أمثلة ذكر أسباب النزول ، ما جاء عند تناوله لسورة (الممتحنة) حيث قال : " ونزلت هذه السورة في حاطب بن أبي بلتعة ، لما أراد النبيّ ﷺ أن يغزو أهل مكة .... "[1]

ولا يستخدم الفراء طريقة ذكر مرادف اللفظ الذي يتعرض له إلاّ قليلا ، كقوله :﴿ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴾ (النجم ٦١/٥٣): لا هون[2] " وقوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ (الأعراف ٧٨/٧): والرجفة هي الزلزلة ، والصاعقة هي النار .. "[3]

أما أكثر أمره ، فكان يستخدم طريقة التعريف ، ففي تناوله لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾ (الأعراف: ٦٠/٧) يقول الفراء : هم الرجال لا يكون فيهم امرأة ، وكذلك القوم ، والنفر ، والرهط "[4].

والمباحث النحوية من أوسع المباحث في الكتاب ، فإن القارئ لا يكاد يمر بصفحة منه إلا وجد فيها حديثا عن النحو ، وذكر قاعدةٍ من قواعده ، أو توجيهٍ من توجيهاته ، أو شاهدٍ من شواهده ، فالكتاب تفسير نحويٌ ، وُضع – فيما يبدو – لدعم المذهب الكوفي ، وتأصيل مبادئه وتأسيس قواعده ، انطلاقًا من النص القرآني .

وعلي خلاف ما فعل الأخفش في معانيه ، فإن الفراء لا يتناول المسائل النحوية تحت أبوابٍ مبوّبة ، محددة المعالم ، وإنما يتعرّض لها في أثناء سيره مع النص القرآني ، وإن كان – في بعض الأحيان – يقف وقفات مطولة مع

---

(١) معاني الفراء ٣ / ١٤٨ .
(٢) معاني الفراء ٣ / ١٠٣ .
(٣) معاني الفراء ١ / ٣٨٤ .
(٤) معاني الفراء ١ / ٣٨٣ .

مسألةٍ هنا أو هناك ، ثم يعود أدراجه للسياق القرآني مرة أخرى . ومن أمثلة ذلك حديثه عن (حتى) ووجوه استعمالها في نحو ست صفحات [١] . وحديثه عن (نعم وبئس) في مواطن متعددة [٢] ، وكذلك أحكام (قبل وبعد)[٣] وجزم المضارع في جواب الأمر [٤] .... إلخ .

ولم يكن عجيبا أن يخالف الفراء مصطلحات البصريين ، وأن يبتكر مصطلحات خاصة ، عرف بها نحويو الكوفة فيما بعد ، ولئن كان بعضها قد شاع في كتب النحو ، فإن أكثرها لم يُقبل ، ولا نكاد نجد حديثًا عنه إلا من باب الحكاية ، ومن هذه المصطلحات الكوفية على سبيل التمثيل :

١ - **الإجراء**: بمعنى صرف الاسم عند البصريين ، أي تنوينه وجرّه[٥]

٢ - **الصرف**: وهو مصطلح عند الفراء ، يشرحه بقوله : " والصرف أن يجمع الفعلان بالواو أو (ثم) أو الفاء ، أو (أو) وفي أوله جحد أو استفهام ، ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعا أن يُكرّر في العطف فذلك الصرف "[٦] ويضرب له الفراء مثلاً بقول الشاعر : [الكامل] .

لا تنهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ[٧]

---

(١) انظر المعاني ١ / ١٣٢ – ١٣٨ .

(٢) انظر المعاني ١ / ٥٦ – ٥٨ / ٥٦٧ – ٢٦٨ ، و٢ / ١٤١ – ١٤٢ ، و٣ / ١٥٣ .

(٣) انظر المعاني ٢ / ١٣٩ و٣٢٢ .

(٤) انظر المعاني ١/ ١٥٧ – ١٦٢ و٣٢٥ – ٣٢٦ ، ٢/ ١٦١ – ١٦٢ ، ٣ /٤٥ -٤٦ .

(٥) انظر على سبيل المثال : المعاني ١ / ٤٢ – ٤٣ و٢٥٤ ، و٢ / ٣٥٨ .

(٦) معاني الفراء ١ / ٢٣٥ وانظر فى شرح هذا المصطلح : معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية للدكتور محمد إبراهيم عبادة ١٥٤-١٥٥

(٧) البيت من شواهد سيبويه في كتابه ١ / ٤٢٤ منسوبا للأخطل، وهو فى ديوان أبى الأسود الدؤلى ٤٠٤ ، وبلا نسبة فى الطبرى ٢٠٢/١ .

وواضح أن الفعل (تأتي) منصوب عند البصريين بأن مضمرة ، لكن عند الكوفيين منصوبٌ على الصرف بالعاطف ، بل إن ما يُسمّى عند البصريين بالمفعول معه مثل : (لو خُلّيت ورأيك لضللت) يسميه الكوفيون منصوبًا على الصرف أيضًا وإن كان بعضهم يسميه النصب على الخلاف [١]

٣ - **الترجمة والتكرير والتفسير** : هي أسماء عند الفراء[٢] لما يطلق البصريون عليه البدل .

٤ - **التفسير**[٣] : وهو عند البصريين بمعني التمييز ، وإن كان المصطلحان شائعين مستعملين .

٥ - **ضمير العماد** : وهو ما يعرف عند البصريين بضمير الفصل ، وأكثر ما يستعمله الفراء بهذا المعني، ومن ذلك قوله في تفسيره لآية: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ ﴾ (الكهف: ٣٩/١٨) : (أنا) - إذا نصبت (أقل) – عمادٌ، وإذا رفعت (أقل) فهي اسم، والقراءة بهما جائزة [٤]

ولكنّه ربما استعمل مصطلح العماد أيضًا فيما يسميه البصريون (ضمير الشأن) ؛ ومن ذلك ما جاء عنده في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (الأنبياء:٢١/ ٩٧) ، حيث يقول : " تكون (هي) عمادًا يصلح في موضعها (هو) ، فتكون كقوله ﴿ إِنَّهُۥ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النمل ٩/٢٧)[٥] .

---

(١) انظر النحو وكتب التفسير ١ / ١٨٨ .

(٢) انظر المعاني ١ / ٧ و٥١ و٢ / ١٧٨ و٣ / ٢١ .

(٣) انظر على سبيل المثال معانى الفراء ١ / ٧٩ و٢ / ١٣٨ .

(٤) معاني الفراء ٢ / ١٤٥ وانظر معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية ١٦٢، و١٨٩

(٥) النص في المعاني ٢ / ٢١٢ .

كما أن الفراء – إلى جانب مصطلح العماد – استعمل أيضًا مصطلح (الضمير المجهول) اسمًا لضمير الشأن[1]

٦ - **النسق والمنسوق** : بمعنى العطف والمعطوف[2] ، وقد يستعمل الفراء – أحيانًا - مصطلح العطف[3] أيضًا .

٧ - **الصفة** : يطلقها الفراء على الظرف والجار[4] – في أغلب الأحيان – كما يطلق عليهما (محلاً) وأحيانا يخص الجار بالصفة ، والمحل بالظرف[5]

وكما أكثر الفراء من الحديث عن المسائل النحوية والصرفية في معانيه، فقد تعرض أيضا لكثير من الظواهر الصوتية والدلالية ، ومن أمثلة الأولى: حديثه عن الإدغام، إذ يقول في أحد المواضع: " وقوله: ﴿ كَمۡ لَبِثۡتَ ﴾ (البقرة : ٢٥٩/٢) وقد جرى الكلام بالإدغام للثاء ؛ لقيت التاء وهي مجزومة [6]. وفي قراءة عبد الله: (اتَّخَتُّمُ[7] الۡعِجۡلَ)(البقرة: ٥١/١) ، (إِنِّي عُتُّ[8] بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ)

---

(١) انظر المعاني ٢ / ٢٧٥ ، و٣ / ٢٩٩ ، والنحو وكتب التفسير ١ / ٩٢ .

(٢) انظر المعاني ١ / ٤٤ ، و١٦٩ ، و٢٧٦ .

(٣) انظر المعاني ١ / ٣٣ ، و٣٤ ، و٣٥ ، و١٦٩ .

(٤) انظر المعاني ١ / ٣١ ، و٣٢ ، و٣٧٥ ، و٤٦٧ .

(٥) انظر المعاني ١ / ٣٦٣ ، و١ / ١١٩ .

(٦) أي ساكنة ، والقراءة بإدغام الثاء فى التاء قراءة أبى عمر وابن عامر وحمزة والكسائى وأبى جعفر ، انظر السبعة لابن مجاهد ١٢٣ ، و١٨٨ ، والإتحاف ١٦٣ ، ومعجم القراءات ٣٦٩/١ .

(٧) القراءة بإدغام الذال فى التاء قراءة ابن مسعود والجمهور ، وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالإظهار، كما فى النشر ١٥/٢ ، والسبعة ١١٤ ،و ١٥٤ ، والإتحاف ١٣٦، ومعجم القراءات ٩٧/١ .

(٨) القراءة بالإدغام قرأ بها أبو عمر وحمزة والكسائى ونافع ــ برواية ابن جماز ــ كما فى السبعة ٥٧٠ ، والإتحاف ٣٧٨ ، والنشر ١٦/٢ .

(غافر: ٤٠/ ٢٧) فأدغمت الذال أيضًا عند التاء ، وذلك أنهما متناسبتان في قرب المخرج ، والثاء والذال فمخرجهما ثقيل ، فأنزل الإدغام بهما لثقلهما ، ألا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان ، وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل ، فما أتاك من هذه الثلاثة الأحرف فأدغم[1] . ومن الظواهر الصوتية التي تحدث عنها الفراء كثيرًا ظاهرة الإبدال ومن ذلك قوله في : ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ (التكوير:٨١/ ١١) نزعت وطويت " وفي قراءة عبد الله : " قشطت " بالقاف ، وهما لغتان ، كما يقال : جدف وجدث ، تعاقبت الفاء والثاء في كثير من الكلام ... "[2]

وأما الظواهر الدلالية : فالأصل في الكتاب أنه وضع لبيان معاني القرآن ، أي أنه كتاب في الدلالة أصلاً ، ولذلك فقد تناول معظم قضايا فقه اللغة المعروفة مثل : الترادف ، والمشترك اللفظي ، والتضاد ، والتعريب ، والنحت والاشتقاق ، كما سأبين في موضعه من الدراسة بإذن الله .

الاستشهاد في معاني الفراء :

كشأن كثير من النحاة لا يكاد الفراء يستشهد بالحديث النبوي على المسائل النحوية إلا نادرًا ! إذ لا يوجد في المعاني -- على كثرة ما فيه من الرواية والاستشهاد - سوي حديث واحد أريد به الاستشهاد على مسألة نحوية ، وهي دخول لام الأمر على فعل المخاطب المضارع ، حيث يقول الفراء : " .. وكان الكسائي يعيب قولهم : (فلتفرحوا)[3] لأنه وجده قليلاً ، فجعله عيبًا وهو الأصل ولقد سمعت عن النبي ﷺ أنه قال في بعض المشاهد: " لتأخذوا

---

(١) المعاني ١ / ١٧٢ .

(٢) المعاني ٣ / ٢٤١ والقراءة بالقاف قراءة ابن مسعود ، كما في مختصر ابن خالويه .

(٣) يريد قوله تعالى : " .. فبذلك فليفرحوا " يونس ١٠/٥٨ على قراءة من قرأها بالتاء ومنهم يعقوب أحد العشرة انظر النشر في القراءات العشر ٢ / ٢٨٢ .

مصافكم "[1] يريد به : خذوا مصافكم[2] .

أما الاستشهاد بالحديث على المعاني اللغوية فموجود في المعاني ، ولكن ليس بالكثرة المتناسبة مع الحجم الكبير للكتاب. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ (محمد٤٧/ ٣٥) : " ومن وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً ، أو أخذت له مالاً ، فقد وترته ، وجاء في الحديث : " ومن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله " [3]

قال الفراء : وبعض الفقهاء يقول : أوتر ، والصواب وتر[4]

أما أكثر استشهاد الفراء في تفسيره فبالمأثور عن الصحابة وبخاصة ابن عباس وتلامذته ، وإن كان سنده إلى ابن عباس أوهى الطرق عنه ؛ فهو عن طريق الكلبي عن أبي صالح[5] ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في المعاني في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ (البقرة:١/٢٣٥) قال فيه : " حدثنا محمد بن الجهم قال : حدثنا الفراء ، قال : حدثني حيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال : " السر في هذا الموضع : النكاح "[6]

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم [كتاب الحج – باب استحباب رمى جمرة العقبة] رقم ٢٢٨٦، بلفظ (لتأخذوا مناسككم) أما الرواية التى هنا فلم أجدها فيما بين يدى من المصادر .

(٢) معاني الفراء ١ / ٤٦٩ – ٤٧٠.

(٣) الحديث بألفاظ متقاربة فى كثير من كتب السنة وهذا اللفظ الذى ذكره الفراء فى سنن النسائى [كتاب الصلاة] حديث رقم ٤٧٤ ، وفى مسند أحمد [مسند المكثرين من الصحابة] حديث رقم ٥٥١٩.

(٤) المعاني ٣ / ٦٤ .

(٥) قال السيوطى فى الإتقان ٢٠٩/٤ : " وأوهى طرقه طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب ".

(٦) معاني الفراء ١ / ١٥٣ ، وهذا الذى ذكره ابن عباس هو رأى الجمهور فى تفسير هذه الكلمة ، انظر فتح القدير ١-٣٢٣. .

الاستشهاد بالقرآن والقراءات :

يكثر استشهاد الفراء في معانيه بالقرآن الكريم على الدلالات التي اختارها للألفاظ أو للسياق فهو ـ في كثير من الأحيان ـ كان يدور مع المعنى في جملةٍ من الآيات القرآنية ليثبت صحة ما ذهب إليه ، ومن أمثلة ذلك في الألفاظ ما جاء في كتابه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران: ٣/ ١٥٩) " العرب تجعل (ما) صلة في المعرفة والنكرة واحدا. قال الله : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ (النساء:٤/ ١٥٥) والمعنى : فبنقضهم ، و﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٣/ ٤٠) والمعنى : عن قليل : والله أعلم [١].

ومن أمثلة الاستشهاد بالآيات القرآنية على معنى كليٍّ يُحمل على السياق ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (الأنعام:٦/ ٤٤)حيث يقول الفراء : " يعني أبواب الرزق والمطر ، وهو الخير في الدنيا ، لنفتنهم فيه ، وهو مثل قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ (يونس:١٠/ ٢٤) ومثله: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ (الجن:٧٢/ ١٦ ـ ١٧) والطريقة طريقة الشرك ، أي لو استمروا عليها فعلنا ذلك بهم [٢].

أما موقف الفراء من القراءات – كما يتضح من معانيه – فيمكن تلخيصه في جملة وردت في كتابه ، فهو يقول : " اتباع المصحف إذا وجدت له

---

(١) المعاني ١ / ٢٤٤ .

(٢) معاني الفراء ١ / ٣٣٥.

وجهًا من كلام العرب ، وقراءة القراء أحب إليّ من خلافه " أي أنه : يلتزم الشروط الثلاثة المعروفة للقراءة المقبولة ، وغني عن البيان أن الفراء من العلماء المتقدمين الذين سبقوا ابن مجاهد ، وسبقوا استقرار الناس على الاعتداد بالقراءات السبع أو العشر كقراءات متواترة ، ولذلك فإن اعتماده للقراءة الصحيحة يعتمد على الشروط الثلاثة المعروفة ، بلا تقيد بهذه القراءات العشر المتواترة ولو أراد الباحث المدقق أن ينظر في مدي انطباق النظرية على التطبيق عند الفراء لخرج بالنتائج التالية:

١) الفراء لا يستحسن مخالفة الرسم ، ولكنه يرى أن العرب لا تلتزم بقاعدة محددة للرسم ، وقد جاء المصحف على مذهبهم في ذلك ، ولذا فيمكن رد بعض الرسم في القرآن الكريم إلى المتعارف عليه من الرسم العربي ومثال ذلك قوله : " لأن العرب تكتب (يستهزئ) : يستهزأ ، فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها ، يكتبون (شيء) : شيًا ، ومثله كثير في مصاحف عبد الله ، وفي مصحفنا : (وَيُهَيِّئْ لَكُم) (الكهف ١٨/ ١٦) ويهيأ بالألف [١] " وعبد الله المذكور في النص هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي سكن الكوفة ، ولذا ينقل عنه الفراء كثيرًا ويهتم به .

٢) ولأن القراءة – عند الفراء – يجب أن توافق الأسلوب العربي ، فهو لا يجد حرجا في نقد بعض القراءات إذا خالفت العربية من وجهة نظره [٢] وبخاصة قراءة حمزة بن حبيب [٣] أو ترجيح بعض القراءات على بعض [٤] أحيانا .

---

(١) المعاني ٣ / ٣٠ .

(٢) انظر بعض النماذج لنقد الفراء للقراءات وللقراء : المعاني ١/٤١٤ – ٤١٦ ، ٢/٧٥ – ٧٦ ، و٢١٦

(٣) انظر في نقد الفراء حمزة : المعاني ١/١٤٥ – ١٤٧ و٤١٤ – ٤١٦ ، و٣/٢٦٦ .

(٤) انظر المعاني ١/٣٤٥ – ٣٤٦ ، ٢/٢٦٠ و٢٧٥ ، و٢٦٩ و٣/٢٦ ، ١٧٦ .

٣) الفراء لا يفرق بين ما اجتُمع عليه من القراءات ، وما شذ به بعض القراء من حيث التوجيه اللغوي[١] والاحتجاج .

٤) لا يهتم الفراء – في المعاني – بنقد السند ولا ينظر فيه ، بل ينقل السند كما جاءه صحيحًا أو شاذًا [٢]

الاستشهاد بالشعر :

أكثر الفراء في كتابه من الاستشهاد بالشعر، ففي كتابه ما يربو على ألف بيت شعري: وكثير من شواهده يبدو أنها مأخوذة عن شواهد سيبويه في كتابه ، مع أنه لم يذكر اسم هذا العلم – رأس المدرسة وإمام النحاة – في معانيه مطلقاً !

وكثير من شواهد الفراء في المعاني غير منسوبة لأصحابها ، ولكنّ الأمر يقوي الثقة بها أن أكثرها شائع في كتب النحو واللغة والتفسير ، ويبدو أن الفراء ترك نسبة هذه الشواهد لأصحابها لأن الأمر كان واضحًا في زمانه ، وليته نسبها ، إذن لأغنانا عن كثير من النزاع والخلاف ! على أية حال فإن الفراء إمام ثقة مقبول ، وشواهده مجهولة القائل مقبولة لصدورها عنه أيضًا وأكثر استشهاد الفراء بالشعر إنما هو للاحتجاج به على آرائه النحوية والصرفية ، ومن ذلك أنه يستشهد على رأيه في نصب المضارع بعد إذن ببيت مجهول النسبة ، حيث يقول[٣]: " وإذا أوقعت (إذن) على يفعل ، وقبله اسم

---

(١) انظر مثلاً قول الفراء : " اجتمع القراء على كسر الكاف ، وقرأ حميد الأعرج : (كُبره) بالضم ، وهو وجه جيد في النحو ، لأن العرب تقول : فلان تولى عظم كذا وكذا يريدون أكثره " [المعاني ٢ / ٢٤٧] .

(٢) ربما لأنه لا يملك الأداة ، فعلم القراءات بحر متلاطم الأمواج . يضطرب بكثرة الروايات ، وللتوسع في معرفة موقف الفراء من القراءات : انظر النحو وكتب التفسير ١/٢٧٨-٢٩٨.

(٣) المعاني ١ / ٢٧٤.

بطلت فلم تنصب ، فقلت : أنا إذًا أضربك ، وإذا كان في أوّل الكلام (إنّ) نصبت يفعل ورفعت ، فقلت : إني إذن أوذيك ، والرفع جائز ، أنشدني بعض العرب : [مشطور الرجز] .

لا تتركنّي فيهمو شطيرا

إني إذن أهلكَ أو أطيرا [1]

وعلى الرغم من أن القائل مجهول ، فإن كثيرًا من النحاة استشهدوا بالبيتين لثقتهم بإمامة الفراء وجلالته[2] وفي أحيانٍ أخرى نجد الفراء يستشهد بالشعر على المعاني اللغوية التي يختارها في أثناء تفسيره للآيات القرآنية ، ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ (النمل ٢٧/ ١٦) حيث يقول : " معنى كلام الطير، فجعله كمنطق الرجل إذ فهم ، وقد قال الشاعر : [الطويل].

عجبتُ لها أنّى يكونُ غناؤها رفيعًا ولم تفتحْ بمنطقها فما[3]

فجعله الشاعر كالكلام لما ذهب به إلى أنها تبكي [4]

الاستشهاد بأقوال العرب :

كثيرًا ما نجد في المعاني قول الفراء : " سمعت العرب تقول "[5] وسمعت العرب تنشد[6] " وسمعت بعض العرب يقول "[7]

وأكثر استشهادات الفراء بأقوال العرب يقصد بها طريقتهم في التعبير ،

---

(١) الشطير: الغريب ، والبيتان مجهولا القائل ، انظر الخزانة ٣/٥٧٤-٥٧٥ ، وشرح أبيات معاني الفراء ١٤١.

(٢) مثل الشريف الرضي في شرحه على الكافية ٢ / ٢٣٨ ، وابن الأنبارى فى الإنصاف ١/١٧٧ .

(٣) البيت لحميد بن ثور (الميمنى) في ديوانه ق ١/٩٣ ص٢٧ برواية (فصيحًا) في مكان (رفيعًا) و(لم تفخرْ) فى مكان (تفتح) .

(٤) المعاني ٢ / ٢٨٨ – ٢٨٩

(٥) انظر مثلا المعاني ١ / ١٣٢.

(٦) انظر مثلا : المعاني ٢ / ٩٥.

(٧) انظر مثلا المعاني ١/ ٢١٧ ، و٣ / ١٥ و٢٤٧ .

وقواعدهم في نظم الكلام ، ومن أمثلة ذلك قول الفراء : " والعرب تجعل (بلْ) مكان (أمْ) و(أمْ) مكان (بلْ) إذا كان في أوّل الكلام استفهام ، مثل قول الشاعر: [الطويل].

فوالله ما أدرى أسلْمى تَغوّلتْ أمِ النومُ أمْ كلٌّ إليّ حبيبُ[1]

ويقول الفراء أيضًا : " وسمعت العرب تقول : (فلانٌ جريمةُ أهلِه) يريدون : كاسبٌ لأهله ، وخرج يجرمهم : يكسب لهم ... " [2]

وأما الاستشهاد بالأمثال فلم أجده في المعاني - مع شدة التقصّي والتحري – وربما يعود ذلك للسبب ذاته الذي منع الأخفش من الاستشهاد بها!

مصادر الفراء :

يقول أبو الطيب الواحدي – صاحب مراتب النحويين – عن مصادر الفراء: " وقد أخذ علمه عن الكسائي وهو عمدته ، ثم أخذ عن أعرابٍ وثق بهم ، مثل أبي الجراح وأبي ثروان وغيرهما ، وأخذ نبذةً عن يونس ، وقد أخذ أيضًا عن أبي زياد الكلابي ... "[3]

والمتتبع لمصادر الفراء في معانيه يجد رأي أبي الطيب هذا صادقًا إلى حد بعيد ، فإن مصادر الفراء تنقسم قسمين :

أولاً : العلماء

ومعظمهم من علماء الكوفة بطبيعة الحال ، وعلى رأسهم إمام المدرسة الكوفية ، وشيخ شيوخها : علي بن حمزة الكسائي ، أحد القراء السبعة

---

(١) البيت بلا نسبة فى الطبرى ٣٨٦/١ ، و٦/٢٠ ، والصاحبى لابن فارس ١٢٦، ولسان العرب (أم) ١٣٩/١، (غول) ٣٣١٨/٥ .

(٢) معانى الفراء ١٥/٢ .

(٣) مراتب النحوين لأبي الطيب ٨٦ – ٨٧ .

المعروفين ، وقد كان الفراء يجلّه، وينزله منزلته ، ويقول عنه في أحد المواضع من معانيه : " وحدثني الكسائي وكان – والله – ما علمته إلاّ صدوقًا "[1] ومع هذا فقد كان يخالفه في بعض المواضع ، بل يصف معارضته له في أحد المواضع بقوله : " أخالفه أشد الخلاف "[2] وهو تعبير شديد !

لكنه مع ذلك شديد التأدب معه ، ولا ينسى أستاذيته له ، ومن أمثلة ذلك قوله عند تعرضه لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الطور:٥٢/ ٢٨) : " ..... فمن كسر استأنف ، ومن نصب أراد : كنّا ندعوه بأنه برٌّ رحيم ، وهو وجه حسن ، قال الفراء : الكسائي يفتح (أنه) وأنا أكسرُ ، وإنما قلت : حسن لأن الكسائي قرآه "[3]

أما العالم الثاني الذي يكثر الفراء من ذكر اسمه في معانيه فهو المفضل بن محمد الضبي ، صاحب المفضليات ، العالم الكوفي المشهور ، ويتكرر في المعاني كثيرا قول الفراء: " أنشدني المفضل ..."[4] .

ويأتي بعد هذين العلمين الكبيرين ثلاثة من نحاة الكوفة وردت أسماؤهم في المعاني ولكن ليس كثيرًا ، وهم : أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[5] وأبو جعفر الرؤاسي[6] ، وهو من شيوخ الفراء ، وأبو البلاد الغطفاني[7] الذي ورد اسمه مرة واحدة في المعاني ، وأما العلماء البصريون فإن الفراء لا ينقل عنهم إلاّ نادرًا ، أو على الصحيح لا يذكر أسماء من ينقل عنهم في الغالب ؛عدا بعضهم من أمثال : يونس بن

---

(١) المعاني ٣ /١٠٧ . (٢) المعاني ٢ / ١٣٢ .

(٣) المعاني ٣ / ٩٣، والقراءة بفتح همزة (أنه) قرأ بها نافع مع الكسائى كما فى السبعة ٦١٣، والنشر ٢/٣٧٨ .

(٤) انظر على سبيل المثال : المعاني ١ / ٣٨ و٦١ و٦٢ و١٣٣ و٢ / ١٦ و٣ / ٥٥.

(٥) انظر مثلا المعاني ١/٦٨ و١٣٦ .

(٦) وقد وصفه الفراء بالصلاح وأنه ثقة مأمون ، انظر المعاني ٣/١٠٢ و٢٩٢.

(٧) وهو من رواة الشعر والغريب له ترجمة في معارف ابن قتيبة ٢٣٥ وقد ورد ذكره في معاني الفراء ٣/٢٤٣.

حبيب [١] ، وأبي عمرو بن العلاء [٢] ، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي [٣] ، وعيسى بن عمر الثقفي [٤] وهو لا ينسب لهم أقوالاً أو توجيهاتٍ نحويةً ذات بال ، وإنما جاءت أسماؤهم ـ في الغالب ـ في إسناد روايته عن أشياخه من الكوفيين !

وقد سبق أن الفراء لم يذكر اسم سيبويه مع أن كثيرا من شواهد المعاني هي بعينها من شواهد الكتاب ، كما أنه لم يذكر اسم الأخفش - مع صلته القوية بالكوفيين - وإن ذكر بعض آرائه ، ولم يذكر اسم أبى عبيدة معمر بن المثني [٥] إلا في بعض الروايات الموصولة التي لا يملك حذفه منها !

ثانيًا : الأعراب :

١ - أبو ثروان العُكْلي [٦]

روى عنه الفراء كثيرًا في المعاني ، مما يدل على شدة اتصاله به ، ومن أمثلة ذلك قول الفراء : " وسمعت أبا ثروان يقول لرجل من ضبة ، وكان عظيم العينين : هذا عينان قد جاء ، جعله كالنعت به " [٧]

٢ - أبو الجراح العقيلي [٨]

يتردد اسمه كثيرا في معاني الفراء ، ويبدو واضحًا أن الفراء سمع منه كثيرًا .

---

(١) وقد روى عنه الفراء بصيغة: "وأنشدني يونس" مما يدل على أخذه عنه مباشرة انظر المعاني ١/١٢٧ و٢/٣٧

(٢) وهو أحد القراء السبعة المعروفين، وقد روى عنه الفراء باعتباره قارئا، انظر المعاني ٢/١٨٣ و٢٩٣ و٣٧١.

(٣) وهو نحوي كبير عاش قبل الخليل، له قصة طريفة مع الفرزدق ذكرها الفراء في المعاني ٢/ ١٨٢ – ١٨٣

(٤) ولم يذكر الفراء اسمه إلا في رواية عن الكسائي ، انظر المعاني ٣ / ٩٩ .

(٥) صاحب المجاز المشهور، انظر المعاني ١/٨٩ و٢/٢٨٧ وقد أشار إليه الفراء بلا تصريح باسمه في المعاني ٢/١٥٨ .

(٦) أعرابي فصيح كان يعلم بالبادية ، وله بعض المؤلفات ، انظر الفهرست لابن النديم (إيران) ٥٢ .

(٧) معاني الفراء ١/٢٠٩ .

(٨) أعربيٌّ من الفصحاء له آراء في اللغة تتردد كثيرًا في معاني الفراء ، انظر مثلاً : المعاني ١/١٤٠ و٤٢٧ و٢/٢٣ و٧٥ و٣٥ و٢٢٢ و٣/١٧٥

ومما يدل على ذلك قول الفراء : سمعت أبا الجراح يقول : ما رأيت كغدوة قط ، يعني غداة يومه، وذلك أنها كانت باردة ، ألا ترى العرب لا تضيفها فكذلك لا تدخلها الألف واللام "[١]

٣ ـ أبو القمقام الفقعسي الأسدي :[٢]

روى عنه الفراء بكنيته كما فعل مع سابقيه من الأعراب ، وكان يصفه تارة بالفقعسي[٣] وتارة بالأسدي[٤] ولا غضاضة في ذلك ، ففقعس حي من أحياء أسد .

٤ ـ أبو زياد الكلابي[٥]

وهو يزيد بن عبد الله بن الحر ، من الأعراب الذين روى عنهم الفراء غير أنه لم يكثر عنه ، وقد جاء في المعاني أن الفراء سأله عن قراءة : ﴿ إن لك في النهار سبخا طويلا ﴾ (المزمل:٧٣/٧)[٦] فقال أبو زياد " أهل باديتنا يقولون : اللهم سبّخ عنه للمريض والملسوع ونحوه "[٧]

هذه **مصادر** الفراء كما يتضح من كتابه ، غير أنّ القارئ سيلحظ أيضًا أن الفراء لا يصرح بكل مصادره ، فيكثر ما يقول : " أنشدني أو أنشدنا بعض العرب " ... الخ .

وفي النهاية فإن معاني الفراء يعد معلمًا بارزًا في تاريخ النحو ، وفي تاريخ التأليف في معاني القرآن بصفة خاصة ؛ إذ تبرز ملامح المدرسة الكوفية في النحو واللغة كما لم تبرز في كتاب كوفي آخر .

---

(١) المعاني ٢/٩٣ .

(٢) عدّه ابن النديم من فصحاء الأعراب ، وقال : "أبو القمقام روى عنه الكسائي" وانظر الفهرست ٥٣ واللسان (فقعس) ٨/ ٤٦.

(٣) انظر المعاني ١/٤٣٤ و٤٣٥ .

(٤) انظر المعاني ٢/٢٨٣ .

(٥) أعرابيٌّ بدوي قدم بغداد أيام المهدي وأقام بها حتى مات ، انظر الفهرست (إيران) ٥٠ .

(٦) قراءة "سبخا" قرأ بها يحي بن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة، انظر البحر المحيط ٨/٣٦٣ واللسان (سبخ) ٣/٥٠٠ .

(٧) المعاني ٣ / ١٩٧ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه
للزجّاج (ت ٣١١هـ)

بدأ الزجاج تصنيفه لكتابه (المعاني) سنة (٢٨٥ هـ) وانتهى منه سنة (٣٠١هـ) [١] أي إنه ألّف كتابه هذا بعد مُضي أكثر من مائة وخمسين عامًا على بدء التأليف في (المعاني) ، وفي أواخر حياته ؛ حيث أصبح إمامًا لمدرسة البصرة بعد وفاة شيخه المبرد ، وبعد ظهور بواكير التقاء المذهب البصري مع المذهب الكوفي وتكوينهما تيارًا واحدًا - مع غلبة المذهب البصري- وسُمّي هذا التيار (المذهب البغدادي).

أما مقصده من تأليف المعاني فلم يُصرح به ! إذ يبدأ كتابه بمقدمةٍ ليس فيها شيءٌ سوى ذكر موضوع الكتاب حيث يقول : " هذا كتابٌ مختصرٌ، في إعراب القرآن ومعانيه" [٢] ولم يزد على هذا شيئًا .

ومن هذا النص يتبين لنا أن معاني الزجاج تناول موضوعين رئيسين : هما الإعراب والمعاني ، وهذا شأن كثير من الكتب في هذا المجال .

ويسير الزجاج في كتابه وفق الترتيب المصحفي المعهود ، بدءًا من تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) وانتهاءً بسورة الناس ، مع انتقائه للمواضع التي يريد التعليق عليها ؛ إذ لم يكن يتعرض لكل آية ولا لكل لفظة في الآية التي اختارها .

وأما طريقته في بيان المعاني فقد كان أكثرها عن طريق التعريف وشرح المعنى الإجمالي شرحًا مختصرًا ، ولكن بعد أن يُعرب الكلمات التي يرى أنها مفاتيح لفهم المعنى ومن ذلك قوله في بيان معنى ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة ٣٢/٥)

---

(١) معجم الأدباء ١٣٠/١، ويبدو أن ياقوت قد استقى ما ذكر من نسخة اطلع عليها بنفسه.

(٢) معاني الزجاج ٣٩/١ .

" (فساد) معطوف على (نفس) ، والمعنى : بغير فسادٍ ، فكأنما قتل الناس جميعا[1] ، أي المؤمنون كلهم خصماء القاتل ، وقد وترهم وتْرَ من قصد لقتلهم جميعًا . ونادرًا ما كان يكتفي بذكر المرادف للفظ مع الاشتقاق ، ومن أمثلة ذلك قوله في معنى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ (النساء ٤/ ١٠٤) : " وتأويل (لا تهنوا) في اللغة لا تضعفوا ، يقال : وهن الرجل يهن إذا ضعف فهو وهن ، ومعني ابتغاء القوم : طلب القوم بالحرب " [2] ولأن الإعراب - بمعناه الواسع - كان مقصدًا بارزًا للزجاج في كتابه ، فإن المباحث النحوية تغلب على الكتاب .

ولأن الزجاج - وإن كان يعد من البغداديين - كان رأسًا في المذهب البصري ، فقد تجلّي ذلك بوضوح في المعاني ، حيث شُحن الكتاب بآراء البصريين وتعقيداتهم وأصول مذهبهم ، ومن أمثلة ذلك قوله في : ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة ١/ ١٢٠) : " (تتبع) نصب بحتى ، والخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه يقول إن الناصب للفعل بعد حتى (أن) إلاّ أنها لا تظهر مع حتى ، ودليلهم أن حتى غير ناصبة هو أن حتى بإجماع خافضة قال الله عز وجل: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (القدر٩٧/ ٥) فخفض (مطلع) بحتى ، ولا نعرف في العربية أن ما يعمل في اسم يعمل في فعل ، ولا ما يكون خافضًا لاسمٍ يكون ناصبًا لفعل ، فقد بان أن حتى لا تكون ناصبة " [3]

---

(١) وقد صرح الزجاج بهذا حيث قال في أحد المواضع من كتابه " : وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين ، ألا ترى أن الله يقول : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) (النساء ٨٢/٤) فحُضضنا على التدبر والنظر ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلاّ على مذهب اللغة أو ما يوافق نقلة أهل العلم " المعاني ١/ ١٨٥ .

(٢) معاني الزجاج ٢ / ١٦٨ .

(٣) معاني الزجاج ١ / ٢٠١ .

ومعلوم أن عامل النصب في الفعل المضارع المسبوق بحتى يعدُّ من أمهات المسائل الخلافية بين مدرستي البصرة والكوفة ، فالبصريون يرون أن حتى جارة، فهي من عوامل الأسماء بإجماع النحاة ، فلا تكون عوامل في الأفعال ، وإنما ينصب الفعل عندهم بأن مضمرة وجوبًا بعد حتى ، أما الكوفيون [1] ، فيرون أنها ناصبة بنفسها لقيامها مقام (كي) إن كانت بمعناها، أو لقيامها مقام أن ؛ إن كانت بمعنى (إلى أن) [2].

وما يعنينا هنا قول الزجاج : " والخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه يقولون ... " فهذا انتصار للبصريين ، وتعريض بالكوفيين ، ومثل هذا كثير جدًا في معاني الزجاج غير أني إحقاقا للحق أقول: إن الزجاج - في أحيان نادرة - كان يخطّئ بعض أئمة البصريين أيضًا ، ومنهم شيخه المبرد ، ومن أمثلة ذلك قول الزجاج في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلاً ﴾ (النساء ٤/ ٢٢) : " وقال أبو العباس محمد بن يزيد: جائز أن تكون (كان) زائدة فالمعني على هذا : إنّه فاحشة ومقت وأنشد في ذلك قول الشاعر : [الوافر]

فكيفَ إذا حللتَ بدارِ قومٍ   وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ [3]

قال أبو إسحاق : هذا غلط من أبي العباس ؛ لأن (كان) لو كانت زائدة لم تنصب خبرها والدليل على هذا : البيت الذي أنشده :

وجيران لنا كانوا كرامٍ

---

(١) تعرض الفراء لهذه المسالة كثيرًا في معانيه انظر ١ / ١٣٢ و١٣٨ .

(٢) انظر تفصيل الخلاف فى هذه المسألة فى الإنصاف لابن الأنبارى ٥٩٧/٢ ، وما بعدها ، والنحو وكتب التفسير ١ / ٣١١ .

(٣) البيت للفرزدق في شرح ديوانه (الصاوى) ص٨٣٥ برواية (فكيف إذا رأيتُ ديار قومي) وهو من شواهد النحو المعروفة ، وانظر الخزانة ٤ / ٣٧ .

ولم يقل : كانوا كرامًا " [1]

وقد فعل الزجاج مثل هذا مع المازني وقطرب وهما من أئمة البصريين [2].

أما الظواهر اللغوية في معاني الزجاج فكثيرة جدًا ، ولا غرابة في ذلك ، فالكتاب وضع كدراسة لغوية للنص القرآني ـ شأن أكثر كتب المعاني ـ فليس عجيبا إذن أن يزخر بالحديث عن كثير من قضايا فقه اللغة مما سنبينه في موضع من هذه الدراسة .

غير أننا نشير ـ سريعا ـ إلى أنه يقر بوقوع الترادف في اللغة وفي القرآن الكريم ، ومن أمثلة ذلك قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة ١ / ١٤٣): " ومعنى الرأفة كمعنى الرحمة " [3] كما يقر بوقوع المشترك اللفظي في القرآن الكريم [4] وصرح بلفظ الأضداد [5] وأقر بالمعرب [6] في القرآن ، وذكر بعض النماذج للإتباع والمزاوجة [7] وللقلب المكاني في القرآن [8] .

كما أكثر الحديث عن الاشتقاق ، فقد كان منهجه في التفسير أن يختار ألفاظا من الآية التي اختارها ليحللها على طريقته هو ، فيذكر أصل الكلمة ، والمعنى اللغوي الذي تدل عليه ثم يورد الكلمات التي تشاركها في حروفها أو بعضها ليردها جميعا إلى أصل واحد ، ويبدو أن الزجاج حاول في كتابه أن يطبق نظريته في الاشتقاق ، تلك النظرية التي ضمنها كتابة

---

(١) معاني الزجاج ٢ / ٣٢ – ٣٣ ، ويبدو لي أن ما نسبه الزجاج لشيخه بعيد وغريب ، ولكنه أدرى بشيخه كما قال البغدادي في الخزانة ٢ / ٣٨ – ٤٠ .

(٢) انظر مثلاً معاني الزجاج ١/١٧٠ ، و٢/٦ .

(٣) معاني الزجاج ١ / ٢٢١ ، وانظر أيضًا : ١ / ٨٢ ، ٢١٩ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١ / ٤٧ و٤٨ و٢٤٤ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٦٩ وانظر أيضًا ٣ / ٣٠٥ .

(٦) انظر معاني الزجاج ١ / ١٤٤ ، ١٨٠ .

(٧) المعاني ١ / ٢٦٣ و٤٨٥ و٢ / ١٣ .

(٨) معاني الزجاج ٢ / ٤٧٠ وانظر أيضا ٢ / ٩٩ .

المفقود (كتاب الاشتقاق) والتي أكثر من الإشارة إليها في معانيه ومن ذلك قوله : " وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض ، وآخذٌ بعضه برقاب بعض "[1] أي إنه يرى أن كل لفظتين اتفقتا في بعض الحروف ، وإن نقصت حروف إحداهما عن الأخرى ، فإن إحداهما مأخوذةٌ من صاحبتها ، وقد نقل ياقوت أن الزجاج سئل عن اشتقاق كلمات كثيرة فأجاب عنها إلى أن سئل عن اشتقاق القصعة ، فقال : لأنها تقصع الجوع أي تكسره ، قال ابن العلّاف : " يلزمه أن يقول : الخَضخَض مشتق من الخضيض ، والعُصفر مشتق من العصفور ... والعذب من الشراب مشتق من العذاب ، والخريف من الخروف ... والخنفساء من الفساء ، والخنثى من الأنثى والمخنث من المؤنث ، ضَرط ُإبليس على ذا من أدب " [2].

ومن الواضح أن الزجاج بالغ في مذهبه الاشتقاقي ، غير أن مبالغته ما كانت تجر إلى هذا كله [3].

الاستشهاد في معاني الزجاج :

معاني الزجاج - كشأن كثير من كتب المعاني – غاص بالاستشهاد بمختلف أنواعه وذلك لتقرير الأحكام اللغوية والنحوية وتأكيدها ، غير أنه يكثر من الشواهد القرآنية والحديثية ، ويتوسط في الشعر ، ويقلُّ في النثر .

أولاً : القرآن والقراءات :

استشهاد الزجاج بالقرآن لتفسير معنى غامض لا يكاد يُحصر لكثرته ، وقد اتفق الزجاج مع غيره من اللغويين وعلماء القراءات على ضوابط القراءة

---

(١) معاني الزجاج ١ / ٢٠٢ .

(٢) انظر معجم الأدباء ١ / ١٤٤ – ١٤٦ والخضخض : خرز أبيض ، والخضيض ، المكان المترب المبلل وانظر مقدمة الدكتور عبد الجليل شلبي محقق معاني الزجاج [٣٠ – ٣٤].

(٣) ومن أبرز النماذج على هذه المبالغة ما أورده الزجاج في تفسيره لقوله تعالى : (وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) (المائدة: من الآية١٢) انظر المعاني ٢ / ١٥٧ – ١٥٩ .

الصحيحة المقبولة ، وقد تعرّض لها في أثناء حديثه عن قراءة (فرُهُنٌ مقبوضة) [(١)] - وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء – فقال : " والقراءة على (رُهُن) أعجب إليّ ؛ لأنها موافقة للمصحف ، وما وافق المصحف وصحّ معناه، وقرأت به القراء فهو المختار " [(٢)] وبناء على ذلك فقد ردّ الزجاج القراءات المخالفة لرسم المصحف ، مثل قراءة (من كان عدوًا لجبرين) [(٣)] بالنون ، فقد قال عنها : " وهذا لا يجوز في القرآن ، أعني إثبات النون لأنه خلاف المصحف [(٤)] كما نفّر من شواذ القراءات وإن صحت لغةً ، كقراءة : (الله لا إله إلا هو الحي القيّام) [(٥)] حيث قال عنها : " والقيام أيضًا جيد بالغ كثير في العربية ، ولكن القراءة بخلاف ما في المصحف لا تجوز لأن المصحف مجمع عليه ، ولا يعارض الإجماع برواية لا يُعلم كيف صحتها " [(٦)] وبصفة عامة فقد انتقد الزجاج القراءات التي خرجت عن هذه الشروط أو عن أحدها .

كما ترفّق الزجاج في تخريجه لما خالف الرسم العربي ، فبعض الكلمات جاءت في الرسم العثماني بحذف حرفٍ ، بلا مقتضى لغوي ظاهر ،مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ ﴾ (الشورى ٤٢/ ٢٤) وقد ارتأى لها الزجاج مخرجًا لطيفًا - فيما أرى - حيث قال : " وكتبت في المصحف بغير واو لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين ، فكتبت على الوصل ، ولفظ الواو ثابت ،

---

(١) البقرة ٢ / ٢٨٣ وقد كتبت هذه اللفظة في المصحف بالرسم العثماني بغير ألف (فرهن)

(٢) معاني الزجاج ١ / ٣٦٧ .

(٣) الآية بلفظ (قل من كان عدوا لجبريل) في البقرة ٢ / ٩٧ .

(٤) معاني الزجاج ١ / ١٧٩ – ١٨٠ .

(٥) الآية بلفظ (القيوم) في البقرة ٢ / ٢٥٥ وآل عمران ٣ / ٢ ، وقراءة (القيام) قرأ بها ابن مسعود وعمر وآخرون كما فى الإتحاف ١٦١ والبحر ٢/٢٧٧.

(٦) معاني الزجاج ١ / ٣٧٣ – ٣٧٤ .

والدليل عليه ﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ﴾ (الشورى ٤٢/ ٢٤) "[١] فهو يرى أن الواو حذفت في الخط تبعًا للفظ ، وهذا التعليل المنطقي يشبه قوله أيضا : " وفي المصحف مكتوبٌ (لأوضعوا) : (ولأَوْضَعُواْ) (التوبة ٤٧/٩) ومثلها في القرآن (أَوْ لأَاْذْبَحَنَّهُ) (النمل ٢١/٢٧) بزيادة ألف أيضًا وهذا إنما حقه على اللفظ : (ولأوضعوا) ولكن الفتحة كانت تُكتب قبل [٢] العربي ألفًا والكتاب [٣] ابتدئ به في العربيّ بقُرب نزول القرآن ، فوقع فيه زيادات في أمكنة ، وإتباع الشيء بنقص عن الحروف فكتبت (ولا أوضعوا) بلام وألف بدلاً من الفتحة ، وبهمزة ، فهذا مجاز ما وقع من هذا النحو في الكتاب "[٤] والتماس الزجاج العذر بهذا التعليل المعقول ، يخالف موقف الفراء الذي قال عن رسم هذه الآية : " وهو من سوء هجاء الأولين "[٥].

الاستشهاد بالحديث عند الزجاج :

إذا كان معاني الفراء يعج بقواعد النحو وأصوله وشواهده واللغة وروايتها وشواهدها، والقراءات متواترة وشاذة كما أشرنا من قبل ، فإن معاني الزجاج قبل ذلك كله يجعل من التفسير بالمأثور مصدرًا واسعًا ومادةً أساسيةً لإبراز معاني القرآن إلى جوار المصدر اللغوي الذي لم تنقص الزجاج الإمامة فيه كما هو معروف .

وهذا يعني أن الزجاج اعتمد كثيرًا على الحديث بمعناه الواسع (مرفوع وموقف ومقطوع) في كتابه ، غير أنه - كشأن أكثر كتب المعاني – كان يحذف الأسانيد اختصارًا ، على خلاف ما تفعله كتب التفسير الأثرية ،

---

(١) معاني الزجاج ٤ / ٣٩٩ .

(٢) يعنى قبل أن يوجد الخط العربي المعروف .

(٣) يعنى الكتابة .

(٤) معاني الزجاج ٢ / ٤٥١ .

(٥) انظر للمقارنة بين الموقفين كلام الفراء في معانيه ١ / ٤٣٩ .

كالطبري وابن كثير مثلا كما كان يذكر الحديث الصحيح بلفظ (رُوي) وهي صيغة التمريض عند المحدّثين [1] ومن أمثلة ذلك قوله[2] : " روي عن رسول الله ﷺ أن الرؤيا جزء من أربعين جزءًا من النبوة " [3] وقوله :" ويروى أن النبي ﷺ قال : (لو كنت في مكان يوسف ثم جاء ني الرسول لبادرت إليه) [4] كما أكثر الزجاج من ذكر الأحاديث بالمعنى لا بنص ألفاظها المذكورة في كتب الحديث المعروفة ، ومن أمثلة ذلك قوله [5] : " يروى أن النبي ﷺ أبطأ عنه جبريل عليه السلام في الوحي ، فقال عليه السلام وقد أتاه جبريل : ما زرتنا حتى اشتقناك ، فقال : وما نتنزل إلاّ بأمر ربك " [6]

وقد أحصيت الأحاديث المرفوعة فقط في معاني الزجاج فوجدتها تربو على مائة وسبعين حديثًا ، أما الموقوف والمقطوع فأكثر من أن يُحصر.

---

(١) ويبدو لي أن الزجاج لم يكن مبّرزًا في علوم الحديث ، لأنه لا ينضبط بكثير من ضوابط الرواية عند المحدثين.

(٢) معاني الزجاج ٢ / ١١٠.

(٣) لفظ الحديث عند البخاري : (الرؤيا الحسنة من الرجل جزء من ستةٍ وأربعين جزءًا ...) [كتاب التعبير] ٩ / ٣٩ ، ولفظه عند مسلم : (رؤيا المسلم جزء من خمسٍ وأربعين جزءًا من النبوة) ، وله عنده روايات أخرى [كتاب الرؤيا] ٢ / ٣٠٥ .

(٤) الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري [كتاب تعبير الرؤيا – باب رقم ٧] ٩ / ٤٢ بلفظ : (لو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبته) ، وفي رواية مسلم [كتاب الفضائل حديث رقم ٣٥٢] ٢ / ٣٤٢ .

(٥) معاني الزجاج ٢ / ٣٣٧ .

(٦) الحديث في البخاري [كتاب تفسير القرآن – سورة مريم] ٦ / ١١٨ من رواية ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ وسلم لجبريل : " ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، فنزلت : (وما نتنزل إلا بأمر ربك) والآية في سورة مريم ١٩ / ٦٤.

الاستشهاد بالأمثال وأقوال العرب :

يبدو أن الزجاج متأثر بمن قبله في هذه القضية ، فالأمثال في معاني الزجاج تعد على أصابع اليد الواحدة ، والظاهر أنه لم يستشهد بها على أنها من الأمثال ، وإنما سيق بعضها كجزء من بيت شعر [1] ، وبعضها كرواية عن الثقات من العرب [2] ، أما أقوال العرب فكثيرة في الكتاب مثل قولهم " تحيّتك الضرب ، وعتابك السيف " [3] وقولهم : " فلان جريمة أهله " [4] .... الخ .

الشعر في معاني الزجاج :

توسّط الزجاج في إيراده الشواهد الشعرية في كتابه ، ليس قصرًا في الباع أو قلة في البضاعة، إنما تَحرُّزًا من الإطالة في غير موضعها فالاستشهاد عنده منوط بالحاجة إليه ، وقد كان الزجاج ينكر على الفراء استشهاده ببعض الشواهد استطرادًا في بحث ظاهرة نحوية أو لغوية ، فنراه يقول منتقدا إياه : " ولا أدري لم استشهد بهذا ، ولم يُقرأ به قط ، ولا ينفع في تفسير هذه الآية شيئًا وهو خطأ " [5] . وقد كان الزجاج يخاف أن يقع في مثل هذا بل إن الزجاج لينفر في معانيه من الإطالة ، في إيراد الشواهد الشعرية إلى حد أنه يقدم اعتذارًا للقراء لإكثاره من الشواهد في أحد المواضع ، حيث يقول : " وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف – كما فعل من قبلنا – وإنما فعلوا ذلك لقلة اعتياد العامة لدخول (يا) إلاّ في النداء، لا تكاد تقول : يا قدم زيد ، ولا : يا اذهب بسلام " [6] .

---

(١) انظر على سبيل المثال : ١ / ٤٨ و٣٤٩ .

(٢) انظر المعاني ١ / ٤٨ .

(٣) ١٢٨/٢ .

(٤) ١٤٣/٢ .

(٥) معاني الزجاج ٣٥٩/٤ .

(٦) معاني الزجاج ١١٥/٤ – ١١٦ .

أما دواعي الاستشهاد بالشعر عند الزجاج فيمكن إرجاعها للأمور التالية :

١) الاستشهاد لبيان معاني القرآن وأسلوبه بقياسه على كلام العرب :

ومثال ذلك ما قاله في تفسير ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (التوبة ٥٣/٩): " ... هذا لفظ أمرٍ ومعناه معنى الشرط والجزاء ، والمعنى : أنفقوا طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم ، ومثل هذا من الشعر قول كثير [١] : [الطويل].

أَسِيئي بنا أو أحْسني لا ملومـةٌ … لـديـنا ولا مقْليـةٌ إنْ تقلّـتِ

فلم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها [٢]

٢) الاستشهاد لتفسير الألفاظ اللغوية (غريب القرآن) وبيان المراد منها بالوارد عن العرب:

ومن أمثلة ذلك تفسيره للفظة (لباس) في قوله تعالى : " هن لباس لكم" [٣] بقوله [٤]:" والعرب تسمّي المرأة لباسًا وإزارًا ، قال الشاعر : [المتقارب]

إذا مـا الضـجيعُ ثَـنىَ عِطْفَـه … تثنَّتْ عليـه فكانـتْ لِباسـا [٥]

وقال أيضًا : [الوافر]

---

(١) ديوان كُثير (عدنان درويش) ق٣١/١١ ص ٦٩ ، و(إحسان عباس) ص ١٠١ ، وهو من شواهد الفراء في معانيه ١ / ٤٤١ والبغدادى فى الخزانة ٢ / ٣٧٩

(٢) معاني الزجاج ٢ / ٥٤٣ .

(٣) البقرة ٢ / ١٨٧ .

(٤) معاني الزجاج ١ / ٢٥٦ .

(٥) البيت للنابغة الجعدي ، كما في اللسان (لبس) ٨ / ٨٧ وفيه (ثنى عطفها) ، والشعر والشعراء ٢٥٥ والطبري ٣/٤٩٠. وأخبار النوابغ الملحق بديوان امرئ القيس (لحسن السندوبي) ٣٧٣ وفيه (ثنى جيدها)

إلا أبلــغْ أبـــا حفـــصٍ رســـولا فِدًى لك من أخي ثقـــةٍ إزاري [1]

قال أهل اللغة : فدى لك امرأتي .

ومـن هـذا القبيـل أيضـا نقـد الزجـاج لـبعض الشـواهد الشـعرية الـتي استشـهد بهـا غـيره ، لاعتقـاده أن معناهـا غـير صـحيح في اللغـة ، مثـل رفضـه لتفسـير قولـه تعـالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (يوسـف ١٢/ ٣١) بأن أكبرن هنا بمعنى (حضن) وقال [2]: " ويقال أكبرنه : حضن ، وقد رويت عن مجاهد، وليس ذلك بمعروفٍ في اللغة ، وقد أنشدوا بيتا في هذا وهو قوله: [البسيط]

يأتِي النسَاء على أطْهـــارهنّ ولا يأتِي النساء إذا أكْـــبرْنَ إكبـــارا [3]

وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة ، والهاء في (أكبرنه) " تنفي هذا... "

٣) الاستشهاد للاحتجاج للقراءات وتوجيهها:

وليس معنى هذا أنه يرتضي كل قراءة لها شاهد ، بل كان يرفض الشاذ من القراءات وإن كان لها شاهد وشاهد ، ومن أمثلة ذلك قوله فيمن قرأ قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ (الصافات ٣٧/٥٤) بتخفيف طاء (مطلعون) وكسر نونها [4]: " فأما الكسر للنون فهو شاذٌ عند البصريين والكوفيين جميعًا ،

---

(١) القائل – كما في اللسان (أزر) ٥ / ٧٥ – ن فيلة الأكبر الأشجعي ، وكنيته أبو المنهال ، في قصيدة وجهها لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ .

(٢) معاني الزجاج ٣ / ١٠٦ .

(٣) البيت برواية (نأتي) بالنون ، في اللسان (كبر) ، وقد تعقب الأزهري هذا الرد ورأى أن أكبرن بمعنى حضن معروف عند طيء ، وإن اتفق مع الزجاج في استبعاد حمل الآية على هذا المعنى ، انظر تهذيب اللغة (كبر) ٢١١ – ٢١٢ وراجع تفسير القرطبي ٩ / ١٨٠.

(٤) معاني الزجاج ٤ / ٣٠٥ وسبب الشذوذ الإتيان بنون الوقاية في آخر الاسم .

وله عند الجماعة وجه ضعيف، وقد جاء مثله في الشعر : [الطويل].

همُ القائلون الخيرَ والآمرونَه إذا ما خَشَوا من مُحدَثِ الأمر مُعظَما[(١)]

وأنشدوا : [الوافر]

وما أدري وظني كلّ ظنّي أَمُسْلِمُني إلى قومي شَرَاحِ [(٢)]

وفي قول الله تعالى : ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ (يوسف ١٢/ ١٠) يقول الزجاج [(٣)]: "هذا أكثر القراءة - بالياء - وقرأ الحسن (تلتقطه) بالتاء ، وأجاز ذلك جميع النحويين وزعموا أن ذلك إنما جاز لأن بعض السيارة سيّارةٌ ، فكأنه قال : تلتقطه سيارة بعض السيارة ، وأنشدوا : [الطويل].

وتَشْرَقُ بالقول الذي قد أذعْتَهُ كما شرِقتْ صدرُ القناةِ من الدمِ[(٤)]

الاستشهاد على المسائل النحوية والصرفية :

أكثر الزجاج من الشواهد الشعرية للاحتجاج على مذهبه في المسائل النحوية والصرفية، ولكن معظم هذه الشواهد استشهد بها سيبويه في كتابه ، أو المبرد في المقتضب ، وإن كان الزجاج أحيانًا يسوق الشاهد في غير الغرض الذي سيق من أجله في المرجعين السابقين ، وهذا لعلمه الغزير وعلو شأنه في اللغة والنحو .

---

(١) هذا البيت مما صنعه النحويون ، انظر الخزانة ٢ / ١٨٧ ، والشاهد فيه : والآمرونه ، وقياسه: والآمروه.

(٢) البيت ليزيد بن مخرم الحارثي كما في شواهد المغني ٢٦١ ، وانظر المحتسب ٢ / ٢٢٠ ، واللسان (شرحل) ١٣ / ٣٧٥ وشراح : قال الفراء : يريد شراحيل ، أي إنها ترخيم ، انظر معاني الفراء ٢ / ٣٨٦ ، وشرح شواهد معانى الفراء ٩٠.

(٣) المعاني ٣ / ٩٤ .

(٤) البيت للأعشى في ديوانه ق١٥/٣٤ص ٩٤ ، والشاهد فيه ، تأنيث تشرق ، وفاعله صدر مؤنث ، وانظر المذكر والمؤنث للفراء (د.رمضان) ١٠١.

ومن شواهد سيبويه في المعاني ما صرّح به الزجاج عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران ٣/١٦٣): " .. ومعنى (هم درجات) : هم ذوو درجات ، لأن الإنسان غير الدرجة كما تقول : الناس طبقات أي ذوو طبقات وأنشد سيبويه. [1]: [الوافر]

أَنَصْبٌ للمنيةِ تعْتريهم رجالٌ أمْ هُمو دَرَجُ السيول [2]

أي هم ذوو درج ، ويجوز .. أم همو درجَ السيول على الظرف [3]

ومن الشواهد عند سيبويه في كتابه والمبرد في المقتضب والكامل [4] قول الشاعر [5]: [الطويل]

ويومًا [6] شهِدْناه سُلَيما وعامرًا قليلاً سوى الطعنِ النّهالِ نوافلُهْ [7]

فقد استشهد به سيبويه والمبرد على نصب ضمير اليوم وهو الهاء في (شهدناه) على التشبيه بالمفعول به اتساعًا ، والمعنى شهدنا فيه ، وتبعهما الزجاج فاستشهد به في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ (البقرة ٢/ ٤٨) ولكن لموضوع آخر ، فقال : " ...وقال بعض النحويين : إن المحذوف هنا

---

(١) في الكتاب ١/٢٠٦ برواية : رجالي وقد استشهد به سيبويه لنصب (درج) على الظرف المكاني ، ثم روى رفعه عن يونس ، انظر الكتاب ١ / ٢٠٦ .

(٢) البيت لإبراهيم بن هرمة القرشي في ديوانه (محمد جيار المعيبد) ق٢٠٦ /١ ص ١٩٢ ، وبتحقيق (محمد قناع وحسين عطوان) ١٨١ برواية: رجالي ، وانظر الخزانة ١ / ٢٤٠ .

(٣) معاني الزجاج ١ / ٤٨٦ .

(٤) انظر الكتاب ١ / ٩٠ ، والمقتضب ٣ / ١٠٥ – ١٠٦ ، والكامل ١ / ٢١ .

(٥) هو رجل من بني عامر غير معروف في المصادر ، وانظر الخزانة ٢ / ١٥١ – ١٥٣ والمقرب لابن عصفور ١ / ١٦٤ .

(٦) في معاني الزجاج : ويوما بالنصب،على خلاف الكتاب والمقتضب والكامل،فهو بالجر هناك

(٧) سليم وعامر قبيلتان من قيس بن عيلان كان بينهما معارك في الجاهلية ، والطعن النهال : هو الدامي .

الهاء [1] ، لأن الظروف عنده لا يجوز حذفها ، وهذا قول الكسائي ، والبصريون وجماعةٌ من الكوفيين يقولون إن المحذوف : (فيه) .. " [2]

كما تحدث الزجاج في بعض القضايا الصرفية مستشهدا بالشعر ، ومن أمثلة ذلك (فعلت وأفعلت) كما جاء في تفسير : ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ (يوسف ١٢/ ٩١) حيث قال [3] .. يقال : خطئ يخطأ خطأ ، وأخطأ يخطئ إخطاء ، قال امرؤ القيس [الرجز]

يـا لَهـفَ هنـد إذْ خَطـئْنَ كـاهلا
القـاتلينَ الملكَ الحُلا حِـلا [4]

مصادر الزجاج :

أكثر الزجاج من النقل عن أعلام النحويين البصريين بصفة عامة ، غير أنه كان مفتونًا بالخليل وسيبويه ، فهو كثير الأخذ عنهما والثناء عليهما ، وأقوالهما معتمدة لديه ، ولا يكاد يقدّم على رأيهما رأيًا إلاّ نادرًا ، وكثيرًا ما كان يقول في معانيه : " هذا مذهب سيبويه والخليل ومن يوثق بعلمه " [5] ؛ بل إنه يقول في أحد المواضع عن الخليل : " ورُويت عن الخليل أيضا كذلك ، والإجماع أنه لم يكن أعلم من الخليل بالنحو " [6] ولأن الزجاج إمام كبير ، فقد كان بدهيًا أن يستقل ببعض الآراء ، وأن يخالف ما جاء عن سيبويه ، غير

---

(١) فيكون المعنى : (لا تجزيه).   (٢) معاني الزجاج ١ / ١٢٨ .

(٣) المعاني ٣ / ١٢٨ .

(٤) هذان بيتان من مشطور الرجز في ديوان امرئ القيس (السندوبي) : ١٧٥ – ١٧٦ ولكن بينهما بيتين آخرين ليتم المعنى وهما : تالله لا يذهب شيخي باطلا
حتى أُبير مالكا وكاهلاً

وهند : هي أخت امرئ القيس ، ومالك وكاهل: قبيلتان اشتركتا في قتل أبيه ، والحلاحل ، السيد الشريف يعني أباه.

(٥) معاني الزجاج ٢ / ١٩٩ .   (٦) المعاني ٣/٣٦١ .

أنه حين يفعل ذلك يكون في منتهى الرقة ، وربما يبدي اعتذارًا عنه كما فعل في موضوع إجازة سيبويه إسكان آخر الكلمة المعربة لضرورة الشعر حيث قال : " ولم يكن سيبويه ليروي إلاّ ما سمع "[(١)]

ويأتي في المرتبة الثالثة بعد هذين الإمامين : شيخ الزجاج وإمام البصريين في زمانه أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرّد ، فهو المصدر الثالث في معاني الزجاج ، والكتاب لا يخلو من ألفاظ تشير إلى إجلال التلميذ لأستاذه ، كقول الزجاج في أحد المواضع عن رأي رآه : " وكنت عرضته على عالمَيْنَا محمد بن يزيد ، وعلي إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زايد القاضي [(٢)]، فقبلاه .... "[(٣)]

غير أنه لا يلتزم بأقوال شيخه ، وإن كان يرجحها أحيانًا ، وربما رفضها في أحيان أخرى وردّها بعبارة غير راقية على خلاف ما كان يفعل مع سيبويه ، وقد مرّ بنا مثالٌ لذلك فيما مضى .

ويكثر الزجاج أيضا من النقل عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، ومع هذا فقد تحاشى كثيرًا من أخطاء أبي عبيدة ، ولم يجاره في لغوياته التي انفرد بها، وهي تجاري قواعد اللغة ، ولا تتفق ومذاهب التفسير ، كما ردّ آراء أبي عبيدة أحيانًا وفندها ، فكان موقفه منه موقفه من اللغويين السابقين ، ولا بأس من مجاراته في بعض الآراء ، وإن كانت شاذة ؛ لأن الزجاج نفسه له آراء شاذة .. " [(٤)]

---

(١) المعاني ١/١٣٧ .

(٢) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد ، من موالي آل جرير ، ولد ونشأ بالبصرة ، كان إماما في العربية والفقه ، وكان شيخ المالكية في زمانه ، وكان من نظراء المبرد في علم كتاب سيبويه ، ومن شيوخ الزجاج توفى سنة ٢٨٠ هـ، من مؤلفاته: أحكام القرآن ، ومعاني القرآن ، له ترجمة في بغية الوعاة ١٩٢، وغاية النهاية ١٥٤.

(٣) معاني الزجاج ٣ / ٣٦٣ وانظر أيضا ١ / ٤٠٠ ، و٢ / ١٧٢ و١٨٠ .

(٤) مقدمة تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي لمعاني الزجاج ١ / ٣٠ وانظر مثالاً لرد الزجاج

وينقل الزجاج بعد ذلك أحيانًا عن أبي عمرو بن العلاء [١] ، والأخفش [٢] ، وقطرب [٣] والمازني [٤] ، وعيسى بن عمر [٥] ، وأبي زيد الأنصاري [٦] ، واسماعيل بن إسحاق [٧] ، ولكنه نقل العالم الواعي بما يفعل ، المستقل بآرائه ، والمعتد بشخصيته العلمية ، فلا يذوب في غيره ، وإن كان شيخه ، ولا يجامل أحدا حتى أئمة مذهبه البصري ، فقد خطّأ كثيرًا من قراءة أبي عمرو بن العلاء - وهو أحد القراء السبعة - على الرغم من كونه بصريًا كبيرًا[٨] وخطأ شيخه المبرد [٩] وردّ على المازني وقطرب في بعض المواضع [١٠] بعبارات قاسية .

أما الكوفيون ، فحدث عن تخطئته لأئمتهم ولا حرج ! فهو لا يكاد يذكر الكسائي والفراء إلاّ ليرد عليهما ، ويظهر جهلهما - وهما من هما - بسببٍ أو لغير سبب !

وخذ إليك هذا المثال : في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ (المائدة ٥ / ٦٩) يقول الزجاج : " اختلف أهل العربية في تفسير رفع (الصابئون) فقال بعضهم : " نصْبُ (إنّ) ضَعُفَ ، فَنُسِق بـ (الصابئون) على (الذين) ؛ لأن الأصل فيهم الرفع ، وهو قول الكسائي ، وقال الفراء مثل ذلك .. وهذا التفسير إقدام عظيم على كتاب الله " [١١] . والأمر على هذا النحو لا يعدو كونه مجرد رأي نحوي ، والنحو

على أبي عبيدة ١/١٠٨ و٤١٥ و٢ / ١٥٩ .

(١) نظر على سبيل المثال : ١ / ٧٨ – ٨١ .

(٣) انظر مثلا : ١/٦٤ و٦٥

(٣) انظر مثلا : ١ / ١٧٠ .

(٥) انظر مثلا : ٢ / ٦ .

(٥) انظر مثلا : ١ / ٦٤ و٢ / ١٧٢ .

(٧) انظر مثلا :١ / ٤٠ .

(٧) انظر مثلا : ٢ / ٦ و١٧٣.

(٨) انظر أمثلة لتغليط الزجاج قراءة أبي عمرو في المعاني ٣ / ٢٤٠ و٣٦٤ .

(٩) مرت بعض الأمثلة على ذلك وانظر أيضا المعاني ١ / ٦٢ و٢٢٨ و٢٢٩ .

(١٠) مرت بعض الأمثلة على ذلك وانظر أيضا المعاني ١ / ٦٢ و٢٢٨ و٢٢٩.

(١١) معاني الزجاج ٢ / ١٩٢ .

حمّال أوجه وسواء اتفقنا مع ما ذهب إليه الكسائي والفراء أو لم نتفق، لا يمكننا القول إن رأيهما إقدام عظيم، إلاّ إذا كانت هناك دوافع نفسية لا إخالُها إلاّ التعصبَ المذهبي والخلاف المنهجي بين مدرستي البصرة والكوفة، ذلك الخلاف الذي يرتكز - كما هو معروف - في أساسه على أن الكوفيين يتوسعون في الاحتجاج، ويقبلون من كلام العرب وبعض قبائلهم ما لا يقبله البصريون، وكان يمكن لهذا الخلاف أن يظل علميًّا محضًا، وألاّ يتجاوز النقاش فيه حدود النقد النزيه، لولا أن طبيعة البشر الغلابة من الانفعال السريع والتعصّب المقيت، صرفته عند بعض علماء المدرستين إلى صراع محموم، وتحاسد مذموم مما لا نجد لذكر نماذج له الآن مجالاً!

على أية حال فإن الزجاج في معانيه قليل الإنصاف لشيخي المدرسة الكوفية؛ فهو لا يترك مناسبة إلاّ شنّع عليهما، وانتقص من قدرهما على خلاف ما فعل مع الخليل وسيبويه، وهو شيء مفهوم في إطار ما قلته آنفا.

وأما المرجع الأساس للزجاج في القراءات فهو ما رواه أبو عبيد [1] كما ذكر هو في المعاني [2] إذ يبدو أنه لم يدرس قراءات القرآن ورواياته، وإن كان قد ألمّ بقراءات اللغويين وبخاصة الشاذة منها، وبسبب هذا فإنه كان يتردد أحيانا فيقول يجوز في هذه الآية كذا وكذا إن كان قد قُرئ به [3] وهكذا.

---

(١) يذكر المترجمون للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام أنه ألّف كتابًا جمع فيه ما يزيد عن قراءة خمسة وعشرين إمامًا سوى السبعة المشهورين. انظر مقدمة الدكتور شوقي ضيف لكتاب السبعة لابن مجاهد ١ - ١١.

(٢) يقول الزجاج في معانيه: " وأكثر ما أرويه من القراءة في كتابنا هذا فهو عن أبي عبيد القاسم بن سلام، مما رواه إسماعيل بن إسحاق عن أبي عبد الرحمن عن أبي عبيد " ومعروف أن الزجاج كان معاصرًا لابن مجاهد، ويبدو أن الزجاج كان يؤلف كتابه في المعاني في الوقت نفسه الذي كان فيه ابن مجاهد يُصنّف كتابه (السبعة) ولذا لم ينتفع الزجاج بكتاب ابن مجاهد.

(٣) انظر على سبيل المثال: المعاني ٤/٢٥.

قيمة الكتاب وأثره في الخالفين :

ليس بمقدور أحد أن ينكر أهمية كتاب معاني القرآن للزجّاج ، ولا أن يغفل أثره الكبير في معظم المؤلفات اللغوية والنحوية والتفسيرية التي جاءت بعده على مر العصور .

وتكمن أهميته في أنه الكتاب الوحيد في معاني القرآن الذي حفظته لنا يد الدهر حتى وصل إلينا من بين جميع كتب المعاني التي ألّفت في القرن الثالث الهجري أي إنه أول كتاب يصل إلينا بعد معاني الفراء ، فليس بين الفراء والزجاج كتاب آخر . كما أنه الكتاب الوحيد الذي يبرز لنا بصريًّا من أخمص قدميه إلى قمة رأسه !

ونظرًا لأهميته من جهة ولمكانة صاحبه العلمية من جهة أخرى ، فقد دارت حول الكتاب عدة دراسات تناولته بالشرح حينا وبالنقد في أحيانٍ أخرى .

فممن تناولوه بالشرح : الإمام الرمّاني ، كما ذكر ذلك القفطيّ [1] ، ولم يصل كتابه إلينا ، وممن تناولوه بالتعليق والنقد الإمام أبو علي الفارسي في كتابه الإغفال ، الذي تناول فيه ما أغفله الزجاج في معانيه ، وعلّق على جملة مسائل منه ، مع أنه من أكابر تلامذة الزجاج [2] .

كما تأثر بهذا الكتاب أيضًا تلميذا الزجاج المصريان المشهوران : ابن الراوندي ، وأبو جعفر النحاس ، أما الأول فقد كانت نسخة من معاني الزجاج مرجعًا تصحح عليه نسخ الناسخين ، وأما الثاني فقد تأثر بأستاذه كثيرا وظهر ذلك في مؤلفاته المشهود وبخاصة (**إعراب القرآن**) و(**معاني القرآن**) [3] وامتدّ هذا التأثير ليشمل معظم من ألّف في معاني القرآن بعد الزجاج ، ومنهم على سبيل المثال : الأزهري في معاني القراءات ، والكرماني في

(١) إنباه الرواة ٢ / ٢٩٥ .

(٢) وسنتناول بإذن الله هذا الكتاب بالتعليق في موضعه .

(٣) نقل النحاس كثيرا من آراء أستاذه الزجاج في كتابه (معاني القرآن).

مفاتيح الأغاني ، وابن إدريس في المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ، كما سيتضح فيما بعد .

أما المفسرون الذين تأثروا بكتاب الزجاج ونقلوا عنه ، فلا أكاد أحصيهم عددًا، ومنهم الزمخشري في الكشّاف الذي صرّح بأنه اعتمد على الزجاج في دراسته اللغوية [١] والقرطبي الذي كان ينقل عنه تارة مع أصحاب المعاني ، وتارة يفرده بالنقل عنه مع التصريح باسمه [٢] ، ومنهم البغوي ومحمد بن الخازن اللذان كانا يرجعان إلى رأيه لا في اللغة فقط بل في جوانب من التفسير أيضًا [٣] بل إن الواحدي المفسر المشهور يقول : " ومعاني القرآن للزجاج لَمْ يُصنّف مثله " [٤] وأما اللغويون الذين تأثروا بالكتاب فمن أبرزهم : ابن منظور في لسان العرب ، والبغدادي صاحب (خزانة الأدب) الذي ذكر في مقدمته أنه اتخذ معاني القرآن للزجاج أصلاً من الأصول التي يرجع إليها [٥] .

مآخذ على الكتاب :

لا يخلو كتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج من بعض العيوب القليلة ، التي لا تغضي من قيمته كمصدرٍ شديد الثراء في النحو واللغة والتفسير في تراثنا العربي الخالد ، ومن هذه العيوب من وجهة نظري:

(١) نقده الشديد - في بعض الأحيان - للقراءات الصحيحة المتواترة ،

---

(١) الكشاف ٢ / ٧٣ انظر على سبيل المثال معاني النحاس ١/٧٤ و٩٤ و١٠٤ و٢٩٦ و٣٠٤ و٣٠٧.

(٢) انظر على سبيل المثال : تفسير القرطبي ١ / ٢٦٣ و٣٢٢ و٣ / ١٣ و٨ / ٢٧٤ و١١ / ١٧٢ و٢٨٩ و١٢ / ٥ و١٥ و٤٢ / ٩ و١٠٠ و١٣ / ١٣ و١٧ و٤١ .

(٣) انظر مقدمة تحقيق معاني الزجاج ١ / ٢٥ .

(٤) البرهان للزركشي ٢ / ١٤٦ – ١٤٧ .

(٥) انظر الخزانة ١ / ٣ .

كنقده لقراءة الإمام حمزة في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ (النساء ٤/١) بجر الأرحام ، فقد قال الزجاج : " فأمّا الجرُّ في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار الشعر، وخطأ أيضًا في أمر الدين عظيم"... "[١]

وكذلك نقده قراءة حمزة أيضًا في قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴾ (إبراهيم ١٤/ ٢٢) حيث قال : " ... وقرأ حمزة والأعشى بمصرخيِّ بكسر الياء ، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها إلاّ وجه ضعيفٌ ذكره بعض النحويين . "[٢]

كما خطّأ أبا جعفر المدني (أحد القراء العشرة) في بعض قراءاته ، مع أنه أثنى عليه [٣]، وخطّأ أبا عمرو بن العلاء - وهو أحد القراء السبعة - بجراءة عجيبة ، وذلك في آية " ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴾ (الإسراء ١٧/٣٨) فقد قرأ أبو عمرو (سيئةً) بالتاء ، ولم يكن وحده الذي قرأ بها كذلك ، بل قرأها معه ابن كثير ونافع من السبعة وبعض القراء من غير السبعة أيضًا [٤] ومع ذلك كله ، فقد تعجل الزجاج وحكم على هذه القراءة بالغلط ، وقال : " وكان أبو عمرو لا يقرأ (سيئُهُ) ويقرأ سيئة وهذا غلط لأن في الأقاصيص سيئًا وغير

(١) المعاني ٢ / ٦ وهذه القراءة لحمزة فسرها المازني بردود مقنعة كما في حجة القراءات ١٨٩ ، وانظر السبعة ٢٢٦ ، والغاية في القراءات العشر لابن مهران ١٣٢.

(٢) المعاني ١٥٩/٣ وهذه القراءة لحمزة كما في حجة القراءات لابن زنجلة ٣٧٨ لها وجوه صحيحة

(٣) انظر بعض الأمثلة على ذلك في المعاني ١ / ١١١ – ١١٢ ، و ٤ / ٦٠ .

(٤) انظر الغاية في القراءات لابن مهران ١٩١ والنشر ٢ / ٣٠٧ وحجة بن زنجلة ٤٠٢ .

سيئٍ [١] وهذه شبهة أوهى من خيوط العنكبوت ، لا أدري كيف رد بها قراءة متواترة جاءت عن أوثق الأئمة [٢] ؟ وأعجب من هذا أنه خطّأ قراءة للإمام عاصم لمجرد استثقال النطق بها [٣] !

ومعلوم أن كل اعتراضات النحويين على القراءات قد أجاب عنها كثير من الأئمة الثقات عبر العصور ، وهو الواجب في حق كتاب الله تعالى ، فهو أصل الأصول، والنحو تابع له وليس حاكمًا عليه .

(٢) **التعصب المذهبي** الذي دفع الزجاج للانتقاص من الكوفيين بطريقة غير مقبولة ، والتشنيع على آرائهم في كثير من المواضع كما مرّ بنا ، إلى حد أنه يرى أن الكوفيين ليس لهم قول في بعض أبواب النحو ، حيث يقول : " وهذا الباب انفرد به البصريون في النحو، وليس للكوفيين ولا للمدنيين فيه شيء ، وهو باب الإمالة " [٤] غير أني - من باب الإنصاف - رأيته يترك تلك العصبية مع القراء ، فهو يوافقهم حين يرى لقراءاتهم وجهًا سائغًا عنده ، ويرد عليهم حين تخالف قراءاتهم اللغة

---

(١) المعاني ٣ / ٢٤٠ .

(٢) وقد وجهها العلماء بأن المشار إليه على هذه القراءة المنهي عنه فقط ، جاء في إعراب القرآن للنحاس : " قال أبو جعفر : ولا يلزم من هذه الاحتجاجات شيء ؛ لأن الأشياء الحسان تقدمت في باب الأمر ، ثم جاء النهي فجاء بعده : (كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) لما نهي عنه "

(٣) وذلك في قوله تعالى : (أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ)(يونس: من الآية ٣٥) حيث يقول الزجاج " ورويت عن عاصم أيضًا (يهِدّي) " بكسر الهاء والياء ، أتبع الكسرة ، وهي رديئة لثقل الكسر في الياء " المعاني ١٩/٣ ولا تعليق !.

(٤) معاني الزجاج ١٦٧/٥ .

بصرف النظر عن كونهم بصريين أو كوفيين ، ولذلك فقد مرّ بنا انتقاده لأبي عمرو بن العلاء ، وهو من أئمة البصريين .

(٣) **التوسع في مذهبه الاشتقاقي** ، ذلك التوسع الذي أدى إلى أن يسخر منه بعض اللغويين كما مرّ بنا .

هذا كل ما يمكنني رصده ، وهو قليل إلى جوار ما يمتلئ الكتاب به من التبحر في العربية ، والفهم الدقيق ، والاستنباط الصحيح.

ولا يضر الكتاب وجود بعض الآراء الشاذة فيه ، فهذا لا يكاد يسلم منه كتاب ولا كاتب.

(٤) الإغفال
لأبي على الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)

يبدأ أبو على الفارسي كتابه هذا بمقدمة موجزةٍ يقول فيها " هذه مسائل من كتاب أبي إسحاق الزجّاج في إعراب القرآن ذكرناها لما اقتضت عندنا من الإصلاح منها ؛ للإغفال الواقع فيها ، ونحن ننقل كلامه في كل مسألة من هذه المسائل بلفظه ، وعلى جهته من النسخة التي سمعناها منه فيها ، ثم نتبعه بما عندنا فيه ، وبالله التوفيق "[١] .

وهذه المقدمة – على وجازتها – تظهر أمورًا كثيرة ، منها : أن هذا الكتاب نقدٌ لكتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجّاج ، وهو من أهم شيوخ أبي على !

ومنها : أن الفارسيَّ نقل في إغفاله نص كلام أستاذه من نسخة سمعها منه بنفسه ، بما يعني أن ما أثبته هنا في غاية الصحة والضبط ، وعلى هذا فإن

---

(١) الإغفال ١ / ٣٨ .

كتاب الإغفال ينبغي أن يقابل بما في معاني الزجّاج المطبوع ، بحيث يُصَحح عليه الأمور المشكلة أو الساقطة في نسخه ، للاستفادة من هذا الكتاب الذي لم يكن قد طُبع عند ظهور معاني الزجّاج .

ومنها : أن منهج الفارسي يتمثل في أنه ينقل كلام الزجّاج في بداية كل مسألة ، ثم يعقب عليه بما يرى ، أي إن " منهجه قائم على تتبع المعاني ، وفرز مواضع الإغفال فيه ، وعقد مسائل لها ، واحدة تلو الأخرى ، سائرًا مع نص الكتاب المفقود ، وتناسب الموضوعات .. "[١]

وبهذا فإن الإغفال يختلف في منهجه عن سائر كتب معاني القرآن التي وصلت إلينا ، فإن مؤلفه لا يتناول آيات القرآن بالشرح والتحليل كما فعل أهل المعاني ؛ وإنما يعلّق على بعض آراء الزجّاج التي يراه غير مصيب فيها .

وقد أعرض أبو على في كتابه هذا كثيرًا من المسائل النحوية واللغوية والصرفية ، " وهذه المسائل في أغلبها مسائل اعتمد فيها الزجّاج على كلامٍ للخليل وسيبويه ؛ إلاّ أن فهمه على غير الوجه الذي فهمه عليه الفارسي "[٢]

والمسائل التي عرضها أبو على تسعٌ ومائةُ مسألة ، والمسألة عنده تعني موضوعًا معينًا قد تتعدد أقوال الزجّاج فيه ، كما قد تتعدد الآيات التي تناسبه وتدخل في إظهاره .

ويبدأ الكتاب – بعد المقدمة الموجزة – بالمسألة الأولى ، وقد خصصها المصنف للتعليق على ما ذكره الزجّاج حول لفظ الجلالة (الله) واستغرق رد أبي على على شيخه ثلاثًا وثلاثين صفحة كاملة [٣]!

غير أن بعض المسائل لم يكن بهذا الطول [٤] وبعضها كان غاية في القصر، ومن ذلك : (المسألة السادسة والثمانون)، وتتعلق بقوله تعالى :

---

(١) النحو وكتب التفسير ١ / ٤٤٤ .

(٢) مقدمة تحقيق الإغفال ١ / ٢٢ . (٣) انظر الإغفال ١ / ٣٨ – ٧٢ .

(٤) كالمسألة السادسة والسبعين (٣٥٥/٢ –٣٥٦)،والمسألة الثالثة والثمانين (٣٩٥/٢ – ٣٩٦)

﴿ لَنُحَرِّقَنَّهُۥ [1] ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ (سورة طه ٢٠/ ٩٧) فقد نقل فيها الفارسي قول الزجّاج " لَنَحْرِقَنَّهُ بالنار ؛ وإذا شدّد[2] فالمعنى: نُحَرِّقه مرّة بعد مرّة ، وقرئت : لَنَحْرُقنّه [3] – بضم الراء – وتأويله لنبرُدنّه بالمِبرد ، يقال : حَرَقت الشيء أحرُق وأحرِق إذا بَرَّدْتَه، " ثم عقّب قائلاً : " أقول : إن من قرأ : (لنُحرّقنّه) فحمله على الحرق بعيدٌ ؛ لأنه لا يحتمل الإحراق ، ولكن من شدّد كان بمعنى من قال : (لَنَحْرُقنّه) بفعل منه لا من الحريق " [4]

ومن ذلك أيضًا ما جاء في (المسألة السابعة والسبعين) في قوله تعالى : ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء ١٧/٧) : فقد قال الزجّاج : " ليدمّروا في حال علوّهم ، ويقال لكل منكسر من الزجاج والحديد : تِبْر "، وقال أبو علي معقبًا : " اعلم أن هذه عبارةٌ ؛ أجود منها وأصحّ في المعنى في مطابقة المراد : وليتبّروا في وقت علوهم ؛ لأن هذه (ما) التي أصلها المصدر ، ثمّ (يُتَّسعُ) فيها ،

---

(١) ضبطها محقق الإغفال : (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بتشديد الراء ، ولا يستقيم ذلك مع السياق ، وجميع هذا النص في هذه المسألة يحتاج إلى مراجعة ضبط ، سواء في معاني الزجّاج أو في الإغفال ، لأن به أخطاء معيبة ، ولعلّ أكثرها ينصلح بمقابلة النصين (في المعاني والإغفال) أحدهما بالآخر ، وهو ما حاولته ، وعلى ذلك قدّمت هذا الضبط الذي أراه مستقيمًا مع السياق فيهما جميعًا . كما أن القراءات في هذه الآية (موضوع المسألة) كانت بحاجة إلى عزوها لأصحابها ؛ لأن مدار الكلام حولها ، وهو ما لم يفعله محقق المعاني ، وفعل بعضه – وأعرض عن بعض – محقق الإغفال ! انظر الإغفال ٢ / ٤١٦ .

(٢) القراءة بالتشديد (لَنُحَرِّقَنَّهُ) قراءة الجمهور ، انظر الإتحاف ٣٨٨ ، ومعجم القراءات للدكتور / عبد اللطيف الخطيب ٥ / ٤٩٣ .

(٣) قرأ بها علي وابن عباس وآخرون ، كما في المصدرين السابقين في الموضع السابق نفسه ، وقد أورد الدكتور عبد اللطيف في كتابه (معجم القراءات) قول علي رضي الله عنه في معنى هذه اللفظة فقال: (أي : لنُبرّدنّه)! وواضح أن الضبط الصحيح (لنَبْرُدنّه) أي بالمبرد ، كما جاء عند الزجّاج وأبي علي في المسألة التي معنا ، وجلّ من لا يسهو !

(٤) الإغفال ٢ / ٤١٦ .

وتستعمل ظرفًا من الزمان . وقد مرّ في غير هذا الموضع "[1] .

بل إن أبا علي لينقل – أحيانًا – رأي الزجّاج بنصه ؛ ثم لا يعلق عليه بشيء ! وهو في تناوله لهاتيك المسائل لا يخرج عن هذه النزعة الجدلية التي يعرف أهل المنطق بها ، والتي عُرف هو بها ، وحرص عليها أشدّ الحرص ، ومن مظاهر ذلك لديه أنك تجد في أسلوبه كثيرًا من مثل (فإن قال قائل ... قلتُ) أو (فإن قُلتَ ... قُلتُ) ... إلخ .

وقد أحصيت من هذه العبارة وأشباهها في المسألة الأولى فقط نحوًا من عشرين جملة[2] وربما تتفرع الجملة عنده إلى جمل أخرى تسهم بدورها في إبراز أسلوب أبي علي في القياس المنطقي والحجاج والتعليل ، على خلاف شيخه الذي كان ذا أسلوب ظاهر مركز ، لا يعمد فيه إلى التعقيد والإيغال في التعليل ، وتنويع الأقيسة وتشقيق المسائل والأدلة .

هكذا اختلف الرجلان الجليلان في الأسلوب ، وصدق من قال : " إن الرجل هو الأسلوب "[3]

وقد رأيت في ترجمة أبي علي أنه معدود من تلامذة ابن السراج[4] ، فلا غرو إذن أن ينحو نحوه ، وأن يقفو أثره " في القياس والتعليل وتأصيل المسائل وتثبيت الأصول وتفريع الفروع ، وتنظيمها ، وإيراد الشبه ودفعها ، بمثل القول : (فإن قال قائل) "[5] ، وهذا أسلوب المناظرة في العلم، ويقوم على توقع السؤال من المخالفين قبل أن يطرح ! ولعلّ ذلك من الوضوح بمكان في كتابه (أصول النحو) الذي سرت طريقته في سائر مصنّفات أبي علي ، حتى ورثها عنه تلميذه

---

(١) الإغفال ٢ / ٣٥٧ .

(٢) راجعها في الإغفال ١ / ٣٨ – ٧٢ .

(٣) انظر معجم الكلمات الجامعة لسمير شيخاني ٤٥ .

(٤) انظر طبقات الزبيدي ١٢٩ – ١٣٠ .

(٥) النحو وكتب التفسير ١ / ٤٤١ .

عبقريّ اللغة العربية الكبير : ابن جني ، وعرفت تلك الطريقة بمدرسة القياس ، وإن كان هذا لا يعني إهمال السماع عند هؤلاء الأعلام .

وأكثر انشغال أبي على في الإغفال بالمسائل النحوية ، شأن كثير من أهل المعاني ، ومن أمثلة ذلك مناقشته – الطويلة – لأستاذه حول (كلٍّ) في قوله تعالى : ﴿ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (إبراهيم ١٤ /٣٤)، حيث نقل قول الزجاج : " ومن قرأ : (من كلٍ ما)[١] فموضع ما النصب ، والمعنى : آتاكم من كلّ الأشياء الذي سألتموه .... ويجوز أن تكون (ما) نفيًا ، ويكون المعنى : وآتاكم من كلٍّ لم تسألوه ؛ أي وآتاكم من كل شيء الذي ما سألتموه "[٢] . وتعقبه بقوله[٣] : " اعلم أن ما تأوله من قوله (وآتاكم من كلٍّ ما سألتموه)، على أن يكون المعنى النفي ، غير حسن ولا مستقيم ؛ وذلك أنه يلزم أن تكون الجملة المنفية صلة (كل) ، وكلٌّ معرفة ، فلا توصف بالنكرة ... فإن قال قائل : ما ينكر أن تكون الجملة منقطعة من (كلٍّ) ومستأنفة بعده ، وغير جارية وصفًا عليه ؟ قيل : لم يحمله أبو إسحاق على هذا ، إلاّ أنه قيل : قدّر الجملة تقديرًا متصلاً بـ (كلٍّ) فقال : (من كل لم تسألوه ، أي : آتاكم من كل شيء الذي لم تسألوه) فأضاف كلاً إلى شيءٍ ، وقد أساء في أن مثّل كلاً

(١) هي قراءة ابن عباس والضحاك والحسن والأعمش ، وعاصم في رواية أبان وأبي بكر عنه ، وآخرين ، انظر الإتحاف٣٤٣ ،و معجم القراءات ٤/٤٩٢ – ٤٩٣ . وقد سكت محققا المعاني والإغفال عن تخريجها أيضًا!

(٢) الإغفال ٢ / ٣٥٢ ، والنص في معاني الزجّاج آخره " آتاكم الشيء الذي لم تسألوه " وهو بهذه الصورة مضطرب ؛ ولا يستقيم مع مقصود الزجّاج ، وقد أحسن الدكتور عبد اللطيف الخطيب كل الإحسان بقوله عن هذا الموضع في معاني الزجاج : " وآخر نص الزجّاج غير محكم ، فقد تأول (ما) على أنها الذي، فرجع إلى الوجه الأول ، ثم قدّر النفي بذكر لم "(معجم القراءات) ٤ / ٤٩٤ . وهو ما يعضد دعوتي الملحة لمقابلة النصين أحدهما بالآخر!

(٣) الإغفال ٢ / ٣٥٢ – ٣٥٤ بتصرف واختصار .

بـ (كل شيء) لما ذكرته من تعريفه . وأساء أيضًا في قوله : (من كل شيءٍ الذي لم تسألوه) ، .... فأما إدخال (الذي) في الكلام على هذا التقدير فمما لا وجه له ولا مجاز ..... فإن قيل : نقدّره حالاً ، ولا نقدره صفة ليصحّ الكلام . قيل : لو جاز في هذا أن يكون حالاً لجاز : مررت بزيد لم يقم ، تريد الحال ، وهذا لا يجوز ، فإذا لم يجز الحال هنا ، وكان الوصف غير مستقيم تأويله لما ذكرته لك ، حملناه على أن التقدير كأنه : وآتاكم من كلٌ ، أي : وآتاكم من كل الأشياء ، ولم يعطف فيكون قوله : (لم تسألوه) جملة أخرى حكمها أن تتبع الأول بحرف عطف ، إلاّ أنه استغنى عن العطف بهذا ، إذ الثانية من الأول بمنزلة قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢/٣٩).

وهذا النموذج - وصِنوه عشراتٌ في الكتاب[١]- يشير بوضوح إلى طريقة تعامل أبي على مع كلام الزجاج ، إذ يصفه بأنه (غير حسن ولا مستقيم) وطريقة تعامل الزجاج نفسه بأنه (قد أساء) و(أساء أيضًا) وهذا في اقتباس واحد من مسألة واحدة فكيف ببقية الكتاب ؟

ولست أرى سببًا واضحًا لتلك الحملة الضارية التي يقودها تلميذٌ في مواجهة أستاذه ! فليس مجرد الخلاف في بعض القضايا النحوية ، أو في تفسير نصوص سيبويه يصلح سببًا لها، إلاّ أن يكون ذلك راجعًا للاختلاف في العقيدة ، فغير خفي أن الفارسي معتزليّ ، أو به ميل للاعتزال على الأقل ، وشيخه سنيٌّ على مذهب ابن حنبل ، وهو السبب الذي ذكره الدكتور إبراهيم رفيدة [٢]، ولكني لا أرى ذلك كافياً ، لأنه لا يفسّر انصباب الهجوم على الزجاج وحده، دون سائر أعلام اللغويين من أهل السنة والجماعة ، وعلى رأسهم سيبويه ، على سبيل المثال .

---

(١) انظر مثلاً الإغفال ٣٦٢/١ حيث يصف أبو على قول الزجاج بقوله : " وهو عندنا فاسد شنيع " وانظر أيضًا ١ / ٣٠٧.

(٢) انظر رأيه في كتابه: النحو وكتب التفسير ١ / ٤٥٨.

كما أني غير مقتنع أن تلك الحملة من الفارسي كانت بغرض الانتقام من المبرّد في شخص تلميذه الأكبر الزجّاج[1] لأن المبرّد – كما يرى هؤلاء – قد اعترض على سيبويه، وخطأه في كتابه المسمّى (الغلط)[2] وتعود صعوبة الاقتناع بهذا الرأي لأمور ثلاثة :

١ - أنه كان من الأولى – منطقيًا - أن يرد الفارسي على المبرّد بكتاب يدفع عن سيبويه[3] ما نُسب إليه من الغلط، لا أن يرد على تلميذه في غير موضع الخلاف .

٢ - أن الزجّاج أيضًا شديد التقدير لسيبويه : أي إن الرجلين ينتميان لمذهب نحوي واحد ولا يضر اختلاف كلٍ منهما في تفسير كلام أستاذهما معًا .

٣ - أن موقف الزجّاج من المبرّد، كموقف أبي على منه سواء بسواء، إذ كلاهما يأخذ منه ما يراه صوابًا، ويرفض ما يراه غير ذلك، فليس له مكانة سيبويه عندهما معًا .

وبعد، فقد ذكر أبو حيان أن أبا على كان مولعًا بالرد على أبي إسحاق، وقال : " وللشنآن الجاري بينهما سببٌ ذكره الناس "[4] ولكنه لم يذكره، وليته فعل !

وأقول : من الثابت أن أبا على كتب كتابه هذا في مرحلة شبابه الباكرة، فلعلّه كان باحثًا عن صيتٍ ومكانة حين يردُّ على عَلَمٍ كبير كالزجّاج، ولذا فعل ما فعل واشتدّ واحتدّ أحيانًا من باب إثبات الذات، وهو ما تحقق له فعلاً،

---

(١) انظر كتاب : (أبو على الفارسي) للدكتور عبد الفتاح شلبى ١٣٠ ومقدمة تحقيق الإغفال ١ / ٢٠.

(٢) ولم يصل إلينا.

(٣) كما فعل أبو العباس أحمد بن محمد بن ولّاد التميمي النحوي (المتوفى ٣٣٢ هـ) في كتابه (الانتصار لسيبويه على المبرّد) ، والكتاب مطبوع بمؤسسة الرسالة بتحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان (عام ١٩٩٦ م).

(٤) البحر المحيط ٣ / ٣٣١ – ٣٣٢.

إذ سبقته شهرته " إلى حلب ، حيث بلاط سيف الدولة ، وإلى شيراز حيث عضد الدولة ، الذي استدعاه لتأديب ابن أخيه خسرو "[1] .

أقول : لعلّ ، وما ينبغي أن أجزم في أمر الغيب بشيء لا دليل عليه !

مصادر الكتاب وموقفه منها :

◆ سيبويه :

لا يختلف أحد من النحويين حول مكانة سيبويه وفضله ، وأهمية كتابه الذي لقب قديمًا بـ (قرآن النحو) ، ولعلّ الفارسي واحد من أوفى الناس لهذا العلم الكبير ، فهو يراه الحكم العدل فيما شجر بينه وبين شيخه الزجّاج من خلاف ، لأنهما – معًا – كما أسلفت ينتميان إليه ، ويعوّلان عليه . غير أن أبا على – كما يقول أبو حيان التوحيدي – " أشد تفرّدًا بالكتاب ، وأشدّ انكبابًا عليه ، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين ، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيدٍ وأطرافاً مما لغيره ، وهو مُتَّقِدٌ بالغيظ على أبي سعيد ، وبالحسد له ، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره ، بغريبه وأمثاله وشواهده وأبياته[2] " ؟

وسواء صحّ حديث أبي حيان التوحيدي حول غيظ الفارسي من أبي سعيد السيرافي أو لم يصح ، فإن الفارسي لا شك مولع بسيبويه، إلى حد أنه صنع كتابًا يدل على عمق معرفته بأسرار كتاب سيبويه ، يسمّى (التعليقة على كتاب سيبويه)[3] شرح فيه مشكلات الكتاب بتمكن واقتدار ، ولكنه لم يشرح الكتاب كله كما فعل أبوسعيد السيرافي ، وإنما اكتفى بالتعرض لتفسير غامضه، وتفصيل مجمله وحلّ معضلاته بإيجاز .

ولذا لم يكن غريبًا أن يفعل الفارسي شيئًا قريبًا من هذا في الإغفال ، فقد

---

(١) أبو على الفارسي : ٤٧٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة ١ / ١٣١ .

(٣) وقد انتهى الدكتور عوض بن حمد القوزي من تحقيقه، ونشره على نفقته ابتداءً من عام ١٩٩٠ م إلى عام ١٩٩٦ م.

نقل فيه جمهرة من نصوص (الكتاب) ، وشرحها بما لا نجده في كتبه الأخرى ، ويقول – في اعتزاز بالغ – إنما شرحنا هذا لأنها من مسائل الكتاب ، وهذا لفظ سيبويه ... "[١] ويقول أيضًا : " كثير من الكتاب يجب أن يتفقّد ؛ فلا يحمل على ما يتناقض ، وهو غير قليل "[٢] وربما جمع الفارسيّ ما تفرّق من كلام سيبويه حول مسألة واحدة ، ويقول : " وهذه المواضع التي جمعناها فيما أردناه من الاتساع في هذه الأمثلة متفرقة في (الكتاب) غير مجتمعة فيه ، فقف عليها "[٣] .

ولم يكن يعدل بسيبويه وآرائه بديلاً ، إلى حد أنه إن لم يجد في المسألة قولاً لسيبويه بيّن ذلك فقال : " وليس لسيبويه في ذلك نص "[٤] .

ولم أره يقوّي رأي غيره عليه إلا مرة واحدةً في الإغفال حين قال : " فأما قولهم : (مررت بالرجل مثلِك) فقد اختلف الخليل وسيبويه والأخفش فيه ... " ثم ذكر آراءهم في (ال) في كلمة (الرجل) من المثال السابق ، ثم قال بعد مناقشة ثرّةٍ : " فقول أبي الحسن في هذا أقوى عندي وهو الحكم بزيادة (اللام) في (الرجل) "[٥] .

وبالجملة فإن الإغفال يكاد يكون شرحًا – في كثير مواضعه – لكتاب سيبويه ، ومن ثمّ فهو المصدر الأول بلا منازع .

◆ الخليل والأخفش

وهما علمان كبيران ، انتفع الفارسيّ بعلمهما ، وأفاد منهما إفادات جمّة ، وأكثر من ذكرهما في الإغفال ، وإن كان تقديره للخليل أعظم ، إذ كان يقرنه بسيبويه في الذكر[٦] ، ويصحح ما نسب إليه خطأً[٧] ، ويشير لموافقته بمثل

---

(١) الإغفال ١ / ٣٦٣.
(٣) الإغفال ١ / ٢٢.
(٣) الإغفال ١ / ٣٥٨.
(٥) الإغفال ١ / ١٨٠.
(٥) الإغفال ١ / ٢٨٩- ٢٩١ بتصرف.
(٢) انظر على سبيل المثال: الإغفال ١/ ٢٩٢.
(٧) الإغفال ٢ / ١٥٩ و١٦٨.

قوله : " وقد استحسن الخليل رحمه الله ذلك "[1] .

وأما الأخفش ؛ فقد رأينا أن أبا علي قوّى أحد آرائه على رأي سيبويه ، وهو تقدير بالغ لو وضع في إطاره الصحيح ، حيث إن الفارسي لم يصنعها مع أحد سواه قبله أو بعده !

وقد نقل الفارسيّ عن الأخفش ما يربو على السبعين نصًّا[2] ، وبهذا يكون ذِكْرُه في الإغفال في المرتبة الثانية بعد سيبويه من حيث العدد ، ويليهما الخليل ، فقد ذكره في حوالي ستين موضعًا[3]

❖ ابن السراج

نقل أبو علي عن شيخه ابن السراج ما يقرب من أربعةٍ وخمسين نصًا ، وهي نصوص مهمة لأن بعضها حوارات مباشرة بينهما ، وبعضها مما لا نجده في كتبٍ أخرى ، ومن أمثلة ذلك قول أبي علي : " وسألت أبا بكر السراج يومًا عن حذف الحروف ؛ فقال : الحروف في الجملة لا يحسن إضمارها لأن الحروف إنما هي للاختصار ، إذا قلت : أزيد عندك ؟ فهذه الألف نابتْ عن قولك : أستفهمك ، وإذا قلت : ما زيد في الدار ، فقد نابت عن قولك : أنفي كونه فيها . قال: فإن ذَهَبْتَ تحذف هذا كنت تختصر المختصر ، وكان إجحافًا "[4] وكثير مما يرويه عنه حكاية منه عن ثعلب أو غيره من كبار شيوخه[5] .

---

(١) الإغفال ٢ / ٢٠٨ .

(٢) انظر منها على سبيل المثال : الإغفال ١ / ٨٠ و٩٢ و٩٣ و١٠٤ و١٢١ و٢١٨ و٢١٩ ، و٢ / ٩٠ و٩١ و٩٤ و٤٦٠ و٥٢٣ .

(٣) منها ١ / ٣٨ و٥٠ و٧٦ و٧٧ و٨٠ و١٠٥ و٣٣٠ و٣٥٨ و٤٠٤ ، و٢ /٢٢ و٤١ و٨٥ و١٣٥ و١٥٢ و٥١٦ .

(٤) الإغفال ١ / ٢٩١ .

(٥) انظر على سبيل المثال : الإغفال ١ / ٤٩ و٦٠ و٦١ و٧٦ و٢٠٣ و٢٧٤ و٢٨٧ ، و٢ / ٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٣ و٨٩ و١٨٤ و٢٤٦ .

أبو زيد الأنصاري

أبو زيد شيخٌ كبير من شيوخ العربية ، وهو صاحب كتاب النوادر الشهير ، وقد نقل أبو علي عنه في الإغفال خمسين نصًا ، معظمها في النوادر ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الإغفال[1] : " قال أبو زيد : (لقيته النَّدَرَى ، وفي النَّدرى ، وفَيْنةً ، والفَينة بعد الفَينة "[2] .

المبرّد

المبرّد من أعلام البصريين ، وهو شيخ الزجّاج ، وقد قيل – كما مرّ – إن أبا علي ألّف كتاب الإغفال لينتقم منه : لأنه خطّأ سيبويه وردّ عليه في كتابه (الغلط) ، وهذا الزعم سيتهاوى لو قرأنا الإغفال بعناية ، إذ لا تجد فيه أثرًا لهذا الانتقام المتوهم ، فأبو علي يتعامل مع المبرّد باعتدال ظاهر ، يوافقه في آراءٍ يراها صائبة أحيانًا[3] ، ويخطِّئه برفق في أحيانٍ أخرى[4] ، ولعلّ الموقف المتفرد الذي اشتد فيه عليه ، وصفه لكلامه بالمغالطة في موضع واحد فقط من الكتاب[5] ، أما في سائر المواضع فمناقشة علمية راقية ، يأخذ فيها من كلامه ويدع كما صنع مع كثيرين غيره . وانظر إلى نموذج من إنصافه له في قوله[6] : " قال أبو العباس (من قال : (أيادي سبا) فأضاف (أيادي) إلى (سبا) كان واضعًا للكلمة في موضعها) ، والقول في ذلك كما قال ؛ لأنه في موضع حال ؛

---

(١) الإغفال ١ / ٤٢ .

(٢) النص في النوادر (تحقيق د. محمد عبد القادر) ٤٠٣ هكذا : " ويقال لقيت فلانًا الندرى ، وندرى وفي الندرى ، ولقيته ندرى ، ولقيته الفينة ، وفي الفينة ، وفينةً يا فتى ، ولقيته الندرةَ وفي الندرةِ كلّه واحد ، إذا لقيته بعد أيام " .

(٣) انظر مثلا : ١ / ٢٢٢ و٢٧٥ و٢٩٣ و٣٩٠ – ٣٩١ ، و٢ / ٤٨٣ و٥٤١ .

(٤) انظر على سبيل المثال : ١ / ١٩٧ و٢٨٦ – ٢٨٩ و٢٩٥ و٣٩٥ و، ٢ / ١١٢ و٤٥٣ و٤٩١ .

(٥) انظر المسألة في الإغفال ١/٥٤ ، وانظر قول المبرد ورد ابن ولّاد عليه في الانتصار ٢٣٣ .

(٦) الإغفال ٢ / ١٨٩ .

ألا ترى أن قولك : (ذهبوا أيادي سبا) هو قولك : (ذهبوا متفرقين) [١]

◆ المازني :

المازني ممن تتلمذ للأخفش الأوسط ، ومعدود في أعلام البصريين[٢] ، وقد ذكره أبو علي في إغفاله في خمسةٍ وثلاثين موضعًا ، كثير منها كان عن طريق الرواية عن غيره وبعضها استشهادٌ بإنشاده للشعر [٣] وقد صنع الفارسي معه صنيعه مع المبرّد ، إذ كان يوافقه في بعض آرائه [٤]، ويعارضه في بعضها [٥]، ومن أمثلة رفضه لرأي المازني أنه أورد قول الزجاج : " يجيز المازني في (يا أيها الرجل) النصب في (الرجل) ، ولم يقل به أحد من البصريين غيره ، وهو قياس "[٦] ثم تعقبه بقوله : " اعلم أن إجازة النصب في (الرجل) في قولهم : (يا أيها الرجل) ونحوه ، ممتنعٌ غير سائغ ... "[٧] .

◆ مصادر بصرية أخرى :

نقل أبو علي عن بعض أعلام البصريين الآخرين بلا إكثار ، ومنهم يونس بن حبيب (١٥ نصًا)[٨]، وأبو عمرو بن العلاء (١٧ نصًا)[٩]، وأبو عبيدة (١٢ نصًا)[١٠]، (والأصمعي ١٦ نصًا)[١١]، وقطرب (ثمانية

---

(١) الإغفال ٢ / ١٨٩.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الزبيدي ٨٧ – ٩٣.

(٣) انظر على سبيل المثال : الإغفال ١ / ٤٧ و٦١ و٧٦ و٨٠ و٨٨ و١٢١ و، ٢ /١٦ و٦٨ و٨٣ و٨٣ و١٣٦ و٢٦١.

(٤) انظر مثلاً ١ / ٨١.

(٩) انظر مثلا ١ / ٩٠.

(٦) النص في معاني الزجاج ١ / ٩٨ . باختلاف يسير.

(٢) الإغفال ٢ / ٦.

(٨) انظر الإغفال ١/١٤٦و٢١٣و٢٦٨ ، و٢ / ٢٢ و٤٩ و٢٠٢ و٣٩٧ على سبيل المثال.

(٩) انظر على سبيل المثال الإغفال ١/٨٨ و١١٦و٢٧٣ ، و٢ /٧٥ و١٥٢ و١٨٣ و٢٠١.

(١٠) انظر على سبيل المثال ١/٣٦ و٢/٢٥ و١٠٤ و١٠٥ و١٨٣.

(١١) انظر مثلا ١/٢٥٢ و٢٧٣ و٣٠٤ ، و٢/٥٣ و٣٩٥.

نصوص)[1]، والأخفش الأكبر (٧ نصوص)[2]، و(ابن دريد ٧ نصوص)[3]، وعيسى بن عمر (٤ نصوص)[4] وأبو عمرو الجرمي (٤ نصوص)[5]، هذا بخلاف من لم يذكره الفارسيّ إلا المرة أو المرتين .

وكان موقفهم منهم معتدلاً ، بل رأيته يصف قطربًا بالثقة ، ويقبل كلامه الذي جاء على غير قياس ، حتى إنه ليقول عنه : " فأما ما حكاه قطرب من أنه يقال فيه : (إسوار) ، فهذا الضرب من الأسماء قليل جدًّا ، إلاّ أنه الثقة إذا حكى شيئًا لزم قبوله "[6]. ولا أدري لم لم يطبق أبو علي هذا المبدأ على غير قطرب ؟ وهل لاعتزال قطرب أثر في ذلك ؟!

◆ مصادر كوفية :

لم يختلف أبو علي الفارسي كثيرًا عن شيخه الزجاج في موقفه من أعلام مدرسة الكوفة في اللغة والنحو ، فهو ينقل عنهم بقلّة ، ويرْفض كلامهم – في الغالب – بقوة ، وإنك لتجد من أمثال هذه العبارات يتردد في الإغفال : " فأما قول الكسائي فليس بالمتجه..."[7]، و"أما قول الفراء فبعيد من الصواب جدًا وفساده أنه ... "[8]

وأما ثعلب ، فيكفي قوله في أحد المواضع عنه : " ... وليس ما ذكره أحمد بن يحيى من الاعتراض الساذج على هذا القول بشيء ... "[9]

فاعجب معي إذن ممن يرى أن الفارسيّ سالمَ ثعلبًا في الإغفال ؛ لأنه خصم المبرد[1]! فإذا كانت هذه هي المسالمة ، فكيف تكون الإغارة والمطاعنة ؟!

---

(١) انظر مثلا ١/٤١ و١١٢ و٣٠٦ و٣١٦ و٢/٣٦٥ و٣٧٢.

(٢) انظر مثلا ٢/١٨٣ و٤٨٩ و٤٩١ و٥٢٣.

(٣) انظر مثلا ١/١١١ و٢٤١ و٣١٢.

(١٠) انظر مثلا ١/٩٦ و٣٠٨ و٢ / ٢٦٤.

(٥) انظر مثلا ٢/١٨٣ و٤٥٠ و٤٦٤.

(١٢) الإغفال ٢/٣٦٦.

(٧) الإغفال ٢/٩٤.

(٢) الإغفال ٢ / ٩٥ وانظر ٢ / ٣٢٤.

(٩)الإغفال ١ / ٩١ .

شـواهد الإغفال

(١) القرآن والقراءات :

لم يكن غريبًا أن تكثر الشواهد القرآنية في إغفال الفارسي لأنه يعالج معاني القرآن ودواعيه لتلك الاستشهادات كثيرة ، منها: إبراز تناقض الزجاج لأنه لم يجر الآيتين على وتيرة واحدة مثلاً [٢]، ومنها: تقوية مذهبه النحوي[٣]، ومنها: بيان معنى كلمة أو آية[٤]...إلخ

أما القراءات عنده ، فسبب كثرتها الكاثرة ، أنه لا يفرّق بين شاذة ولا متواترة ، ولا يذكر من قرأ بها [٥]، ولكنه يرجّح بعضها على بعض في أحيان قليلة [٦].

وربما ردّ القراءة وغمز القارئ [٧]! وقد كان أبو على يعيش في عصر ابن مجاهد ، وبينهما ودٌّ ، ولذلك كان يقول أحيانًا عن بعض القراءات : " وسألت أحمد بن موسى عنها فزعم أن أحدًا لم يقرأ بها "[٨]

لقد كان أبو على كلفًا بالمعاني وما يتعلق بها : إلى حد أنه كان يعقد بعض المسائل حول بعض القراءات التي يرى في توجيهها مشكلةً من الناحية النحوية أو الدلالية[٩].

---

(١) انظر : أبو على الفارسي ١٣٠ ومقدمة محقق الإغفال ١ / ٢٠.

(٢) انظر الإغفال ٢ / ٢٠١. (٦) انظر الإغفال ٢ / ١٩٩.

(٤) انظر على سبيل المثال : الإغفال ٢ / ١٨٨. (٨) انظر الإغفال ٢ / ٤١٦.

(٦) انظر على سبيل المثال : الإغفال ٢ / ٣٧٦ – ٣٧٩، ٢/٣٨١ –٣٩٤.

(٧) كما فعل مع الإمام نافع رضي الله عنه في قراءة (معائش) بالهمز ، انظر الإغفال ٢ / ٢٣٥ وهذا مسلك مرذول كما لا يخفى ! وقد أبدع العلامة محمد عبد الخالق عضيمة – رحمه الله – في الرد على بدعة تلحين القراء في كتابه الإمام (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) ١ / ١٩ – ٩١ ، وانظر أيضًا : (تلحين النحويين للقراء) للدكتور ياسين جاسم المحيمد ٤٠٠– ٤٤٩. (٨) الإغفال ٢ / ١٤٢.

(٩) كالمسألة السابعة والخمسين ٢/٢٢٧ – ٢٤٨ ، والخامسة والسبعين ٢ / ٣٥٢ – ٣٥٤.

(٢) الاستشهاد بالحديث :

لم أر للفارسيّ في الإغفال سوى خمسة أحاديث ، وكأني به ممن لا يستشهدون بالحديث على المسائل النحوية ، إذ لم أجد له من ذلك شيئًا ، إذ الخمسة الأحاديث في أغراض أُخَر[١]

(٣) الأمثال :

على خلاف بعض النحويين الأوائل نجد الفارسي ممن يجيزون الاستشهاد بالأمثال ، ويقول في أحد المواضع : " فإن قيل : فقد حكى سيبويه[٢] : (إنك ما وخيرًا) فحذف خبر إن مع المعرفة ، قيل إنّ هذا كلام كالمثل ، والأمثال قد يستجاز فيها ما لا يستجاز في الكلام ، ألا تراهم قالوا : (عسى الغوير أبؤسًا)[٣] ، وأنت لا تقول في الكلام : عسى زيد منطلقًا .. "[٤]

ومن أمثلة ما ذكره من الأمثال : (من شُبٍّ إلى دُبٍ)[٥] . و(أطَرِّي فإنكِ ناعلة)[٦] . و(الصيفَ ضيَّعتِ اللبنَ)[٧] ، و(وبعينٍ ما أَرَيَنَّكِ)[٨] ، و(بألمٍ ما

---

(١) انظرها في الإغفال ١ / ١١١ ، و١ / ٣٠٩ ، و١ / ٣١٤ ، و٢ / ١٥٦ ، و٢ / ١٨٧ .

(٢) انظر الكتاب ١ / ٣٠٢ ، و٢ / ١٠٧ .

(٣) الغوير تصغير غار ، أي لعلّ الشر يأتيكم من قبل الغار ، والمثل في جمهرة الأمثال ٢/٥٠ ، ومجمع الميداني ٢ / ٣٤١ ، والمستقصي للزمخشري ٢ / ١٦١ .

(٤) الإغفال ٢/٤١٣ .

(٥) أي من لدن شببت إلى أن دببت هَرِما ، والمثل يروى أيضًا : من شبَّ إلى دُبّ ، انظر مجمع الأمثال ٢/٣٢٥ والجمهرة ١ / ٥٣ والمستقصي ١ / ٢٥٧ .

(٦) أطرّي : أي خذي طر الوادي أي نواحيه ، وناعلة أي ذات نعلين ، يضرب مثلا للقويّ على الأمر ولا يفعله، انظر جمهرة الأمثال ١/٥٠ والمجمع ٢/٢٨٢ والمستقصي ١/ ١٢٢ .

(٧) يضرب مثلا لمن ضيع أمرًا ثم يريد استدراكه ، وهو في الجمهرة ١/٥٧٥ ومجمع الأمثال ٢/٤٣٤ .

(٨) أي: اعمل كأني أراك، ويضرب للحث على ترك البطء، وهو في الجمهرة ١/٥٧٥ ومجمع الأمثال٢/٤٣٤ .

تُختَتِنه)[1]

(٤) الاستشهاد بالشعر :

الشعر في الإغفال كثير غزير ، فقد أحصيت منه عشرةً وثلاثمائة بيت ، غير أن بعضه من استشهاد الزجاج ، وقد نقله الفارسي فيما نقله من كلامه ليرد عليه .

ومن أغراض الاستشهاد بالشعر عند الفارسي :

أ - تقرير مذهبه النحوي :

وهو هدف رئيسٌ من أهداف تأليف الكتاب ، ولذا فقد كثُر الاستشهاد بالشعر على القضايا النحوية في الإغفال ، ومن أمثلة ذلك ، قول أبي على[2]: " وقد يحذف من الموصول الصلة في نحو قوله : [الرجز]

بعد اللَّتَيَّ واللَّتَيَّا والَّتِي[3]

ب - تقرير الظواهر اللغوية :

في الإغفال حديث متشعّب عن كثير من الظواهر اللغوية ، كالإبدال[4] والإدغام[5] والقلب[6] والإتباع في الحركة[7]، إضافة إلى المسائل الصرفية

---

(١) أي لابدّ للختان من ألم ، ويضرب للحث على احتمال المشقة للوصول للمبتغى ، انظر مجمع الأمثال ١/١٨٨.

(٢) الإغفال ٢ / ١٦٣ .

(٣) البيت للعجاج في ديوانه ٢٦٧ والكتاب ٢ / ٣٤٧ و٣ / ٤٨٨ ،وبغير نسبة في النوادر ٣٧٦ ، وهو في مجمع الأمثال بلفظ : (بعد اللّتيا والتي) وقال : وهما الداهية الكبيرة والصغيرة ، انظر المجمع ١/١٥٩–١٧٠ ، ويقال للشيء إذا جاء بعسرٍ : جاء بعد اللتيا والتي، كما في شرح الأصمعي للديوان.

(٤) انظر مثلاً ١ / ٢٢٧ ، و٢ / ٢٤٠ – ٢٤١.

(٥) انظر مثلاً ١ / ١٦٥ و٢ / ٢٨٦.

(٦) انظر مثلاً : ١ / ٥٨ ،و٢ / ٢٤٠.

(٧) انظر مثلاً : ١ / ٩١ و١٨٩ انظر مثلاً : ١ / ٥٨ ،و٢ / ٢٤٠.

والنحوية ، ولذلك فقد استشهد الفارسيّ كثيرًا بالشعر عند تقريره لتلك الظواهر ، أو عند نفيه لها ، ومن ذلك قوله[1] : " ومن أبدل الياء من الألف في نحو قوله [الرجز]

لَنضْرِبَنْ بسَيْفِنا قَفَيْكَا[2]

لم ينبغ لك أن تجيز هذا قياسًا عليه ؛ لأنّ ذلك لغةٌ ليست بالكثيرة . . ." ومن ذلك ما ذكره عن إمالة كلمة (فاطر) ، إذ يقول : " فإن قلت : فهل تجوز إمالته في قول من قال : [الطويل]

عسى اللهُ يُغني عنْ بِلادِ ابنِ قادرٍ[3] ....

فإمالة هذا ينبغي أن تكون أقبح من إمالة (قادر) لتكرر المستعلي .... "[4]

ج - بيان عمل الحروف ومعانيها :

للحروف ومعانيها حضورٌ في الإغفال ، وكثيرًا ما استشهد الفارسيّ على رأيه في ذلك بالشعر لتأييد رأيه ، ومن ذلك قوله في التفرقة بين الميم في (اللهم) ولا في (لا رجل):" وأيضًا فإن قولهم : (لا رجل) لا يشبه هذا الاسم ؛ (لا) مع (رجل) في (لا رجل) قد أجري مُجرى الأسماء المتمكنة فأضيف إليه ، ودخل حرف الجر عليه ، نحو قوله : [الرجز]

حَنّتْ قَلُوصي حينَ لا حين مَحَنّْ "[5]

---

(١) الإغفال ١ / ٥٨.

(٢) البيت لرجل مجهول من حمير ، وهو في النوادر ٣٤٧ ، وخزانة الأدب ٤ / ٤٢٨

(٣) البيت رواه الفارسي في موضع آخر من إغفاله بلا نسبة ١/١٨١ و ١٨٢ و١٨٦ وتمامه:

.... بِمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ

ونسبه محقق الكتاب لسيبويه إلى هدبة بن خشرم ، انظر الكتاب ٤/ ١٣٩ .

(٤) المقصود بتكرار المستعلي ، وجود حرفين من حروف الاستعلاء (خ ص ض غ ض ق ظ) قبل ألف (فاطر) وبعدها ، والنص في الإغفال ١ / ١٨٢ – ١٨٣

(٥) البيت منسوب للعجاج في الكتاب ٢ / ٣٠٤ ، ولم أجده في ديوانه المطبوع ، وهو في الخزانة ٤ / ٤٥ بلا نسبة ، والحنين صوت الناقة شوقًا لأصحابها ، والمعنى حنّت الناقة على

ومن ذلك أيضًا تفرقته بين حرف النداء (يا) و(لا) في (لا رجل) حيث يقول[1]: " ألا ترى أن (يا) لا يلتبس بهذا الاسم التباس المتميز به ، وأنه قد يلحق أوّلاً ، ولا يراد اتصاله بما اتصل به في اللفظ ، نحو : [الكامل]

يـــا لعنـــةَ اللهِ والأقـــوامِ كلّهـــمُ ....[2]

د - شرح معنى غريب اللغة:

وذلك في الإغفال كثير أيضًا ، ومن ذلك قوله[3]: " ويجوز أن يكون (يدعو) في معنى يسمّى ، كما قال ابن أحمر[4]: [البسيط]

بُعدٍ في غير وقت الحنين ، عن العلامة عبد السلام هارون في تحقيقه للكتاب .

(١) الإغفال ٢ / ١١٨.

(٢) مجهول النسبة ، وتمامه :

يـــا لعنـــةَ اللهِ والأقـــوامِ كلـــهم والصالحين على ســمْعَانَ مــن جَــارِ

والتقدير : يا قومُ ، لعنة الله .... على جار سمعان لأنه لم يرع حق الجوار ، ولذا رفع (لعنةُ) . والبيت في الكتاب ٢ / ٢١٩ بلا نسبة ، وقال محققه العلامة : عبد السلام هارون : (البيت من الخمسين) أي من الأبيات التي جاءت بلا نسبة في كتاب سيبويه ، وكذلك قال كثير من العلماء على مر العصور ، ومنهم البغدادي في الخزانة عند حديثه عن البيت الذي يسبق هذا البيت مباشرة (حنت قلوصي ...) حيث قال : (والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها) ، الخزانة ٤ / ٤٥ . غير أن أستاذنا الراحل العلامة رمضان عبد التواب قد أبطل هذه المقولة في بحث له بعنوان (أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه) ضمن كتابه (بحوث ومقالات في اللغة) حيث أثبت أن جملة ما لم ينسبه سيبويه في كتابه يبلغ ٣٤٢ بيتًا وليس خمسين فقط كما هو شائع ، اهتدى هو – رحمه الله – إلى نسبة ١٦٧ منها ونسب بعض العلماء عددًا منها وبقي ٩٩ بيتا بلا نسبة إلى الآن . فقد آن الأوان إذن أن يكف الباحثون عن ترديد هذه الأسطورة.

(٣) الإغفال ٢ / ٤٤٣.

(٤) هو عمرو بن أحمر بن فَرّاص بن معد بن أعصر، كنيته أبو الخطاب، شاعر مخضرم ، أدرك

أهوى لها مِشقَصًا حشْرًا فَشَــبْرَقَهَا وكنت أدعو قذاها الإثْمِدَ القرِدا [1]

هـ - بيان المعاني القرآنية :

وهذا بدهيٌّ ، لأن الإغفال كتابٌ في المعاني ، ولذا فإنه يكثر من الشعر لبيان اشتقاق مفردات القرآن ليصل إلى معانيها ، ومن ذلك قوله[2] : " فأما اشتقاق (اللات) فمن (لويت) ؛ لأنهم كانوا يلوون على آلهتهم ويعطفون ، عبادة لها ، وتقرّبًا إليها ، ويقال : لوى عليه ، وعطف عليه وتحدّب عليه ، قال الشاعر : [الكامل]

عمّرتُــك اللهَ الجليــلَ فــإنني أَلْوي عليك لَوَانّ لُبّك يهتــدي "[3]

أهمية كتاب الإغفال :

غير خاف أن أبا على الفارسيّ إمامٌ قلّ نظيره في العربية ، وسيرته في ذلك فاشيةٌ غير منكورة ، فلا عجب أن يكون كتابه هذا من قمم النحو العالية ،

الإسلام وأسلم ﷺ ، وغزا مغازي الروم ، وأصيبت إحدى عيينه هناك ، رماه رجل بسهم ، يقال له مخشيّ ، فذهبت عينه ، وفي ذلك يقول :

شُلّت أنامل مخشيّ فلا جبرت ولا استعان بضاحي كفه أبدًا

أهوى لها مِشْقَصًا حشْرًا فشبرقها وكنت أدعو قذاها الإثْمِدَ القَرِدا

ذكره الدكتور عبد الرزاق حسين في مستدركه على كتاب (الشعور بالعور) للصفدي : ٢٥٨ ، وعدّه ابن دريد أحد عولان قيس ، كما في الجمهرة ١ / ٢٨ ، وانظر ترجمته أيضًا في الشعر والشعراء ١ / ٣٥٦ ومن اسمه عمرو من الشعراء ١٢٩.

(١) البيت في ديوانه ق ١٥/٥ ص ٤٩ ، والمشقص : نصل السهم ، والحشر : الدقيق ، شبرقها : يريد أزالها ، وانظر البيت وشرحه في اللسان (دعا) ١٤ / ٢٦١ [طبعة دار صادر] برواية : جشرًا بدلًا من (حشرًا).

(٢) الإغفال ١ / ٥٨.

(٣) البيت لرجل مجهول من حمير ، وهو في النوادر ٣٤٧ ، وخزانة الأدب ٤ / ٤٢٨.

ودرره النفيسة ، إضافةً إلى ما فيه من ظواهر الدلالة والأصوات والبنية ، وغير ذلك مما لا نجده في كتبه الأخرى ، من مثل نقله لنصوص من كتب مفقودة ، ككتاب (الغلط) للمبرد ، وإشاعته لبعض محادثاته مع شيخه ابن السراج ، وذكره لبعض النصوص النادرة للمازني معترضًا على سيبويه .

هذا كله إلى جوار أهم ما في الكتاب ، وهو شرحه لسيبويه ، وإشارته في بعض المواضع إلى نسخٍ أخرى من كتاب سيبويه فيها زيادات عن غيرها ؛ ولذا استحق أن يكون موضع اهتمام من خلفوه تأييدًا ورفضًا[1] ! ولقد كان الكتاب خليقا بأن يكثر العلماء المعاصرون من الرجوع إليه لولا أنه كان مخطوطًا لعهد قريب ،إلى آن حُقق تحقيقًا طيبًا ، وظهر في صورة تسهل على الباحثين تناوله في قابل الأيام بإذن الله .

مآخذ على الكتاب :

(١) لهجته الحادة في الرد على بعض مخالفيه . وبخاصة الزجاج كما مر بنا .

(٢) ظهور بعض الآراء الاعتزالية – نصرة لمذهبه – كما في المسألة الحادية والستين على سبيل المثال .

(٣) غمزه بعض الأئمة من أصحاب القراءات المتواترة ، كما أشرت من قبل .

(٤) عدم نسبة القراءات والأشعار إلى أصحابها في كثير من الأحيان .

(٥) إغراقه في الجدل والافتراضات المنطقية ، مما أضفى جفافًا على الأسلوب في بعض المواضع .

وأقول في النهاية

إن هذه المآخذ – لو صحت – لا قيمة لها إلى جوار ما يمتلئ به الإغفال من خير كثير !

---

(١) فمن جهة : ردّ عليه ابن خالويه بكتاب (الهاذور) ، وكان بينهما منافرة ، ورد الفارسي على الرد بكتابه (نقض الهاذور) ؛ ونقل عنه كثيرون من جهة أخرى ، منهم : الجامع النحوي – وهو من أصحاب معاني القرآن – في كتابه الكشف، وابن سيده في (المخصص).

(٥) الفيض العميم في معنى القرآن العظيم
للدمنهوري

بدأ الدمنهوري كتابه بمقدمة طويلة، وختمه بخاتمة طويلة!

أما مقدمته، فقد ذكر في أولها - بعد الحمد والثناء على الله عز وجل - سبب وضعه لكتابه هذا؛ فقال: " لما أتيح لي في غابر الزمان قراءة تفسير بعض سورٍ من القرآن من أول الضحى إلى آخر سورة، وحصل للطلبة بذلك كمال الاستيناس، التمس مني بعضهم أن أكتب على ذلك المرام كتابةً وسطا ينتفع بها غالب العوام، لكثرة من يحفظ هذه السور القصار؛ فيحصل لهم ببيان معناها الفوايد الغزار، فأجبته وإن كنت لست أهلا لذلك، ولا ممن له قدرة على سلوك تلك المسالك: لأن معاني القرآن العظيم بحر عميق، لا يهتدي لبعضها إلا من تحقق بكمال التوفيق .... "[١] .

ويتضح من هذه البداية أن المؤلف قد اقتصر في كتابه على معاني بعض سور القرآن الكريم من أول سورة الضحى إلى نهاية الناس، وقد علل اختياره لهذه المجموعة النوعية من السور بأنها قديرة، سهلة الحفظ على عوام الناس، فهدفه تعليمي تربويٌّ في المقام الأول.

أما منهجه في تناول تلك السور فقد قال عنه المؤلف: " وقد اقتصرت على المشهور من أقوال المفسرين، وتركت العزو - غالبا للاختصار - إلى الأئمة المعتبرين، وذكرت في أول الكلام معنى غريب الألفاظ، وأعربت ما أشكل إعرابه على بعض الحفاظ، ثم ذكرت تفسير المركبات، متبعًا له ببيان بعض القراءات، مسميًّا لذلك بالمبادئ واللواحق والمقاصد، وبالخواتم لتسهل المراجعة على القاصد "[٢]

وقد وفّى المؤلف بما وعد به، والتزم هذه الطريقة في تناوله للسور كلها، ولكنه أضاف إليها قليلاً، إذ ألزم نفسه عند تعرضه لكل سورة بذكر اسمها،

(١) الفيض العميم ١ - ٢ .   (٢) الفيض العميم ٢ .

وهل هي مكية أو مدنية ، محكمة أم من المتشابه ، وعدد آياتها وعدد كلماتها وحروفها ، وهي مسألة مرهقة ، لكن الذي يسرها له - بعد توفيق الله سبحانه - كونه لم يتعرض إلا للسور القصار ، ومن أمثلة ذلك قوله عن سورة الهُمزة : " سورة الهُمزة مكية محكمة ، وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ، ومائة وثلاثون حرفا " [١] وقوله عن سورة الفيل : " سورة الفيل مكية محكمة ، وهي خمس آيات ، وعشرون كلمة ، وتسعون حرفا " [٢].

وقبل أن يشرع المؤلف في تطبيق منهجه على السور التي تعرض لها آثر أن يشحن مقدمته الطويلة بحديث عن أمور شتّى تتعلق بالقرآن وبالتفسير ، فقد ذكر أولا ما يصح من القراءات وما يُسمّى منها قرآنًا ، وتحدث عن الشروط الثلاثة لذلك ، وهي -عنده - صحة السند ، وموافقة رسم المصحف الإمام ، وموافقة العربية ولو بوجه . وقد اعتمد المؤلف في القراءات - غالبا - على كتاب (طيبة النشر في القراءات العشر) للإمام الشاطبي ، وفي أحيان نادرة كان ينقل عن كتاب (جمال القراء) للسخاوي [٣]

ثم استفاض المؤلف في مقدمته – أيضًا - في الحديث عن علم التفسير من وجوهٍ ثلاثة : ماهيته، وموضوعه ، واستمداده ، وجعل ذلك بمثابة المدخل للموضوع .

وفي حديثه عن ماهية التفسير فرّق المصنف بين التفسير والتأويل بكلامٍ طويل ، لعلّ أهم ما فيه قوله : " فالفرق بينهما أن التفسير كشهادة على الله ، وقطع بأنه عنى بهذا اللفظ هذا المعنى ، فلا يجوز إلاّ بتوقيف ، ولذا جزم الحاكم بأن تفسير الصحابي في حكم المرفوع ، والتأويل ، ترجيحٌ لأحد المحتملات بلا قطع فاغتُفر " [٤]

وأما عن (موضوعه) فيقول : " موضوعه : القرآن من الحيثية المذكورة ،

---

(١) الفيض العميم ٧٨ .

(٢) الفيض ٨٤ .

(٣) انظر : الفيض ٢ ، ٣ و١٢٨ .

(٤) الفيض العميم ٣ .

والقرآن: الكلام العربي المنزل على محمد ﷺ ، المتحدّي بأقصر سورة منه ، المنقول تواترًا ، ويقال له : كلام الله ، كالصفة القديمة ، وما بين الدفتين ، فاشتراكه لفظيٌّ بين هذه المعاني الثلاثة " (١)

وعن (استمداده) يقول : " واستمداده : قالوا من علمي أصول الدين والفقه : والغرض منه : معرفة الأحكام الشرعية العلمية والعملية " (٢)

وبعد هذه المقدمة الطويلة دلف المؤلف إلى موضوعه ، وهو تناول معاني القرآن الكريم بدءًا من سورة الضحى وانتهاءً بسورة الناس .

أما طريقته في شرح المعاني فقد مزج فيها بين ذكر مرادف الكلمة ، وذكر تعريفها غير أن الغالب أنه كان في (المبادئ) التي أشار إليها في مقدمته ، يتبع الطريقة الأولى وذلك مثل قوله :" (حطمة) : هي النار (مؤصدة) مطبقة " (٣)

أما في (المقاصد) التي كان يفسر فيها المركبات - كما أشار - فقد كان يتبع طريقة التعريف في الغالب ، ويذكر عددًا من المعاني ما أمكنه ذلك ، كمثل قوله في تفسير : ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ (الهمزة ١/١٠٤) : " الهمزة الذي يعيبك في الغيب ، واللمزة يعيبك في الوجه، أو عكس ذلك ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (التوبة: ٥٨/٩) أو الهمزة : الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم ، واللمزة الطعان عليهم ، أو الهمزة : الذي يهمز الناس بيده ويضربهم ، واللمزة : الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم ، أو الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ ، واللمزة الذي يكسر عينه ، ويشير برأسه ، ويرمز بحاجبه ، وحاصل هذه الأقوال ترجع إلى أصل واحد ، وهو الطعن وإظهار العيب ... " (٤)

وأما استشهاد المؤلف فأكثره بالمأثور ، فهو يستشهد بالقرآن كما مرّ في المثال السابق وبالحديث الشريف ، وذلك كقوله في تفسير سورة العصر :

---

(١) الفيض العميم ٤ . (٢) الفيض العميم ٤ .

(٣) الفيض ٧٨ . (٤) الفيض العميم ٧٩ .

" ويروى عن أبيّ بن كعب أنه قال: قرأت على النبي ﷺ : (والعصر) ثم قلت : ما تفسيرها يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : (والعصر) : قسمٌ من الله : أقسم ربكم بآخر النهار أن الإنسان لفي خسر " [١].

كما يكثر المؤلف من النقل عن الصحابة في مواضع كثيرة ، ومن ذلك قوله : " وقد سئل الحسن عن رجلٍ يحفظ القرآن وينام ليله كله ، فقال : أبعده الله ، هذا يتوسّد القرآن ، وعن ابن مسعود : من قرأ في ليلةٍ خمسين آية لم يكتب من الغافلين ... وعن ابن عباس : من سمع آية من كتاب الله تعالى كانت له نورًا يوم القيامة " [٢] .

ويقول في موضع آخر عند حديثه عن اتساع معاني القرآن وأهمية التفكر فيه : " وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهًا ، وقال علي رضي الله عنه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرًا من فاتحة الكتاب ، وقال ابن مسعود : من أراد الأوّلين والآخرين فليثور القرآن ، أي يتفكر في معانيه .. " [٣]

أما **الاستشهاد بالشعر وأمثال العرب** فلا يكاد يوجد في كتابه .

أما **مصادره** فهو لا يذكر منها إلاّ القليل توخّيا للإيجاز ، كما ذكر في مقدمته ، ومن هذه المصادر التي ذكرها : مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، حيث صرح بالنقل عنه في بعض المواضع [٤] .

أما في مقدمته وخاتمته فقد صرح بالنقل عن كثير من العلماء ، منهم : الشافعي[٥] وابن الصلاح [٦] والغزالي [٧] والشاطبي [٨] والسخاوي [٩]

أما القراءات فكثيرًا ما يذكر أصحابها بأسمائهم ، وهو ينقل غالبًا عن السبعة لابن مجاهد [١٠] بالإضافة إلى طيبة النشر وجمال القراء للسخاوي .

---

(١) الفيض ٧٧، وانظر قول أبي رضى الله عنه في تفسير القرطبي ٢٠/١٨٠ .

(٢) الفيض ١٢٨،وانظر رأى الحسن رضي الله عنه في ابن كثير ٤/٤٤٠،مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٣) الفيض ٤ . (٤) انظر : الفيض ٧٧ . (٥) الفيض ٧٨ .

(٦) الفيض ٣ . (٧) الفيض ٤ . (٨) الفيض ٢ ، ٣ .

(٩) الفيض ١٢٨ . (١٠) الفيض ١٣٠ .

أما مصادره في الإعراب ، فلم يذكر منها شيئا ، غير أن تأثير أصحاب المعاني واضح عليه .

وأستطيع القول إجمالا : إن كتاب الفيض العميم يعدّ من كتب معاني القرآن على الرغم من قلة استشهاداته اللغوية والشعرية ، وذلك لأمرين :

الأول : أنه يذكر المعاني الدقيقة للألفاظ ، وإن لم يذكر مصدره في ذلك اختصارًا .

الثاني : أنه يُعرب الآيات – في الغالب – ويوجه القراءات ، كما هو صنيع أصحاب المعاني وهو مع هذا يأخذ من التفسير بطرف كبير ، حيث يذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ويفسر بالمأثور في غالب الأحيان .

ثانيًا: كتب تقتصر على تناول المعاني

(أ) معاني القرآن الكريم

لأبي جعفر النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨ هـ)

يعدّ النحاس واحدًا من أعلام المذهب البغدادي، وإن كانت نزعته البصرية واضحة، لكنها ليست شديدة كما كان الحال عند أستاذه الإمام الزجاج.

وكتاب (**معاني القرآن**) واحد من كتب ثلاثة للنحاس في حقل الدراسات القرآنية فأولها هو (**معاني القرآن**) وقد محّضه للمعاني، فلم يشحنه - كسابقيه من أصحاب المعاني - بالإعراب، والتوجيهات النحوية. وإنما جعل للإعراب كتابًا مستقلاً هو كتاب (إعراب القرآن) ذلك الكتاب المشهور الذي يعد موسوعة نحوية في الإعراب والمذاهب والمصطلحات والأقوال والتوجيهات النحوية واللهجات والقراءات.

والاحتجاج لها. أما الكتاب الثالث فهو (الناسخ والمنسوخ) وعنوانه يشي بما يحويه. وقد بدأ النحاس معانيه بمقدمة موجزة أوضح فيها شيئًا من منهجه، وإن لم يذكر سبب تأليفه له، يقول فيها: " فقصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني، والغريب، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة، وأذكر من قول الجلّة من العلماء باللغة وأهل النظر ما حضرني، وأبيّن من تصريف الكلمة واشتقاقها - إن علمت ذلك - وآتي من القراءات بما يحتاج إلى تفسير معناه، وما احتاج إليه المعنى من الإعراب، وبما احتجّ به العلماء في مسائل سأل عنها المجادلون، وأبيّن ما فيه حذفٌ أو اختصار، أو إطالة لإفهامه، وما كان فيه تقديم أو تأخير، وأشرح ذلك حتى يتبينه المتعلم، وينتفع به كما ينتفع العالم بتوفيق الله وتسديده "[1].

---

(١) معاني القرآن للنحاس ١ / ٤٢ – ٤٣.

ويبدأ الكتاب بتفسير سورة الفاتحة [1] ، التي يسميها الحمد ككثير من أسلافه ، ومنتهيًا على الأرجح بالناس ، غير أن المخطوطة الوحيدة التي اعتمد عليها الكتاب المطبوع توقفت عند نهاية سورة الفتح . وترتيب السور عنده هو الترتيب المعتاد عند سابقيه ، وهو يبدأ بذكر أسماء السورة، والحديث عن أقوال العلماء في المكي منها والمدني [2] ، ثم يتعرض بعد ذلك لبعض الآيات من السورة، منتقيًا منها ما يود التعليق عليه .

أما طريقته في إبراز المعاني فهي طريقة الشرح غالبا عن طريق ذكر أقوال أئمة المفسرين من السلف كمجاهد وقتادة وعطاء ، ثم يتبعه بذكر أقوال أئمة اللغة المعروفين ، ليتخذ من أقوالهم سندًا لترجيح الرأي الذي يميل إليه ، فهو يجمع بين التفسير بالمأثور واللغة .

ومن أمثلة ذلك ما ذكر النحاس في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ (البقرة ٢/٢٠٤) حيث قال [3] : " قال مجاهد : أي ظالم لا يستقيم ، وقال قتادة : شديدُ جدلٍ بالباطل ، والألدُّ في اللغة : الشديد الخصومة ، مشتق من اللديدين وهما صفحتا العنق أي في أي جانبٍ أخذ من الخصومة غلب ، كما قال الشاعر : [الخفيف].

إنّ تحتَ الأحجارِ حَزمًا وجُودًا   وخصيمًا ألدَّ ذا مغْلاقِ[4]

ويروى (معلاقِ) ، ويقال : هو من لديدي الوادي ، أي جانبيه ، فصاحب هذه الصفة يأخذ من جانب ، ويدع الاستقامة ، واللدود في أحد الشقين ، وقال

---

(١) انظر المعاني ١ / ٤٧ .

(٢) انظر على سبيل المثال : المعاني ١ / ٤٢ – ٥٠ و١ / ٧٣ و١ / ٣٣٩ .

(٣) معاني النحاس ١ / ١٤٩ – ١٥٠

(٤) البيت برواية: (حزمًا وعزمًا) منسوبًا لمهلهل بن ربيعة –أحد من تسمّوا بامرئ القيس – من قصيدة يرثي فيها بعض آله، وهذا البيت في رثاء كليب، في أخبار المراقسة ٢٣٣، وهو من شواهد القرطبي في تفسيره ٣/١٦.

أبو إسحاق [1] : الخِصام جمع خصْم ".

ولا يكاد يخرج النحاس في أسلوب معالجته للآيات ، عن هذا إلاّ نادرًا ، حين يريد التوسّع لبيان معنى مختلف فيه ، أو يريد الإيجاز حينما يكون المعنى واضحًا لا لبس فيه .

والنحاس في كتابه لا ينحو منحى أصحاب المعاني السابقين عليه ، الذين كانوا يتعرضون للقضايا النحوية بتوسّع لأدنى ملابسة في الآية ، انتصارًا لمذاهبهم ، أو إظهارًا لآرائهم المتعلقة بالمسألة ، وربما كانوا مُحقين لأن الإعراب والمعنى متكاملان ، ولا ينفصلان ، ولأن أحدًا منهم لم يفرد الإعراب بكتاب كما فعل النحاس ، فكان من الطبيعي أن يتعرضوا لمباحث النحو في أثناء معالجتهم للمواضع التي تحتاج إلى شيءٍ من ذلك في كتاب الله ، وقد فعل النحاس كما فعلوا ولكن في إعراب القرآن لا في المعاني ، وعلي ذلك فلن تجد ذكرًا لمدرستي البصرة والكوفة في معاني النحاس إلا في مواضع نادرة [2] ، لكن ينبغي ألا يفهم من هذا أن النحاس معرضٌ عن الاستشهاد بآراء علماء المدرستين ، كلاّ ؛ فالكتاب زاخر بالنقول عن هؤلاء العلماء ، ولكن أكثر هذه النقول في مجال المعاني والدلالة واللغة ، وليست في المباحث النحوية إلا نادرًا ، وقد كان النحاس يحيل قارءه إلى كتابه (إعراب القرآن) إذا احتاج الأمر إلى توسّع لا يحتمله كتاب المعاني [3] مما يدلّ على أنه صنف كتابه في المعاني أولاً ومن أمثلة تعرض النحاس للنحو في المعاني ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (آل عمران ٣/٤٣) حيث قال[4] :

" فبدأ بالسجود قبل الركوع ، وفي هذا جوابان :

---

(١) أبو إسحاق : كنية الزجاج ، وانظر معاني الزجاج ١ / ٢٧٧ .

(٢) منها على سبيل المثال عند حديثه عن اشتقاق (التوراة والإنجيل) في المعاني ١ / ٣٤١ – ٣٤٣ وانظر أيضًا ١/ ٢٦٠ – ٢٦١ ، و٦ / ٥١ و٢٦٤.

(٣) انظر على سبيل المثال : المعاني ١ / ٣١٩ ، ١ / ٣٤٠

(٤) معاني النحاس ١ / ٣٩٩ – ٤٠٠ .

أحدهما : أن في شريعتهم السجود قبل الركوع ، **والقول الآخر** : أن الواو تدل على الاجتماع ، فإذا قلت ، قام زيدٌ وعمرو ، جاز أن يكون عمرو قبل زيد ، فعلى هذا يكون المعنى واركعي واسجدي ، ولهذا أجاز النحويون قام وزيدٌ عمرو، وأنشدوا: [الوافر]

ألا يا نخلةً من ذات عِرقٍ عليك ورحمةُ الله السلامُ [1] "

وهذا التناول للنحو – كما هو ظاهر – سريعٌ وغير مُستقصٍ ليتفق مع منهج الكتاب .

أما القضايا اللغوية في الكتاب فكثيرة ؛ إذ يرتكز الكتاب في أساسه على اللغة للترجيح بين الأقوال ومنها مثلا أنه يوقن بالأضداد ، كما ظهر من قوله في تفسيره ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة ٢/٢٤٩) : " أي : يوقنون " [2]، ويهتم بالبحث عن اشتقاق الكلمات ، ويرجح المعنى الذي يميل إليه بناءً على هذا أحيانًا ، وهو يحاول أن يردّ كلَّ مشتقات اللفظ إلى معنى مشترك ، ولكن دون مبالغةٍ أو تعسّف ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (البقرة ٢/٢١٣) يقول : (أمة) من قولهم : أمَمْت كذا ، أي قصدته ، فمعنى (أُمة) أن مقصدهم واحد ، ويقال للمنفرد (أمة) أي مقصده غير مقصد الناس ، والأَمّة القامة ، كأنها مقصد سائر البدن ، والإمّة – بالكسر – النّعمة ، لأن الناس يقصدون قصدها ، وقيل : إمام لأن الناس يقصدون قصد ما يفعل " [3] وهذا الكلام مختصر من معاني الزجاج ، وقد هذّبه النحاس وحذف منه بعض مبالغات الزجاج ، من مثل قوله في هذا الموضع : " فليس يخرج شيءٌ من هذا الباب عن معنى أممت أي قصدت " [4] .

---

(١) البيت للأحوص الأنصاري كما في ديوانه ق١٠/ ١٣ ص ١٩٠ ، وهو من الشواهد المعروفة ، وانظر خزانة الأدب ٢ / ١٩٢

(٢) معاني النحاس ١ / ٢٥٤.

(٣) معاني النحاس ١ / ١٦٠ .

(٤) معاني الزجاج ١ / ٢٨٤ .

كما تحدث النحاس في بعض المواضع عن القلب ، مثل قوله عن (الطاغوت) وأصله : (طَغَوُوت) مثل جبروت ، من طغى إذا تجاوز حدّه ، ثم تقلب اللام فتجعل عينًا ، وتقلب العين فتجعل لامًا ، كجبذ وجذب ، ثم تقلب الواو ألفًا لتحرّكها وتحرُّك ما قبلها ، فتقول: طاغوت"[1]

وأقرّ النحاس بالترادف في اللغة فقال : ألحف في المسألة ، وأحفى ، وألحّ ، بمعنى واحد "[2]

شـــواهد النحاس في المعاني :

تحتلّ قضية الاستشهاد في المعاني المساحة الأكبر منه ؛ إذ قلّ أن تخلو صفحة من ذلك ، وسنبين فيما يلي موقف النحاس من الشواهد بأنواعها المختلفة .

أولا : الاستشهاد بالقرآن والقراءات :

لم يكثر النحاس من الاستشهاد بموضع من القرآن على معنى يريده في موضع آخره ، وهو ما عرف بتفسير القرآن بالقرآن ، ولكنه استعاض عن ذلك بكثرة استشهاده بالقراءات الواردة في الآية نفسها ، كما في آية : ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ (البقرة ٢/٢٣٣)حيث يقول عن هذه القراءة [3] : " على النهي وقرأ أبان عن عاصم : (لاتُضَارَرْ وَالِدَةٌ) بكسر الراء الأولى [4] وقيل المعنى لا تدعُ رضاع ولدها ؛ ليُضِرَّ به غيظًا على أبيه ، وقرأ أبو عمرو وابن كثير[5] (لاتُضَارُّ)

---

(١) معاني النحاس ١ / ٢٧٠ وانظر ٦ / ٢٨٥ .

(٢) معاني النحاس ١ / ٣٠٣ .

(٣) معاني النحاس ١ / ٢١٧ .

(٤) على الرغم من أن عاصمًا من القراء السبعة المعروفين ، فإن رواية أبان بن تغلب هذه عنه شاذة ، ولذا لم يذكرها أصحاب القراءات ، في قراءات السبعة أو العشرة ، وانظر النشر لابن الجزري ٢٢٧/١ ، والسبعة لابن مجاهد ١٨٣ ، وقد ذكر هذه القراءة الشاذة القرطبي في تفسيره ١٦٧/٣ ، وابن خالويه في مختصره ص٢١ .

(٥) القراءة بالرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ، كما في الغاية في القراءات العشر =

بالرفع: على الخبر الذي فيه معنى الالتزام "

ويمكن أن نجمل موقف النحاس من الاستشهاد بالقراءات في معانيه على النحو التالي

١) لا يتقيد النحاس بالنقل عن السبعة أو العشرة ، بل ينقل كثيرًا من القراءات الشاذة ، على الرغم من أن السبعة في زمانه ، كانوا قد عُرفوا وذاع صيتهم وأكثر الناس من الأخذ عنهم ، بخلاف الأمر عند أسلاف النحاس من أصحاب المعاني ، كالأخفش والفراء والزجاج ، الذين عاشوا قبل أن يستقرّ أمر القراءات على السبع ، وقبل أن يُصنف ابن مجاهد كتابه الشهير في ذلك ولعلّ عذر النحاس في نقله للشاذ من القراءات رغبته في بيان وجهها السائغ في العربية ، كما قال في آية :﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (البقرة ٢/٢٨٢): " وروي عن الجحدريّ: (أَنْ تُضَلَّ)[١] أي تُنَسَّى ، كما يقال : أُنْسيتُ كذا [٢] فقد أراد أن يقول أن كل قراءة صحيحة لها وجه سائغ في العربية وإن كانت شاذة، وليس مراده أن يُعدّها قرآنًا .

٢) يرفض النحاس تخطئة القراءات ، أو الحكم بمخالفتها للغة ، بل يلتمس لها وجهًا مقبولاً ، كما فعل في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾(آل عمران ٣/١٣) فقد نقل قراءة عبد الرحمن السلمي (تُرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ) بضم التاء [٣] ، ثم قال : " وأنكر أبو عمرو أن يقرأ (تُرَوْنَهُمْ)

= ١١٤ والنشر ٢/٢٢٧ .

(١) انظر هذه القراءة الشاذة في البحر المحيط ٢ / ٢٤٩ وتفسير القرطبي ٣/٣٩٧ ، ومختصر ابن خالويه ٢٤.

(٢) المعاني ١ / ٣١٨ .

(٣) هذه القراءة شاذة كما في البحر المحيط ٢ / ٣٩٤ .

بالتاء قال : ولو كان كذلك لكان (مِثْلَيْكُم) وذا لا يلزم ، ولكن يجوز أن يكون مِثْلي أصحابكم [1] .

٣)في كثير من الأحيان لا يذكر اسم القارئ ، سواء كان من السبعة أو من غيرهم ، مما يؤكد أن قضيته ليست سوى التوجيه اللغوي للقراءة ، ومن أمثلة ذلك قوله [2] : " من قرأ : ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ (آل عمران ٣/١١٥) فهو عنده لهؤلاء المذكورين ، ويكون من فعل الخير بمنزلتهم ، ومن قرأ : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) بالتاء ، فهو عامٌّ [3] وفي آية : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ (البقرة ٢/٢٥١) قال النحاس : " ويقرأ : (ولولا دفاع الله) [4] حكى أبو حاتم أن العرب تقول أحسن الله عنك الدفاع والمدافعة ، مثل ناولتك الشيء [5]

ثانيا : الاستشهاد بالحديث النبوي

أتيح للنحاس فرصة ، ربما لم تتح لأحدٍ من أهل المعاني قبله ، وهي التتلمذ على بعض الأئمة الأعلام من رواة الحديث ، فجمع بذلك بين التمكن في اللغة والتمكن في رواية الآثار ، وهو الأمر الذي جعله - على خلاف من سبقه - يكثر من رواية الحديث في معانيه بسنده الكامل في بعض الأحيان ، وببعض السند في أحيانٍ أخرى ومن هؤلاء المحدثين الكبار الذين أخذ عنهم النحاس مباشرة : الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان

---

(١) معاني النحاس ١ / ٣٦٢ . (٢) معاني النحاس ١ / ٤٦٣ .

(٣) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف والدوري عن أبي عمرو " وما يفعلوا ... فلن يكفروه " وقرأ بقية العشرة " وما تفعلوا .. فلن تكفروه " بالتاء ، انظر الغاية في القراءات العشر ١٢٨ والنشر ٢ / ٢٤٢ .

(٤) هذه قراءة نافع ويعقوب وأبي جعفر ، كما في الغاية في القراءات العشر ١١٦ والنشر ٢/٢٣٠

(٥) معاني النحاس ١ / ٢٥٦ .

النسائي (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ) صاحب (السنن) المشهورة وأحد أصحاب الكتب الستة المعروفة [١] ومن أمثلة ما يرويه النحاس عنه في كتابه مما يوضح ذلك ، قول النحاس [٢] : " وحدثنا أحمد بن شعيب ، قال : أخبرنا محمود بن غيلان ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا سفيان ، عن آدم بن سليمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : " لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة ٢/٢٨٤) دخل قلوبهم منها شيء ولم يدخلها من قبل ، فقال النبي ﷺ : " قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا " فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله عز وجل :﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ (البقرة ٢/٢٨٥) وممّن تتلمذ له النحاس في الحديث أيضًا الإمام أحمد بن محمد الطحاوي ، المحدّث المصريّ المشهور ، صاحب التصانيف الشهيرة [٣] ، ومن أمثلة رواية النحاس عنه في المعاني قوله [٤] : " حدثنا أحمد بن محمد بن سلامة ، يعني الطحاوي ، قال : حدثنا إبراهيم بن مرزوق ، قال : حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة ٢/٢٥٦) ، قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد فتحلف لئن عاش ولد لتهودنه، فلما أُجليت (بنو النضير) إذا فيهم ناس من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: يا رسول الله: أبناؤنا ، فأنزل الله ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾" [٥] وهكذا يتضح من قوله : (حدثنا) أنه سمع من كلٍّ منهما مباشرة وجدير بالذكر هنا أن النحاس في معانيه لا يحكم على الحديث

---

(١) انظر ترجمة الإمام النسائي في البداية والنهاية لابن كثير ١١ / ١٢٣ .
(٢) معاني النحاس ١ / ٣٢٦ وانظر أيضًا المعاني ١ / ٣٤٠ و١ / ٢٧٣ .
(٣) انظر ترجمة الإمام الطحاوي في سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥ / ٢٧ .
(٤) معاني النحاس ١ / ٢٦٦ وانظر : المعاني ١ / ١٩٦ .
(٥) الحديث ذكره الطبري عن ابن عباس ٣ / ١٤ وابن كثير ١ / ٤٥٩ .

بالصحة أو الضعف ، ولا يحكم على رواته بالتعديل أو التجريح إذ المقام - فيما أرى - لم يكن يسمح بذلك ، فالكتاب في الأصل كتاب لغةٍ ودلالة .

وأكثر استشهاد النحاس في معانيه يتمثل في الاستشهاد بالحديث الموقوف على الصحابة ، فيكاد يكون في كل آية ، إذ نجده جامعًا لأكبر عدد من أقوالهم ، ثم يرجح منها ما تؤيده اللغة ، وقد تقدّم أنه يذكر عند تفسيره للآية ما قيل فيها من قبل الصحابة والتابعين ، ثم يذكر ما يحضره من أقوال اللغويين ، ثم يختار من بين هذا كله الرأي الذي يميل إليه مما يتوافق مع اللغة وشواهدها .

وهو يكثر من النقل عن ابن عباس وتلامذته المعروفين كعكرمة ، وعطاء ، وقتادة ، وسعيد ابن جبير ومجاهد [(١)] ، وربما ينقل عن ابن عباس عن طريق أحد تلامذته هؤلاء ، مثل قوله : " روى عطاء عن ابن عباس قال : " كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنتين ، وأكثر من ذلك ، فوقّت الله لهم أربعة أشهر ، فمن كان إيلاؤه منهم أقل من أربعة أشهر ، فليس بإيلاء " [(٢)] وأحيانًا ينقل رأي جمعٍ من الصحابة بلا سندٍ عنهم ، كما فعل في آية : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (البقرة ٢/٢٢٨) حيث قال : " وقال عمرو وعلي ومعاذ وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسي : ثلاث حيض . وقالت عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر : ثلاثة أطهار " [(٣)]

ثالثًا : الاستشهاد بالشعر في معاني النحاس

كان النحاس – كشيخه الزجاج – معتدلاً في إيراده الشواهد الشعرية في معانيه ، والأغراض التي يسوق من أجلها تلك الشواهد لا تكاد تختلف عنها عن شيخه أيضًا، ومنها:

---

(١) انظر على سبيل المثال : المعاني ١ / ١٠٦ و١١٠ و١٧٤ و١٨٧ و١٩٢ و١٩٨...إلخ .

(٢) المعاني ١ / ١٩٢ . (٣) المعاني ١ / ١٩٥ .

١ - الاستشهاد بالشعر على المعاني القرآنية :

كما فعل في قوله تعالى ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف ٤٣/٣٩) حيث قال : " إن الله عز وجل حرم أهل النار هذا المقدار من الفرح ، وهو التأسي ، وهو أن ذا البلاء إذا رأى من قد ساواه في المصيبة سكّن ذلك من حزنه ، كما قالت الخنساء [1]: [الوافر]

فلولا كثرةُ الباكينَ حولي   على إخوانهم لقتلتُ نفسي
وما يكون مثلَ أخي ولكنْ   أُعزّي النفسَ منه بالتأسّي

٢ - الاستشهاد بالشعر لتفسير الغريب من الألفاظ :

ففي قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ (الزخرف ٤٣/٧٩)

" قال [2]: يقال : أبرم الأمر : إذا بالغ في إحكامه ، وأبرم الفاتل : إذا أحكم الفتل ، وهو الفتل الثاني ، والأول سحيل ، كما قال [3]: [الطويل]

.... من سَحيل ومُبرمِ

ومنه رجلٌ بَرَمٌ ، إذا كان لا يدخل في الميسر ، أو كان ضيق الخلق لا يجتمع مع الناس ، كما قال الشاعر : [الطويل].

ولا بَرَمًا تُهدي النساء لِعرسه   إذا القشعُ من بردِ الشتاء تقعقعا [4]

٣ - الاستشهاد بالشعر على المسائل النحوية:

---

(١) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث ، والبيتان من قصيدة لها في رثاء أخيها صخر الذي قتل يوم كلاب في الجاهلية سنة ٦١٥ م ، والبيتان في ديوان الخنساء ص ٨٤ ، وأنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ١٥٢-١٥٣ برواية (وما يبكين ... أسلي ...).

(٢) معاني النحاس ٦ / ٣٨٦

(٣) هذا جزء من عجز بيت لزهير بن أبي سلمي من معلقته الشهيرة ، والبيت كاملاً في ديوانه ١٤

يمينا لنعم السيدان وجدتما   على كل حال من سحيل ومبرم

(٤) البيت لمتمم بن نويرة اليربوعي ، كما في التاج (برم) ٣١/٢٦٥، طبعة الكويت .

كما أسلفنا فإن النحاس قليل الاهتمام بالنحو ؛ ولذا فإن استشهاده عليه قليل ومن أمثلة ذلك قوله[1] في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ (الشورى ٤٢/٢٦)[2] : (الذين) في موضع نصب ، بمعني : ويستجيب للذين آمنوا ، كما قال سبحانه : (وإذا كالوهم) أي كالوا لهم ، يقال : استجبته بمعنى أجبته ، وأنشد الأصمعي : [الطويل]

وداعٍ دعا يا من يُجيبُ إلى النَّدى ... فلم يَسْتجبْه عند ذاك مجيبُ[3]

٤ ـ الاستشهاد بالشعر للاحتجاج للقراءات :

وهذا كثير في المعاني ، بسبب حرص النحاس على أن يلتمس لكل قراءة وجها سائغا ، فكان يستشهد بالشعر لبيان ذلك ، ومن أمثلة تلك الشواهد ما أورده لتأييده قراءة (إِنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ)[4] وقد ردّ على من زعم أنها لحنٌ ، لأن تكملة الآية بعدها : ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ (آل عمران ٣/ ٧٣) بغير نون ، وكان يجب أن يكون (يحاجونكم) ولا عامل لها في رأيهم ؛ فقال[5] : " وهذا القول ليس شيء ؛ لأن (أو) تضمر بعدها (أن) إذا كانت في معنى حتى ، وإلاّ أن ، قال الشاعر : [الطويل]

فقلت له لا تبْكِ عينُك إنما ... نحاول مُلكًا أو نموت فنعذرا[6]

---

(١) المعاني ٦/٣١٢ . (٢) انظر أيضًا : المعاني ٦ / ١٠ و ١١

(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته لأخيه ، وهو من شواهد الطبري في تفسيره ٤/٢١٥

(٤) قراءة الجمهور : (أن يؤتى) وقرأ ابن كثير : (آن يؤتى) بمد الألف على الاستفهام ، (انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٦٦) وأما القراءة بكسر الهمزة فهي قراءة الأعمش ، وطلحة ، انظر البحر المحيط ٢/٤٩٧ و٦/١١٩ ، ومختصر ابن خالويه ٢٧ .

(٥) المعاني ١ / ٤٢٣ وانظر أيضا مثالا للاحتجاج للقراءات ٦ / ١١٩ و٦ ٣٤ .

(٦) البيت لامرئ القيس في ديوانه (تحقيق السندوبي) ٨٩ ، وكذلك في المقتضب للمبرد ٢/٢٧ والخزانة ٣/٦٠٩ .

ومما يلحظ أن النحاس لم يكثر من أخذ الشواهد عن سيبويه ، كما فعل شيخه أبو إسحاق الزجاج ، وإنما كان ينقل بعض شواهده [1] ، وينقل عن غيره أيضًا في الوقت ذاته ، فليس عنده هذا الاعتزاز الكبير الذي كان عند شيخه لسيبويه ، على الأقل في كتاب (معاني القرآن) فلسنا بصدد الحديث عن غيره من كتب النحاس !

رابعًا : الاستشهاد بالنثر في معاني النحاس :

لا نكاد نعثر في معاني النحاس على مثل واحد من أمثال العرب المعروفة ، ربّما تأثرًا بالبصريين الذين كانوا يرون أن الأمثال تشوّه لتسير ! ولذلك لم يستشهد بها الأخفش ولا الزجاج في كتابيهما في المعاني .

مصادر النحاس :

إذا كان الزجاج في معانيه يبدو شديد الاعتزاز بسيبويه ؛ فلا يكاد يقدم رأيًا على رأيه ، فإن النحاس يفعل الشيء نفسه ولكن مع الزجاج لا سيبويه !

فمعاني النحاس زاخرٌ بآراء الزجاج ، فهو المصدر الأوّل من مصادره الكثيرة بلا منازع ، والمواضع التي ينقل فيها النحاس آراء أستاذه الزجاج لا تكاد تحصر لكثرتها[2] وهو يذكر رأيه غالبًا في ختام الآراء التي ينقلها في الآية ، بما يعني أنه المختار عنده ، ولم يرد رأيًا له في المعاني قط ، بينما سمح النحاس لنفسه بأن ينقل بعض آراء للمبرد يرد فيها على سيبويه [3] ! فانظر إلى مدي إعظامه للزجاج وتقديره وامتنانه لمن علّمه وأخذ عنه.

بل إن النحاس حين يريد أن يبين خطأ رأي واحد من الكبار الأعلام ، فإنه يأتي برد الزجاج عليه ، ليخرج هو من المسألة سالمًا ، ومن أمثلة ذلك قوله في

---

(١) انظر بعض الشواهد الشعرية التي نقلها النحاس عن سيبويه في معانيه ٦ / ٢٩٢ و٢٩٧ .

(٢) انظر على سبيل المثال : معاني النحاس ١ / ٧٤ و٩٤ و١٠٤ و١١٢ و١٣٨ و١٥٠ و٢٢١ و٢٦٦ و٢٩٦ و٣٠٤ و٣٠٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال : المعاني ١٦/٥.

المعاني: " قال الأخفش: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ (البقرة ٢٥٧/٢) يحكم بأنهم كذلك، تقول: (قد أخرجكم الله من هذا الأمر) ولم تكونوا فيه قط، قال أبو إسحاق: ليس هذا بشيء إنما هو: يزيدهم بإيمانهم هدى، وهو وليّهم في حجاجهم وهدايتهم، وفي نصرهم على عدوهم، ويتولّى ثوابهم "[1].

وواضح أن الخلاف هنا عَقَدي؛ فالأخفش معتزليٌّ، والنحاس على اعتقاد أهل السنة. ويلي الزجاج كمصدر من مصادر المعاني عالمان كبيران هما: المبرد وابن كيسان، إذ يكثر النحاس من النقل عنهما، ولا يخطئهما إلاّ قليلا[2]

ويأتي في المرتبة الثالثة من المصادر ـ من حيث كثرة النقل ـ سيبويه[3] وأبو عبيدة[4] والكسائي والفراء[5]، والنحاس - على خلاف الزجاج - لا يحاول أن ينتصر للبصريين في كل موضع، وإنما يقبل من الآراء ما يراه صوابًا، ويرد ما يراه خطأً، ويوشك أن يكون محايدًا في نظرته للعلماء الكوفيين، ولا يعكّر صفو هذا الحياد سوى مواضع قليلة، لم يستطيع أن يتخلص فيها من انتمائه البصري المعروف، وكيف للمرء أن ينزع جلده؟ لكنّه على أية حال قليلُ التعصب، عفّ الأسلوب، مهذبٌ في ردوده على مخالفيه في الغالب، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير آية ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت ١١/٤١) " فأما قوله تعالى: ﴿ طَآئِعِينَ ﴾ ولم يقل: (طائعات) فقال فيه الفراء: " معناه أتينا بمن فينا طائعين، قال أبو جعفر:

---

(١) المعاني ١ / ٢٧٥.

(٢) بالنسبة لآراء المبرد انظر على سبيل المثال المعاني ١/٥٥ و٥٦و٦٢و٧٦و٩٠و١٠٧و٢٢٧.

(٣) انظر على سبيل المثال: المعاني ١ / ٥٧ و٦٤ و١٠٨ و١٤٠ – ١٤١.

(٤) انظر المعاني ١ / ٥٤ و٦٠ و٧٦ و١٢٧ و١٧٨ و٢٠١ و٢٢٧ و٢٧١.

(٥) فيما يخص آراء الكسائي والفراء، انظر على سبيل المثال المعاني ١/ ٥١ و٧٦ و٧٨ و٧٩ و٢٧٨ و٢٧٩ و٢٨١ و٢٨٦.

الأحسن في هذا - وهو مذهب جلة النحويين - أنه جلّ وعز ، لما أخبر عنها بأفعال ما يعقل ، جاء فيها بما يكون لمن يعقل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴾ (يوسف ١٢/٤) فأما الكسائي فأجاز في كل شيءٍ أن يجمع بالواو والنون ، والياء والنون ، وهذا لا يعرّج عليه " [١]

ولا يخلو الكتاب بعد ذلك من آراء متفرقة للأخفش [٢] وبعض آراء الخليل[٣] وأبي زيد الأنصاري[٤] وأبي عمرو بن العلاء [٥] والنضر بن شميل [٦] والأصمعي [٧] وأبي حاتم[٨] السجستاني وثعلب [٩] وأبي عمرو الشيباني [١٠] وقطرب [١١] والطبري[١٢] وأبي بكر الأنبارى [١٣] مع الرد عليهم أحيانًا .

وأما مصادره في الحديث ، فقد سبق أن ذكرنا أنه تتلمذ على يد بعض المحدثين الكبار ، فنقل عنهم في كتابه ، ومنهم النسائي والطحاوي وابن الأنبارى .

---

(١) المعاني ٦ / ٢٥٠ – ٢٥١ .
(٢) انظر على سبيل المثال : المعاني ١ / ١٠١ و١٠٧ و١٥٥ و ٣٢٠ .
(٣) انظر المعاني ١ / ٦١ و٢١٣ .
(٤) انظر مثلا المعاني ١ / ٣٦٧ .
(٥) انظر مثلا ١ / ٣٦٢ و٦ / ١٣٤ .
(٦) انظر مثلا١ / ١٦٤.
(٧) انظر مثلا ١ / ١٠٤ و٢٢٣ و٦ / ١١٥ و١٦٥ .
(٨) انظر مثلا ١ / ٦١ و٧٨ و٩١ و٦ و١٣٣ .
(٩) انظر مثلا ١ / ٥٢ و٥٦ .
(١٠) انظر مثلا ١ / ٢٨٠ .
(١١) انظر مثلا ١ / ١٥٦ ١٥٩ و٣٣٢ .
(١٢) انظر مثلا ١ / ٢٦٥ و٣٢١ و٤١٠ .
(١٣) انظر مثلا ١ ١٣٠ و٢٣٨ و٢٤٠ و٦/١٣١ .

وأما مصادره في القراءات فلم يُصرح بها ، لكنه ينقل عن الجميع كما أسلفنا .

وبصفة عامة نستطيع القول : إن كتاب معاني القرآن للنحاس كتابٌ مهم ، وذلك لمكانة النحاس المعروفة ، ولما حواه من هذه النقول عن الأئمة ، وبعضهم فقدت كتبه في هذا المجال ، ولم يعد لنا من سبيل لمعرفة آرائه سوى ما جاء في بعض الكتب التي أفادت منه كما هو الحال هنا ، ومن أمثال هؤلاء المبرد ، إذ لم يصل إلينا كتابه في معاني القرآن وكذلك الكسائى وقطرب وأبو حاتم السجستاني ، وأبو بكر بن الأنباري .. الخ

كما أن كتابه حوى طائفةً من التفسير بالمأثور عن جمع غفير من الصحابة والتابعين ، مما أسهم إلى حد ما في توثيق تلك النصوص القيمة ، بالإضافة لبعض الشواهد الشعرية التي انفرد بها في بعض المواضع ، ومن ميزات الكتاب أيضًا أنه كتابٌ خالصٌ في المعاني القرآنية غير مهتم بالخلافات النحوية والآراء المذهبية إلاّ نادرًا ، ولا نكاد نجد فيه رأيًا شاذًا مصادمًا للعقيدة ، أو للمجمع عليه عند العلماء وكذلك تبدو أهمية الكتاب في مجموعة الآراء القيمة التي قدمها أبو جعفر النحاس في مجال المعاني القرآنية ؛ إذ لم يكن يترك فرصة في كتابه للترجيح بين المعاني المتعارضة - أو المتقاربة - إلاّ ورجّح ما يراه الأصوب ، بلا شطط أو تعسّف في الغالب ، وبلا انتقاصٍ من قدر أحد ، ولذا فقد صار مرجعًا لكثير ممن ألّف بعده في المعاني أو في التفسير ، ولكنّ أكثر من أفاد منه - فيما أعلم - الإمام القرطبي في تفسيره الشهير ، إذ يكثر من النقل عنه مع التصريح باسمه تارة [1] ، ومع الإشارة إليه في أصحاب المعاني تارة أخرى .

(١) انظر مثلا تفسير القرطبي ١٣ / ١٣ .

(ب) إيجاز البيان عن معاني القرآن
لبيان الحق النيسابوري (ت بعد ٥٥٣ هـ)

يبدو أن بيان الحق محمود بن أبي الحسن النيسابورى كان مولعًا بالتأليف فى معانى القران ! فقد صنّف في هذا المجال ثلاثة كتب قيمة ، وصل إلينا منها كتابان ، هما :

١. " باهر البرهان في مشكلات القران " وهو كتاب يجمع بين مشكل القرآن ومعانيه .

٢. إيجاز البيان عن معاني القران " وهو كتاب خالصٌ في المعاني .

وأما الكتاب الثالث المفقود فبعنوان : " غرر الأقاويل فى معاني التنزيل "

بل إننا يمكن أن نضيف إلى هذه الكتب الثلاثة كتابًا رابعًا ليس في المعاني مباشرة ، وإنما في شرح الشواهد الشعرية الغزيرة التي أوردها المؤلف في كتابه (باهر البرهان) فهي شواهد شعرية لمعاني القرآن أيضًا !

على أيه حال فإن كتاب " إيجاز البيان عن معانى القران " هو آخر كتبه في المعاني ، فقد ذكر إسماعيل باشا أن النيسابورى فرغ من تصنيف كتابه إيجاز البيان سنة ٥٥٣هـ بالخجند[1] ، وهذا التاريخ هو آخر عهدنا بالنيسابورى ، إذ يبدو أنه مات بعده بقليل .

كما أن النيسابورى يشير في مقدمته لهذا الكتاب إلى كتبه الأخرى فى المعانى ، بما يعنى أنها صُنفت قبل هذا الكتاب .

أما سبب تأليف (إيجاز البيان) فقد ذكره النيسابورى في خطبة الكتاب فقال : " إن أفضل العلوم علم كتاب الله النازل من عنده ، والسبب الواصل بين الله وعبده ، وتفاسيره مقصورة على قول واحد من الأولين ، أو مقصودة بالتكثير والتكرير كما هو فى مجموعات المتأخرين، والأولى لعجمة الطباع واللسان لا

(١) هدية العارفين ٢ / ٤٠٣ والخجند - كما في معجم البلدان ٢ / ٣٤٧ - مدينة على شاطئ نهر سيحون.

تشفى القلب ، والثانية لا تطاوع الحفظ لإطالة القول .... فمن أراد الحفظ والتحصيل، وكان راجعًا إلى أدب وتمييز ، فلا مزيد له على هذا الكتاب ، ومن أراد التبحّر والتكثر فعليه بكتابنا " غرر الأقاويل فى معانى التنزيل " ومن أراد محاورة المتكلمين ومحاضرة المتأدبين فلينظر من أحد كتابينا ، إمّا كتاب (باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن) ، وإمّا كتاب (الأسولة الرائعة والأجوبة الصادعة إلى حلبة البيان وحلية الإحسان، وزبدة التفاسير ولمعة الأقاويل)[(١)] .

أي إن النيسابوري أراد أن يضع كتابًا وسطًا فى حجمه ومادته ، يصلح لمن أراد الحفظ والاستيعاب لا التبحر والتوسع .

وقد أثنى النيسابورى على كتابه ثناءً ليس فوقه ثناء ، فقال : " ... قد اشتمل مع تدانى أطرافه من وسائطه ، وتقارب أشكاله من شواكله على أكثر من عشرة آلاف فائدة ، من تفسير وتأويل ودليل ونظائر وإعراب وأسباب نزول ، وأحكام فقه ، ونوادر لغات ، وغرائب أحاديث [(٢)] .

ويخيّل إلىّ أن هذا الوصف مبالغٌ فيه بعض الشيء ، وإن كان الكتاب جيّدًا !

والكتاب يسير في ترتيبه وفق الترتيب المصحفي المعتاد ، يبدأ من سورة الفاتحة ، وينتهي بسورة الناس ، ولا يتعرض إلاّ للآيات التي تحتاج إلى بيان وإيضاح ، وينتقى من الآية نفسها المواضع التى يريد التعليق عليها .

وهو يمزج في شرحه للكلمة المفردة بين طريقتي التعريف وذكر كلمة مرادفة للمفردة ، فمن أمثلة الطريقة الأولى قوله في ﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٨/٢) : " أي : إلى الإسلام أو عن الكفر ، لتنوع الرجوع إلى الشيء وعنه ، ويقال: كلّمني فلان فما رجعت إليه كلمة ولا رجّعت"[(٣)] .

ومن أمثلة الشرح بذكر كلمة مرادفة ، ما فعله فى تفسير كلمة :

---

(١) إيجاز البيان ١ / ٥٦

(٢) إيجاز البيان ١ / ٥٥ .

(٣) إيجاز البيان ١ / ٧٢ – ٧٣ .

﴿ خَٰسِـِٔينَ ﴾ (البقرة ٦٥/٢) حيث قال: " مبعدين "[١] وفي تفسير كلمة ﴿ أَن تَضِلَّ ﴾ (البقرة ٢٨٢/٢) قال: " أن تنسى "[٢] ... وهكذا .

وهو يختصر في شرحه وتعريفه اختصارًا ، على خلاف ما كان يفعل في كتابه (باهر البرهان) ولذلك فان شواهده في هذا الكتاب أقل بكثير من كتابه المذكور ، وأكثر استشهاداته بالقرآن والقراءات ، فهو يقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ (يونس ٣٠/١٠) ينكشف لها ما أسلفت ، فتَخْتبر جزاءها ، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ (الطارق ٩/٨٦) تختبر بالكشف[٣] والقراءات التي يوردها إما سبعية وإما عشرية، أما القراءات الشاذة فلم ترد في هذا الكتاب إلا نادرًا . وهو حين يذكر أوجه القراءات المختلفة فهو معنيٌّ بتوجيهها أيضًا [٤] .

ويلاحظ أيضا كثرة استشهاده بالأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة ، فقد بلغ عدد الأحاديث المرفوعة التي صرّح فيها بالاستشهاد في هذا الكتاب سبعة وثمانين حديثًا، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (البقرة ٣/٢) "الصلاة : الدعاء ، وفي الحديث : (إذا دُعي أحدكم إلى طعامٍ فليجب ، وإن كان صائمًا فليصلّ)[٥] ، أي : " فليدع لصاحبه "[٦].

وأما الأحاديث الموقوفة والمقطوعة ، فقد بلغت ثنتين وأربعين ومائة حديث ، إذ كان النيسابوري يكثر من نقل أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، وأوجه القراءات المأثورة عنهم أما الشواهد الشعرية في الكتاب فنادرة ، إذ لا يوجد منها إلاّ سبعة أبيات لا غير ،

---

(١) إيجاز البيان ١ / ١٠٣ . (٢) إيجاز البيان ١ / ١٧٦ .

(٣)انظر مقدمة تحقيق الكتاب ١/ ٣٠ – ٣١ . (٤) انظر مقدمة تحقيق الكتاب ١/ ٣٠ – ٣١

(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (محمد فؤاد عبد الباقي) ٢ / ١٠٥٤ باختلاف يسير في ألفاظه . (٦) إيجاز البيان ١ / ٦٥ .

وليس ذلك عن قلة البضاعة ، فقد وجدناه في كتبه الأخرى قد أكثر من الاستشهاد بالشعر ، إلى حد تأليف كتاب في الشواهد الواردة في كتابٍ واحد ، وإنما توخّي النيسابوري الاختصار والإيجاز في كتابه،ليكون اسمًا على مسمّي !

ومعظم الشعر الذي استشهد به جاء في معرض الاستشهاد على طريقة العرب في الكلام ، وأن القرآن جاء على نسق تلك الطريقة ، ولم يشذ عنها ، ومن أمثلة ذلك قول النيسابوري عند تعرضه لتفسير : ﴿ يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ (غافر٤٠/٢٨): " هذا بابٌ من النظر ، يذهبُ فيه إلى إلزام الحجة بأيسر الأمر ، وليس فيه نفي الكل ، قال الشاعر ، وهو النابغة : [البسيط].

قد يدركُ المتأني بعضَ حاجته   وقد يكونُ من المستعجل الزّللُ [١]

ولنفس علة الاختصار جاءت الشواهد النثرية قليلة أيضًا ، إذ لم نجد في الكتاب إلا أحد عشر قولاً من أقوال العرب ، من مثل: "أخدعُ من ضبٍّ حرشته" [٢] و" حنّ قدحٌ ليس منها"[٣] الخ

وتناول النيسابوري للآيات التي ينتقيها يغلب عليه الجانب اللغوى ، فهو على وجازة مادته ، يتعرض لكثير من الظواهر اللغوية ، فهو يهتم كثيرًا بالاشتقاق ، وبيان أصل وضع الكلمة ، كما فعل مع كلمة (إبليس) [٤] و(غلْف) [٥] و(بكة) [٦] والإعراب ظاهر أيضا في كتابه ، وهو يذكر أوجه الاختلاف في إعراب الآية ، وأحيانا يرجح بين تلك الوجوه ، كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة ٢/١٠) حيث قال: (ما) بمعني المصدر ، وليس بمعني الذي ؛ لأن (الذي) يحتاج إلى عائد من

(١) إيجاز البيان ٢ / ٧٢٦ ، والبيت ليس للنابغة ، بل هو في ديوان القطامي ص ٢ .
(٢) إيجاز البيان ٦٨/١، وهذا المثل في جمهرة الأمثال ١ / ٤٤٠ ، ومجمع الأمثال ١ / ٤٥٨.
(٣) انظر إيجاز البيان ٦١٢/٢، والمثل يضرب للرجل يدخل نفسه في القوم ليس منهم، انظر الجمهرة ٣٧٠/١.
(٤) انظر إيجاز البيان ١ / ٨٤ .
(٥) انظر إيجاز البيان ١ / ١١٢ .
(٦) انظر إيجاز البيان ١ / ١٩٩ .

الضمير وإنما جاءهم المفسدون مع فساد غيرهم لشدة فسادهم ، فكأنه لم يعتد بغيره " [1] والنيسابورى وإن كان يذكر بعض المصطلحات الكوفية - مثل النصب على القطع أي على الحال [2] - لكنه ينتصر للمذهب البصري في كتابه ، ويرجّح أقوال أئمته دائمًا ، كما صنع - باختصار - في قوله ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ ﴾ (يوسف: ١٥/١٢)حيث يقول : " محذوف الجواب ، والكوفيون يجعلون: (أجمعوا) جوابًا ، والواو مُقحمة ، وإقحامها لم يثبت ، ولا له وجه في القياس"[3]

والنيسابوري - مع ولعه بتناول غريب الألفاظ - يميل أيضًا إلى بيان أسرار التركيب القرآني ، ويذكر بعض اللطائف التي تتعلق بنظمه ، فقد ذكر - على سبيل المثال - فائدة : (عشرة كاملة) في قوله تعالى : ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ﴾ (البقرة ١٩٦/٢) فقال: " المراد رفع الإبهام، فقد يتوهم في الواو أنها بمعني أو"[4] .

وإلي جانب ذلك يعني النيسابورى أيضًا بذكر أسباب النزول ، وهو لا يورد - غالبا - إلاّ الصحيح الوارد في ذلك[5] .

كما يهتم بذكر الأحكام الفقهية ، ويورد أقوال الفقهاء ، وبخاصة الحنفية والشافعية ، مرجحًا مذهب الحنفية بالدليل . [6]

مصادره :

تنوعت مصادر النيسابورى في هذا الكتاب فهو ينقل عن طائفةٍ كبيرةٍ من العلماء وإن كان أكثر اعتماده على كتابين ، هما :

---

(١) انظر إيجاز البيان ١ / ٦٩ ، وانظر أمثلة أخرى في الكتاب ١ / ٧٢.

(٢) انظر إيجاز البيان ٢ / ٥٦٤ .

(٣) إيجاز البيان ١ / ٤٣١ .

(٤) إيجاز البيان ١ / ١٤٢ .

(٥) انظر أمثلة لذلك في الصفحات : ٢٣١/١ و٢٣٨ و٤٥ و٢٤٦ و٢٥٠ و٢٥١ و٢٥٧ و٢٦٠ .

(٦) انظر أمثلة لذلك في : ١ / ١٣٩ و١٤٠ و١٤١ و١٤٢ و١٥٩ و١٦٠ و٢ / ٥٩٥ .

١) جامع التأويل لمحكم التنزيل ، لأبي مسلم محمد بن بحر الأصفهانى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ .

٢) النكت والعيون ، لعليّ بن حبيب الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

وعلى الرغم من شدة تأثره بالكتابين ، فإنه ينقل عن الثاني دون الإشارة إليه ، أما الأول ، فهو يشير إلى صاحبه (ابن بحر) حينًا ، ولا يصرح بالنقل عنه أحيانًا! [١]

وأما مصادره في مجال معاني القرآن ، فهي :

١ - معاني القرآن ، لأبي الحسن على بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ).

٢ - معاني القرآن ، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ).

٣ - معاني القرآن ، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١٥ هـ).

٤ - معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١).

٥ - تاج المعاني في تفسير السبع المثاني ، لأبي نصر منصور بن سعيد بن أحمد بن الحسن [٢]

وهو غالبًا لا يذكر اسم الكتاب الذي ينقل عنه ، وإنما يشير إلى صاحبه ، وأحيانًا لا يذكر اسم الكتاب ولا المؤلف ، كما يفعل مع الزجاج غالبًا .

وهناك طائفة أخرى من المصادر المتنوعة نذكر منها :

١ - الكتاب ، لسيبويه (ت ١٨٠ هـ).

٢ - مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ).

٣ - صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ).

٤ - صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ).

٥ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٧٦ هـ).

٦ - الكامل للمبرد (ت ٢٨٥ هـ).

٧ - تهذيب اللغة ، للأزهري (ت ٣٧٠ هـ).

٨ - الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي على الفارسي (ت ٣٧٧ هـ).

---

(١) انظر إيجاز البيان ١ / ٣٥ .

(٢) انظر إيجاز البيان ١ / ٣٦ .

٩ - تفسير النيسابوري (ت ٤٠٦ هـ).

١٠ -الكشف والبيان في تفسير القرآن ، لثعلب (ت ٤٢٧ هـ).

١١ -شروح المتفق ، وهو كتاب في فروع الحنفية ، لأبي بكر محمد بن عبد الله الجوزقي (ت ٣٨٨ هـ)[١]

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أمور كثيرة منها :

١ - موسوعية المؤلف وتبحره في علوم كثيرة .

٢ - إعراضه عما لا فائدة فيه ، من ذكر الأخبار الإسرائيلية ، ونحوها .

٣ -حرصه على إبراز عصمة الأنبياء ، والدفاع عنهم ، ورد الشبهات التي أثيرت حولهم ، كما فعل مع سيدنا ابراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ (الأنعام ٧٦/٦) فقال : " هو على وجه تمهيد الحجة ، وتقرير الإلزام ، ويسميه أصحاب القياس : القياس الخُلفي ، وهو أن تفرض الأمر الواجب على وجوه لاتمكن، ليجب به الممكن "[٢]

وكذلك فعل في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز[٣]

٤ -اعتماده على كتب قيمةٍ أكثر من النقل عنها ، فحفظ بذلك نصوصًا مهمة من الضياع .

٥ -وجازة الكتاب واختصاره ، ودقة عباراته وألفاظه ، مما يسهّل الانتفاع به.

أما ما يؤخذ عليه ، فأمور قليلة : منها :

١) النقل –أحيانًا – بلا إشارة للمصدر الذي نقل عنه ، كما فعل مع الماوردي والزجاج .

٢) ذكر بعض الأقوال الضعيفة في الآية ، على الرغم من ورود

---

(١) انظر إيجاز البيان ١ / ٣٦ – ٣٧ .

(٢) إيجاز البيان ١ / ٢٩٩ ، وانظر أمثلة أخرى : ١ / ١٦٨ ، و٢ / ٥٨١ – ٥٨٢ .

(٣) إيجاز البيان ١ / ٤٣٣ .

الصحيح [1] ونادرًا ما يذكر أقوالا غريبة ، كما فعل في تفسير : " ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ (البقرة ٢/٥٧) حيث قال : " والسلوان تراب قبر النبي ﷺ ينقع في الماء ، فيشرب للتسلّي" [2]

٣) الإخلال بترتيب الآيات في السورة الواحدة ، من حيث التقديم والتأخير ، في بعض المواضع [3] وإن كان يجري على ترتيب الآيات وفق ورودها في المصحف غالبًا .

وعلي أية حال ، فإن هذا الكتاب امتدادٌ لكتب معاني القرآن التي سبقته ، وهو - وإن كانت قامته تتقاصر عن الفراء والأخفش والزجاج - يحسب له جسارته وإقدامه على هذا النوع من التأليف ، وقد كان موفقًا فيه كل التوفيق ، ويكفي أنه قدّم لنا نموذجًا متكاملاً للتأليف في هذا الفن في القرن السادس الهجري .

ج) صفوة البيان لمعاني القرآن
للشيخ حسنين مخلوف (ت ١٩٩٠م)

يقع هذا الكتاب في مجلد واحد ، ضخم الحجم ، بدأه المصنف بمقدمتين !

تحدّث في الأولى عن سبب تأليفه للكتاب ، فقال : " وقد رغب إليّ كثيرٌ من طلاب العلم أن أضع تفسيرًا للقرآن الكريم ، واضح العبارة ، داني المجتنى ، مقتصرًا على ما لابدّ منه تفسيره من الآيات والمفردات ، يُستغنى به عن

(١) انظر ما ذكر في سبب نزول قوله تعالى : (ومنهم من يلمزك في الصدقات) [التوبة ٩/ ٥٨] حيث ذكر أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب ، والصحيح أنه ذو الخويصرة التميمي (إيجاز البيان ١ / ٣٨١).

(٢) إيجاز البيان ١ / ٩٧ وانظر نماذج أخرى لتلك الأقوال في ١ / ١٣ ، و٢ / ٦٧٨ .

(٣) انظر على سبيل المثال : ١ / ٣٥٦ و٤٧٩ ، و٢ / ٧٧٢ .

استيعاب المطولات ، كما يُستغنى به عن المختصرات التى يدقّ على الأذهان فهمها ، وتنبو عنها إشارتها "[1] .

كما أشار فى عبارات عجلى إلى مدخلٍ للمنهج الذى اتبعه فى التصنيف ، فقال : " وبدأت بشرح مفردات القرآن شرحًا وافيًا ، على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم اللغوية ، يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التى انتظمت هذه المفردات ، ولدى إعادة النظر فيه ، وجدت الحاجة ماسّة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذى قصدت وإن لم تشتمل على غريب القرآن ، فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به ، واكتمل من الجميع هذا التفسير الذى سميته : (صفوة البيان لمعانى القرآن) [2] .

أي أن تصنيف الكتاب مرّ بمرحلتين ، إحداهما : كان الاقتصار فيها على مفردات القرآن، أو الغريب فقط ، والثانية : حين تعرّض لآيات أخرى ليس فيها شىءٌ من الغريب ، ولكنها فى حاجةٍ (كتركيب) إلى بيان وإيضاح .

أما المقدمة الثانية [3] ، فقد جعلها بمثابة المدخل – أو التمهيد – للموضوع ، وجعلها بعنوان : (مقدمة تشتمل على مسائل ينبغي معرفتها) وتناول فيها بعض المصطلحات المهمة بالشرح والتوضيح ، كالمكي والمدني والمحكم والمتشابه ، وأقسام القرآن ، بعد أن شرح معنى السورة وتسمية السور ، وترتيب الآيات ... الخ .

ثم شرع المصنف بعد ذلك فى موضوعه ، واضعًا الآيات القرآنية فى إطار خاص ، فى وسط الصفحة أو على أحد جانبيها ، بينما جاء بيانه لها ليملأ بقية الصفحة .

---

(١) صفوة البيان – المقدمة (هـ) .

(٢) صفوة البيان – المقدمة (و) .

(٣) انظر صفوة البيان من ص " ز " إلى ص " ك ".

وربما ظن ظانّ – ممن لم يـر الكتـاب – أنـه بهـذه الصـورة يكـون صـغير الحجم ، فأقول : كلاّ ، فإن الصفحات جاءت من القطع الكبير ، والخط دقيق ، وعدد الصفحات – سوى المقدمتين والخاتمة - ثمانمائة وخمس وثلاثون . وقد تناول جميع سور القران من الفاتحة للناس ، ولكنه كان ينتقى من الآيات ما يود التعرض له .

وأسماء السور عنده هى الأسماء التى اعتادها المتأخرون .

ولم يكن يقدم بين يدى السورة بمقدمة – كما يفعل بعضهم – بل كان يتَعرّض لألفاظها أو تراكيبها مباشرة ، وجاء تناوله – على النحو الذى وصفه – لا طويلاً مملاً ، ولا قصيرًا مُخلاً ، وهو يتعرض لأصل الكلمات واشتقاقها عند شرحه لمعناها ، ويكثر ذلك عنده بصورة لافتة ، حتى يكاد أن يكون كتابًا فى اشتقاق الكلمات القرآنية ، إلى جوار تعرضه لمعاني التراكيب وأسرار نظمها من الناحية اللغوية القحة . ومن أمثلة بحثه عن أصل الكلمة القرآنية واشتقاقها ما قاله فى آية ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ (النساء ٤/٧٢) حيث يقول " ليتأخرنّ ويتثاقلنّ عن الجهاد ، من بطّأ اللازم – بالتشديد – بمعنى أبطأ ؛ كعتّم بمعنى أعتم، إذا أبطأ أو ليُبَطِّئنّ غيره، أي يُجَبِّننّه ويُثبِّطنّه عن الجهاد، من بطّأ المتعدّى، بالتشديد"[1] .

وهو فى بحثه اللغوي هذا موفّقٌ كل التوفيق ، إذ يعود إلى المصادر ، وينقل عن أئمة اللغة كثيرًا ومن ذلك قوله : " قال الزجّاج : (وراء) يكون لخلف وقُدّام ومعناها : ما توارى عنك ، أي ما استتر عنك ، وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللغة "[2] .

وأمّا طريقته في شرح المعنى فهى المزاوجة بين طريقتى التعريف ، وذكر المرادف للكلمة المقصودة.

---

(١) صفوة البيان ١٢١ .

(٢) صفوة البيان ٣٨٥ وهناك أمثلة أخرى للنقل عن أهل اللغة ، انظر مثلا : ٨٩–٩٠، و٧٢.

فمن أمثلة الطريقة الأولى قوله : ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ ﴾ (الأنعام ٦/ ٧٠): "أي وذكّر الناس بالقرآن او الحساب مخافة أن تُسلَم نفسٌ إلى الهلاك، أو تُحبس، أو تُرتهن، أو تُفضح، أو تحرم الثواب بسبب كفرها وذنوبها ؛ من البَسْل بمعنى المنْع بالقهر ... ومنه : أسدٌ باسلٌ، لمنعه فريسته من الإفلات ، وشراب بسيلٌ ، أي متروك ، وهذا بسيلٌ عليك ، أى محرّم "[١].

وأما الطريقة الثانية – وهى ذكر مرادف الكلمة – فمنها قوله : ﴿ سُلْطَٰنًا ﴾ (آل عمران ٣/ ١٥١): حجة وبرهانًا "[٢].

والكتاب مليءٌ بالظواهر اللغوية ، ففيه أمثلة كثيرة للإبدال ، ومنها قوله : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف ١٢/ ٤٥) وأصله اذتكر – بوزن افتعل – من الذكر ، ودخله الإبدال "[٣].

وفيه أمثلة كثيرة جدًا للإدغام ، ومن ذلك قوله عن (بُكيا) : أصله بُكُوى ، فقلبت الواو ياءً وأُدغمت ، وحُرّكت الكاف بالكسر لمناسبة الياء "[٤] .

كما تعرّض للمُعرّب في بعض المواطن من كتابه ومن ذلك : (التنور) " ... وهو لفظ معرّب وقيل عربيّ ، والمشهور أنه مما اتفقت فيه اللغتان ، كالصابون "[٥] .

وهو يكثر من الاستشهاد بالقرآن والقراءات ، ومن ذلك قوله : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ﴾ (هود١١/ ٤٤) والقول في هذه الآية مجازٌ عن تعلّق القدرة بزوال الماء وبهلاكهم ، كما قيل فى قوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة ٢/ ١١٧)[٦] وهو في استشهاده بالقراءات ، لا يذكر أسماء أصحابها فى الغالب ، بل يشير إليها

---

(١) صفوة البيان ١٧٩ .
(٢) صفوة البيان ١٨١ .
(٣) صفوة البيان ٣٠٩ وانظر نماذج أخرى للإبدال : ٢٩٠ ، و٤٨٠ ،و ٨٩.
(٤) صفوة البيان ٣٩٤ ، وانظر أيضًا ص ٣٩٥ ففيها نماذج ثلاثة أخرى للإدغام .
(٥) صفوة البيان ٢٩١ .
(٦) النص في صفوة البيان ٢٩٢ .

بلفظ (وقُرئ) ، ومن ذلك : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ (هود ٢٨/١١)... يقال عُمّى عليه الأمر ؛ أي أُخفى عليه حتى صار هو بالنسبة إليه كالأعمى ، وقُرئ (عَميتْ) أي خفيت " [١] .

وأما استشهاده بالحديث المرفوع فكثير أيضًا ، ومن ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ (البقرة: ٢٨٠/٢) ، حيث يقول : " ... وفى الحديث الصحيح : (من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظلّه الله عز وجل في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله) [٢]".

ومن أمثلة ما أورده من أقوال الصحابة – وهو كثير جدًا – قول عائشة رضى الله عنها : (لو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا من القرآن لكتم هذه الآية : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ (الأحزاب: ٣٧/٣٣) [٣]"، ومن أمثلة ما أورده للتابعين قول سعيد بن جبير ﷺ : " كان الله قادرًا على خلق السماوات والأرض – أي وما بينهما – في لمحة ولحظة ، فخلقهن في ستة أيام تعليمًا لخلقه التثبت والتأني في الأمور " [٤] .

أما استشهاده الشعري فقليل جدًا، ومن ذلك ما أورده كشاهد نحوىٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ (الواقعة:١٠/٥٦)حيث يقول:" الجملة مبتدأ وخبر ؛ على حدّ :

أنا أبو النجمِ وشِعْري شِعْري " [٥]

أما استشهاده بالمأثورات النثرية من كلام العرب وأمثالها ، فأكثر من أن

(١) صفوة البيان ٢٩٠ . (٢) صفوة البيان ٦٩ .

(٣) النص في صفوة البيان ١٥٦ ، والحديث لعائشة فى صحيح البخاري [كتاب التوحيد] برقم ٦٨٧٠.

(٤) صفوة البيان ٢٠٧.

(٥) هذا بيت من مشطور الرجز لأبي النجم العجلي في ديوانه (د. سجيع جميل الجبيلي) ص ١٠٦ ، والنص في صفوة البيان ٦٩٣ .

يُحصر ومن ذلك قوله : " تقول العرب : جاء فلانٌ على قدرٍ ، إذا جاء لميقات الحاجة إليه "[1] .

مصادره

وأما مصادره ، فكثيرة ولكن أهمها : معانى القران للزجاج [2] والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني [3] وأما كتب التفسير فهو يعود كثيرًا للرازي وابن كثير[4] وأحيانًا للطبرى والقرطبى والألوسى والجلالين [5] .

وبالجملة ، فالكتاب من كتب معاني القرآن المهمة ، فهو يهتم باللغة كثيرًا ، وينقل عن أئمتها ، وطريقته فى التعامل مع الآيات الانتقاء لا الحصر ، وهو يعالج التراكيب لا المفردات فقط .

ولا يعيبه – إن كان ثمة عيب – سوى أمرين :

الأول : عدم ذكره لأصحاب القراءات ، وعدم تبيينه هل هي متواترة أو من قراءات الآحاد .

والثاني : ندرة استشهاده بالشعر ، ربما طلبًا للاختصار .

ولكنه – مع ذلك – كتاب عظيم النفع ، كتب بلغةٍ راقية رصينة ، وقدّم لنا نموذجًا فذًّا للتأليف في معاني القرآن في القرن المنصرم .

---

(١) صفوة البيان ٤٠١، وانظر أيضًا : ١٥٥ ، و٧٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال ص ١٦٠ ،و ٣٨٥ .

(٣) وانظر على سبيل المثال ص ٢٠٧ ، ١٨٠ ، ٧٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال : ٤٥٢ ، ٢٠٨ ، ١١٥ ، ٥٨

(٥) انظر على سبيل المثال : ١٣ ، ١٧٠ ، و١٣٩، ١١٠ ، ٩٤ ، ٨٣ .

الفَصْلُ الثَّانِي

كتبٌ

تجمع بين المعاني وغيرها

مرّ بنا – فيما سبق – بعض الكتب التي التزم مؤلفوها شروط المعنى الاصطلاحي ، فجاءت كتبهم صافية للمعاني ، لا يكاد يخالطها شيء – اللهمّ إلاّ الإعراب – وقد بيّنت أنه من أساس التصنيف فى المعانى .

لكنّ هناك بعض الكتب الأخرى التي تُعدّ من كتب المعانى لانطباق الشروط عليها ، جمع أصحابها بين معاني القرآن ، وموضوعات أخرى فى مصنفاتهم .

ولعلّ من أهم تلك الموضوعات :

(١) الجمع بين المعانى والقراءات

ويمثل ذلك النوع من التأليف أربعة كتب هي :

الأول : معانى القراءات لأبى منصور الأزهري .

الثانى : الكشف فى نكت المعانى والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة لجامع العلوم النحوى .

الثالث : مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني

الرابع : المختار في قراءات أهل الأمصار لابن إدريس

(٢) الجمع بين المعانى والمشكل

ولم يصل إلينا من ذلك النوع إلاّ كتابٌ ، واحد وهو :

باهر البرهان فى معنى مشكلات القرآن لبيان الحق النيسابورى .

(٣) الجمع بين المعانى وعلوم التفسير .

ويمثلها كتاب واحد أيضا ، وهو :

لوامع البرهان وقواطع البيان فى معانى القرآن للمعينى .

وسأتناول تلك الكتب التى جمعت بين معانى القرآن وهذه الموضوعات فى هذا الفصل بإذن الله .

(١) الجمع بين المعانى والقراءات

أ- معانى القراءات

لأبى منصور الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)

تأتى أهمية هذا الكتاب من المكانة الكبرى لصاحبه أبى منصور الأزهرى صاحب الكتاب الشهير (**تهذيب اللغة**) ، وأحد أعلام العربية الكبار الثقات ، والذى عاش حينًا من الدهر مع الأعراب فى البادية ، وأخذ عنهم ، وتتلمذ لكثير من أساتذة اللغة المشهورين بغزارة العلم وسعة الاطلاع ، كالزجاج وابن دريد ونفطويه والمنذرى وغيرهم .

وقد بدأ كتابه بمقدمة ذكر فى مطلعها - بعد الثناء والحمد على الله - الفرق بين القرآن وغيره من الكتب السابقة عليه ، وأشار إلى سهولة حفظه فقال : " ومن عجيب تيسير الله القرآن إجراؤه بحفظه من لم ينزل بلسانه ، ومن لا يفهم معانيه ، كما يحفظ من نزل بلسانه ، ويفهم تأويله ، ويحفظ الأمىّ الذى لا يكتب ، ولا يتلو الكتب ، والقارئ الريّض ، والصغير والكبير ، والمعرب والفصيح والألْكن "[١] . أما سبب تأليفه لهذا الكتاب ، فلا نكاد نجد له ذكرًا ، ويبدو أن الخرم الذى بالمخطوطة - والذى يبدأ من بعد كلمة (والألْكن) السابقة - هو المسئول عن حرماننا من هذا . وتتضمن المقدمة ذكرًا لأسانيد أبى منصور الأزهرى فى القراءات بالتفصيل ، فهو يذكر أسانيد قراءة ابن كثير ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وأبى عمرو بن العلاء ، وابن عامر ، بالإضافة إلى نافع الذى يأتى على رأس القراء ، ولكن الخرم الذى أشرت إليه منعنا من معرفة أسانيد قراءة أبى منصور إلى هذا الإمام الكبير.

والمتأمل فى سند القراءة فى الكتاب سيكتشف أن السند الذى ذكره

---

(١) معاني القراءات ١/٩٢ .

أبو منصور الأزهرى ، هو سند ابن مجاهد إلى هؤلاء القراء السبعة [١] ، بما يعنى أن كتاب (السبعة فى القراءات) لأبى بكر بن مجاهد – الذى عاصر أبا منصور اثنتين وأربعين سنة – هو المصدر الأول الذى نقل عنه الأزهرى في (معاني القراءات) .

وإن كان لأبى منصور روافد أخرى ، بدليل ما جاء فى كتابه من قراءة أبى جعفر ، ويعقوب من غير السبعة ، ولكنه لم يذكر شيئًا عن القارئ العاشر (خلف) ، ولا ندرى لماذا ؟

أما الكتاب فيدور حول عنصرين اثنين ، هما : القراءات ، وتوجيهها اللغوي .

ويبدأ تناول السور عنده بذكر اسم السورة أولاً ، وكثيرًا ما يذكر للسور أسماء غير شائعة فى زماننا هذا ، وإن كانت واردة عند غيره من القدماء ، فهو يُسمى سورة الإسراء (بنى اسرائيل) ، وفاطر (الملائكة) ، وغافر (المؤمن) ، والجاثية (الشريعة) ، والنصر (الفتح) [٢] ... الخ .

وهو يسير وفق الترتيب المصحفى المعتاد ، ولا يتعرض إلا للآيات التي اختلفوا فى قراءة كلمة أو كلمات منها .

وهو يعرض النص المختلف فيه أولاً ، ثم يذكر قراءة القلّة غالبًا ، ثم يُعقبها بقراءة الباقين ثم يُتبع ذلك بذكر التوجيه اللغوى للقراءتين أو القراءات التي أوردها .

وقد اعتنى بالقراء السبعة اعتناءً كبيرًا ، إذ يذكر قراءاتهم فى كل موضع ، بينما لا يذكر اسم خلف مطلقًا ، ويقل ذكره ليعقوب الحضرمي

---

(١) انظر أدلة ذلك في المقدمة التي قدم بها المحققان للكتاب .

(٢) قال المحققان تعليقًا على هذه التسمية : " لم نجد هذه التسمية فيما راجعنا من كتب " انظر معاني القراءات ١/ ٦١ .

وأبى جعفر .

وطريقة عرض الأزهري لمادة كتابه مريحة لنفس القارئ ، لأنه عرض متتابع مألوف وميسور على القارئ غير المتخصص فى علمي القراءات واللغة .

ولحرصه على إفهام القارئ ، وإزالة اللبس لديه ؛ كان يضبط بعض القراءات بذكر بعض الكلمات الأخرى على وزنها كقوله : " لرءوف " بوزن : رعُوف ، فى كل القرآن ، ... و(لرؤف) بوزن رعُف [١] "

وقوله أيضًا : " .. وأما من قرأ : " ونأى بجانبه " فإنه أراد (ناءَ) فقلبه ، كما يقال : (رأى) ، بوزن (رعى) و(راء) بوزن (راعَ) [٢] .

ومع ذلك فإننا كنا نجد في كتابه بعض العبارات المُلْبسة ، ولكنها قليلة ، مثل قوله فى ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران ٣/١) " ومن اسم الله مقطوعة " [٣] فهى تحتمل أن ألف (الله) همزة قطع ، وتحتمل الوقف على (آلم) وعدم وصلها بكلمة (الله) .

وقوله : " المعنى : قلوبنا أوعية للعلم ، فما بالها لا تفهم عنك . قال اليهود " [٤] فعبارة (قال اليهود) كان الأولى أن تقع بعد كلمة (المعنى) .

وقوله : " رواه عاصم لأبى بكر [٥] " .

والصواب أن أبا بكر هو الذى يروى عن عاصم لا العكس .

وهو في طريقة شرحه للمعنى اللغوى – فى أثناء توجيهه للقراءة – يستخدم طريقة التعريف فيسهب – فى اقتدار وتمكن – في شرح المعنى بناءً على القراءة التى يذكرها ، ثم يرجح بين القراءات ويختار أقربها للغة ،

---

(١) معاني القراءات ١/١٨١ .
(٢) معاني القراءات ٢/٩٩ .
(٣) معاني القراءات ١/٢٤١ .
(٤) معاني القراءات ١ / ١٦٥.
(٥) معاني القراءات ١/١٨٠ .

وللسياق المراد ، كما قال فى قوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (آل عمران : ٣/ ٢١) . من قرأ " يقتلون " فمعناه : أنهم يقتلون الذين لا يقاتلونهم ، ومن قرأ " يقاتلون " فمعناه : أنهم يقاتلون الذين يخالفونهم فى كفرهم ، والمقاتلة من اثنين ، والقتل من واحد ، والاختيار (يقاتلون) بالألف ، لأن المعنى: أنهم يقتلون من غلبوه ممن لا يوافقهم على كفرهم[١] " .

وهو يذكر اشتقاق اللفظ أحيانًا : ففى قوله تعالى: ﴿ عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴾ (النازعات ٧٩/١١) يقول الأزهري : " من قرأ (نخرة) فهو من نَخِرَ العَظْمُ ينخَرُ فهو نَخِر ، إذا رمَّ وبَلِيَ ، مثل : عفِنَ فهو عَفِنٌ ، ومن قرأ (ناخرة) فمعناها : العظام الفارغة ، تقع فيها الرياح إذا هبّت ، فَتَسْمع لهبوب الريح فيها كالنخير . وقد يجوز أن يكون (ناخرة) و(نخرة) بمعنى واحد ، كما يقال : بَليَت العظام ، فهى بالية . وأختار (ناخرة) لأنها تضاهى (حافرة) ،(ساهرة) في رءوس الآي[٢] " .

ولأن أبا منصور لغوى كبير : فإن كتابه زاخر بالحديث عن الظواهر اللغوية ، كالاشتقاق ، كما فى المثال السابق ، والإدغام[٣] ، والترادف[٤] ، والإبدال[٥] ، كما أنه يتحدث كثيرًا عن اللغات الواردة فى الكلمة التى يتناولها[٦] ، وان كان لا ينسبها .

وأما الاستشهاد عنده فكثير ، وأول ذلك استشهاده بالقراءات ، وهذا شيءٌ بدهيٌّ ؛ لأن الكتاب صنّف لبيان معانى القراءات ، وتوجيهها لغويًّا . والأصل في

---

(١) معاني القراءات ١/٢٤٦ . (٢) معاني القراءات ٣/١١٩ .

(٣) انظر معاني القراءات ٢/٢٢٣ ، ٣/١٣٠ ، ١٣٢ .

(٤) انظر معاني القراءات ٣/ ١٣١ ، ٥٩ . (٥) انظر معاني القراءات ٢/١٦٥

(٦) انظر معاني القراءات ١/٣٠٨ و٢/٢٤٩ ، ٩١ و١/٢٣١ ، ٢٦٩

كتابه الاستشهاد بالقراءات السبع ، ولكن نادرًا ما يستشهد بالقراءات الشاذة ، وإن كان لا يؤيدها في الغالب ، بل كان يرفض القراءة إذا جاءت مخالفةً لرسم المصحف ولو قرأ بها أحد السبعة وأما استشهاده بالآثار فقليله إلى حدٍ ما ، وهو حين يستشهد بالحديث لا يذكر سنده ، ودرجته من الصحة والضعف ، كمثل قوله : " ومن قرأ ﴿لَا يُعَذَّبُ﴾[1] (الفجر ٢٥/٨٩) فمعناها ما جاء في الحديث: (أشد الناس عذابًا من قتل نبيًّا أو قتله نبي) قال فيومئذٍ لا يُعذّب بعذاب هذا أحد في الدنيا[2] وأكثرا استشهاداته بآثار الصحابة ، وبخاصة ابن عباس ، سواء كان الاستشهاد في القراءات أو في اللغة ومن أمثلة ذلك قوله : " عن ابن عباس ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ (الأنبياء ١٠٤/٢١) قال: السجل : رجل ، وقيل: كاتب للنبي ﷺ "[3]. ونادرًا ما ينقل عن التابعين مثل ، سعيد بن المسيب والسُّدي ، كمثل :" وقال السُّدي : السجل : ملك"[4].

وفي كثير من الأحيان إذا أراد نقل أقوال الصحابة أو التابعين يقول: (جاء في التفسير) أو (وفي التفسير)، وهو يعني به المأثور[5] .

وأما استشهاده بالشعر ، فلا بأس به ، فهو ليس مكثرًا وليس مقلاً ، بل بين بين ، فقد ورد في كتابه ثلاثة عشر ومائة شاهد شعري .

وقد تعددت أغراضه من الاستشهاد بالشعر، فتارةً يأتي به لبيان المعنى اللغوي الذي اختاره، كما جاء في قوله : " ويقال : أَمِر بنو فلان يأمُرُون ، إذا كثروا ، ومنه قول لبيد : [المنسرح].

---

(١) قرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال المشددة والباقون بكسرها ، انظر الإتحاف ٥٨٤ .

(٢) معاني القراءات ٣ / ١٤٦ وانظر أيضًا ٢ / ٩٠ .

(٣) معاني القراءات ١٧٣/٢.

(٤) معاني القراءات ١٧٣/٢. وانظر ٣٣٧/١.

(٥) انظر معاني القراءات ٣/٢، ٨١/١٧٣ .

إن يُغْبطُـوا يُهْبَطُـوا وإن أَمِـروا يومًا يصيروا للهُلْكِ والنّكـدِ [1]

وتارة يستشهد بالشعر على الفروق اللغوية ، أو على الترادف بين كلمتين ، ومن أمثلة ذلك قوله : " وبين الشاعر أن الميّت والميْت واحد ، فقال (الخفيف) .

ليسَ منْ مات فاستراحَ بميْتٍ إنما الميْتُ ميّتُ الأحياءِ [2]

و أحيانًا يجيء الشاهد ليؤكد رأيًا نحويًا أو صرفيًا ، كقوله في قول الله تعالى : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ (الحجر : ١٥/٥٤)... ومن خفّف النون ، فإنه يحذف إحدى النونين لثقلهما ، كما قال عمرو بن معدي كرب [3] : (الوافر)

رأَتْـهُ كالثُغَـام يُعَـلُّ مِسْـكًا يَسُـوءُ الغالياتِ إذا فَلَيْنِي [4]

أراد : فلينني ، فحذف إحدى النونين " [5] .

كما يكثر الأزهري من الاستشهاد بأمثال العرب وأقوالهم المأثورة، ومن أمثلة ذلك قوله: " والعرب تقول : فلانة لا تردّ يد لامِسٍ ، أي : لا ترد عن نفسها من أراد غشيانها " [6] .

---

(١) معاني القراءات٢/٩٠. (٢) معاني القراءات١/٢٤٩.

(٣) هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فارسٌ من فرسان العرب المشهورين ، أدرك الإسلام فأسلم ، ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقُتل في فتح نهاوند ، له ترجمة في معجم الشعراء للمرزباني ١٥ – ١٧ ، ومن اسمه عمرو من الشعراء ١٤٠ والشعر والشعراء ٣٧٢ وما بعدها .

(٤) البيت في ديوانه ق ٦٦ / ٢ ص ١٨٠ ، ورواية الديوان : (رأته كالثغام ...) وهو من الشواهد النحوية المعروفة ، انظر الكتاب ٣ / ٥٢٠ ، وابن يعيش ٣ / ٩١ والهمع ١ / ٩٥ والخزانة ٢ / ٤٤٥ .

(٥) معاني القراءات ٢ / ٧٠ .

(٦) معاني القراءات١/٣١٠ وانظر ١/٤٦٥ وانظر ٢/١٩٣.

أما **مصادر الكتاب** فتنقسم قسمين : الأول مصادره في القراءات ، والثانى مصادره اللغوية فى توجيه تلك القراءات.

أما **مصادره فى القراءات** فيأتي على رأسها كتاب السبعة لابن مجاهد ، وإن كان الخرم الذى أشرت إليه قد وقف سدًّا دون التأكد من أن الأزهري ذكره صراحة كمصدر أم لا . ولكننا على الرغم من ذلك لا نشك لحظة أن اعتماده الأكبر كان عليه .

وذلك لأن السند الذي ذكره الأزهري هو نفسه سند ابن مجاهد فى السبعة ، وهذا أمر منطقي يتفق مع كونه لم يُعرف قارئًا ولا مقرئًا ، وإن كان لغويًا قديرًا ثبتًا .

ولسنا في حاجة لذكر أمثلة لإفادات الأزهري من كتاب السبعة ، فكل القراءات التي ذكرها - فيما يخص السبعة - مأخوذة منه تقريبًا [1] .

وهذا لا يمنع من وجود مصادر قليلة أخرى استقى منها ما يتعلق بقراءة أبى جعفر ويعقوب ولكنه لم يذكرها !

وأما **مصادره فيما يتعلق بالتوجيه اللغوى للقراءات** ، وهو العنصر الثانى لكتابه ، فإنه أفاد من مجموعة كبيرة من المصادر فى معانى القرآن بصفةٍ خاصة .

فهو يكثر - بطريقة لافتة - من النقل عن معانى الفراء ، ومعانى الزجاج ، تارة بالتصريح باسميهما ، وتارةً من غير تصريح .

فمن أمثلة ما صرّح به قوله : " ..عن الفراء أنه قال فى قول الله جلّ ثناؤه: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة ٧/١) بخفض غير ؛ لأنها نعتٌ

---

(١) انظر مقدمة تحقيق معاني القراءات ١/٧٦.

للذين ،لا للهاء والميم من (عَلَيْهِمْ)..." [١] ولو أكملت نقل النص كله عن الفراء لا ستغرق ذلك عشرة أسطر تقريبًا ، بما يعني أن الأزهري كان ينقل نقولاً طويلة عنهما أحيانًا . بل إن النقل عن أحدهما قد يكون متتابعًا — أحيانا — فما إن ينتهي من نقل حتى يبدأ غيره [٢] ومن أمثله النقل من غير تصريح ما فعله في توجيه قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ (البقرة ٧٨/٢) حيث ذكر رأي ثعلب ثم قال : "...وقال غيره : تكون الأماني أيضًا جمع الأمنية ، وهى التلاوة..." [٣] وفي معاني الزجاج كلام قريب من هذا .

أما نقله عن غير الفراء والزجاج فأكثره عن المنذرى عن ثعلب ، ولم يصل إلينا كتاب كل منهما فى معانى القرآن [٤] . ويليه نقله عن أبى عبيد القاسم بن سلام صاحب (**معانى القرآن**) المفقود أيضًا [٥] كما أن له إفادات أخرى من مصادر معروفة وموجودة ، فهو ينقل عن أبى عبيدة من كتابه (**مجاز القرآن**) وإن لم يصرح باسم كتابه [٦] ، وعن الأخفش من معانيه وهو مطبوع [٧] أما أكثر الروايات الأخرى في كتابه فعن الأخفش الكبير، والخليل ، وابن شميل ، وسيبويه ، ويونس ، والأصمعي ، وأبي زيد ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبى إسحاق النحوي ، والكسائى ، وابن الأنباري ، وابن اليزيدى ، وابن السكيت ،

---

(١) معاني القراءات ١١٦/١ وانظر أمثله أخرى لذلك في : ١٢٥/١، ١٢٢، ١٤٥.

(٢) انظر معاني القراءات ١ / ٢٤٢ — ٢٤٣ ، ٣٦٩ .

(٣) معاني القراءات١/١٥٩ ، وانظر معانى القُرآن للزجاج١/١٥٩.

(٤) انظر معاني القراءات على سبيل المثال١/٢،١٢٤،١١٩،١١٧،١١٦،١٠٩/١٠٨،١٧٩

(٥) انظر معاني القراءات على سبيل المثـال ١/١٠٤ ، ٣٠٢ ، ٤٣٠ و٢/٤٩، ٨٣، ١٢١ و٣/٨٩ ، ٩٧ .

(٦) انظر معاني القراءات على سبيل المثال ١/٢٥٧ ، ٣٢١، ٣٨٦ — ٣٨٩ و٢/٨٥ ، ٩٠ .

(٧) انظر معاني القراءات على سبيل المثال١/٢٤٢،١٣١،١٢٤ و ٢ /٣،١٤٢،١٣٨/١١٥ .

والمبرد [١] . ولكن نقوله عن هؤلاء ترد – فى الغالب – في ثنايا نقوله عن الزجاج والفراء والمنذرى .

والأزهري حين ينقل عن غيره . فإنما ينقل ما يقع من نفسه موقع القبول والرضا ، إلاّ في أحيان قليلة ، كان يرجّح فيها بعض الآراء التى نقلها على بعض ، ومن آمثلة ذلك قوله :

" وهذا القول أحسن من قول الفراء .." [٢] ، وهو يرجح بأدب جمّ ، إلاّ مرّةً واحدة في كتابه كله حين قال عن ابن دريد فى المرة الوحيدة التى ذكره فيها : " ولا يعرج على رواية ابن دريد ، فإنه غير ثقة ... " [٣] وهو متأثر في ذلك بشيخه (نفطويه) ، وقصته مع ابن دريد أشهر من أن تذكر . وقد قالوا قديمًا : المعاصرة حجاب !

وفي الجملة فإن مزايا هذا الكتاب كثيرة ، لعل من أهمها :

١ - عمقه ودقته في عرض المسائل اللغوية والنحوية .

٢ - كثرة مصادره ، وبخاصة فى معانى القرآن ومناقشته للعلماء ، وبروز شخصيته المستقلة .

٣ - حفظه لكثيرٍ من النصوص عن كتب مفقودة فى المعانى ، مثل معانى القرآن لثعلب وابن الأنبارى وأبى عبيد .

٤ - سهولة أسلوبه – مع عمق فكرته – وحرصه على إفهام القارئ بكل

---

(١) وسأكتفي بذكر مثال واحد لكل واحد من هؤلاء على الترتيب ، انظر معاني القراءات ١٥٠/٢ و١/٤٤٠-٤٤١ و٣٠٣/١.

(٢) انظر معاني القراءات ٢ / ٢٠٨ وانظر ترجيحه في موضع آخر لرأي الفراء على المبرد ١ / ٢٦١ وانظر رده على السجستاني ٢ / ١٠٨ و٣ / ٣١٣ .

(٣) معاني القراءات ١ / ١٣٤ .

الوسائل الممكنة .

٥ - تنوّع استشهاده ما بين مأثور وشعر وأمثال .

٦ - لم يثقل الأزهري كتابه بما يسمّى عند أهل القراءات بالفرش ، وهى تطبيق تلك القواعد العامة التى تطلق على نظائر متعددة واردة فى كثير من آيات القرآن الكريم . حرصًا على التيسير .

٧ - لم يستخدم مصطلحات عويصة ، كمسألة الإسناد إلى الكوفيين أو المدنيين ، ولم يستخدم رموزًا تدل على أصحاب القراءة كما فعل غيره . ولذا فان الكتاب يفهمه المتخصص وغير المتخصص .

٨ - لم يستطرد الأزهري في أثناء توجيهه للقراءة ، ولم يفعل كغيره ، مثل الأخفش وابن مجاهد والقيسي الذين كانوا يعقدون فصولا - لأدنى ملابسة - لها صلة ، أو ليست لها صلة بالآية التى هم بصددها ؛ فيتعقد الأمر فى ذهن القارئ ، وبخاصة غير المتخصص .

ومع هذه المزايا فإن الأمر لم يخل من بعض العيوب ، ومن أهمها :

١ - خلو الكتاب من ذكر القارئ خلف العاشر ، وهو أحد العشرة المعروفين ، من غير أن يذكر سببًا لذلك ، فالكتاب لم يقتصر على السبعة ، ولم يكمل العشرة ، بلا سبب مفهوم .

٢ - مخالفته الترتيب المصحفي في بعض الآيات الكريمات ، بلا سبب واضح يستدعى ذلك .

٣ - عدم ذكره لسند الأحاديث التي يذكرها في الغالب .

٤ - وجود بعض العبارات الملبسة في أحيان قليلة كما ذكرنا من قبل .

وفي النهاية أقول إن هذا الكتاب الممتع المفيد إضافة مهمة لتراث معانى القرآن وكنز لغوى كبير ؛ لأنه يصدر عن عالم ثقة ، وحجّة في اللغة والنحو .

والشيء من معدنه لا يستغربُ .

بـ الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة

لجامع العلوم النحوي (ت ٥٤٣ هـ)

للجامع النحوي كتابان في القرآن الكريم ، الأول في الإعراب ،والثاني في المعاني والإعراب وعلل القراءات ، وهو بذلك من القلائل الذين وصل إلينا لهم كتابان أحدهما في الإعراب والثاني في المعاني ، ولكني أحسب أنه نُكب — وهو في حياته البرزخية — في كتابيه معًا !

إذْ طُبع كتابه الأول منسوبًا للزجّاج ، حينًا من الدهر ، حتى قيّض الله له محققًا قديرًا أعاد الأمر إلى نصابه ، وضم شمل الجامع النحوي إلى كتابه [1] .

وطبع كتابه الثاني بغير العنوان الذي اختاره له ، فسماه المحقق : " كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات " مع أن النسخة القُدمى التي قرئت على الجامع النحوي نفسه بهذا العنوان كما أثبتّه أعلى .

أضف إلى هذا أنه نكب نكبة ثالثةً حين خمد اسمه بين المتأخرين ، فجهلوا قدره بين عظماء عصره ومن بعدهم ، ولعلّ السبب في هذه النكبة الأخيرة يعود إلى عدم ظهور كتبه إلى عالم النشر إلا حديثًا جدًا ، ولكن العلم وسدنته يعرفون فضله ومكانته قديمًا وحديثًا ، فلعله يطمئن في مضجعه الآن — برد الله مضجعه — بعد أن استبانت الأمور ، وانكشف المستور .

---

(١) هو العلامة المحقق أحمد راتب النفاخ ، وانظر رسالته للعلامة الطناحي في هذا الموضـــوع في كتاب (مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي) ١ / ٣٤ .

منهـج الكتاب :

يبدأ الكتاب – كسائر كتب المعاني – بتناول لفظة (الله) من بسم الله الرحمن الرحيم من حيث أصواتها واشتقاقها . ومعناها [1] ثم ينتقل إلى سورة (الفاتحة) ،منتقيًا ما يود الوقوف عنده ، ثم (البقرة) وهكذا إلى سورة (الناس) ، أي إنه لا يكاد يختلف في طريقة ترتيبه للكتاب عن غيره من أهل المعاني ، غير أنه كان يذكر أسماء السور إلى سورة البروج ، ثم عدل عن ذلك ووضع عنوانًا لبقية السور ، وهو (بقيّة المفصل) [2] وأضرب عن ذكر أسمائها .

وقد جاء الكتاب مُحَقّقًا لعنوان الكتاب – الذي ارتضيته – تمامًا ، حيث انصب اهتمامه على المعاني والإعراب والقراءات ، مع حديث موجز عن بعض الظواهر الصوتية أحيانًا .

حديثـه عن المعاني :

لا يتبع جامع العلوم أسلوبًا واحدًا في حديثه عن معاني القرآن في كتابه ؛ فأحيانًا يوجز في شرح المعنى حتى يكتفي بذكر المرادف ، وأحيانًا يسهب في ذكر الاحتمالات المتعددة للمعنى ، كما فعل عند قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٢/ ٤٩) حيث يقول : " يجوز أن يكون التقدير : وفي ذبح الأبناء بلاء، أي : نقمة ، ويجوز أن يكون التقدير : وفي إنجائنا إياكم من آل فرعون بلاء ، أي : نعمة " ،ومن ذلك قوله : " قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ (البقرة ٢/٤٨) المعنى : اتقوا عقاب يوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئًا ، فحذف (عقابًا) وهو المضاف ، وأقام (يومًا) مقامه ، فانتصاب (يوم) على أنه مفعول به ، وليس انتصابه على الظرف ؛ لأن

---

(١) انظر الكشف ١ / ١٦٥ – ١٦٧ .   (٢) الكشف ٢ / ٤١٥

ذلك يوجب تكليفهم يوم القيامة ، ويصير المعنى : اتقوا في ذلك ،وليس المعنى كذا ، إنما المعنى : اتقوا عقابه في الدنيا [1] ، ومثله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ (مريم ١٩/٣٩) أي :أنذرهم عقاب يوم الحسرة ، وليس المعنى : أنذرهم في يوم الحسرة "[2]

بل إنه ليستقصي معنى الكلمة أحيانًا في القرآن الكريم كله ، كما فعل مع (لما) في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ (البقرة ٢/٣٣) حيث قال : أي : حين أنبأهم بأسمائهم. و(لما) تجيء في التنزيل على ثلاثة معان : أحدها : بمعنى : (حين) ،وهي إذا دخلت على الفعل الماضي كقوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ (الأعراف ٧/١٤٣)... والوجه الثاني أن تأتي (لما) بمعنى (لم) وهي إذا دخلت على الفعل المستقبل ، كقوله ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾ (البقرة ٢/٢١٤) .... والوجه الثالث : أن تأتي (لما) بمعنى (إلاّ) قال الله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (الطارق ٨٦/٤) ...."

وكذلك فعل مع (إن) حيث ذكر لها أربعة معان ، ثم قال : " فهذه أربعة أقسام من أقسام إن " [3] .

وقد كان ينقل عن سابقيه من أصحاب كتب المعاني ، ويستخدم هذا المصطلح (أصحاب المعاني)؛ كما قال في أحد المواضع : " فهذان قولان قالهما أصحاب المعاني " [4] .

---

(١) هذا المعنى يكاد يكون بنصه في (البيان في غريب إعراب القرآن) لابن الأنباري ١/٨٠ دون إشارة لمصدره ، كعادته مع الكشف .

(٢) الكشف ١ / ١٩٠ .

(٣) الكشف ١ / ٢٤٢ .

(٤) الكشف ١٨٣ .

الإعــراب :

سار جامع العلوم على طريقة الفارسيّ في الاهتمام بالإعراب من جهة ، وفي القياس وحمل النظير على النظير من جهة أخرى ، ولكن باختصار وإيجاز .. وهو يشبه الفارسيّ أيضًا من جهة أنهما معًا بصريان يُجلاّن سيبويه أيّما إجلال ، ولذلك تكثر المصطلحات البصرية في الكشف ، مع بعض مصطلحات كوفية قليلة تارة ، وبعض مصطلحات خاصة به تارة أخرى .[1]

ومن آرائه النحوية التي تظهر في إعرابه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ ﴾ (يوسف ٣٥/١٢) حيث يقول : " (بدا) ها هنا فعل ، وفاعله مصدر مضمر ، على تقدير : ثم بدا لهم بداء ، وقد أظهره الشاعر في قوله [الطويل]

لعلّك والموعـودُ حـقٌ لقـاؤه بدا لك من تلك القلوص بداء [2]

ولا يكون قوله ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ ﴾ (يوسف ٣٥/١٢) في موضع الفاعل ؛ لأن الجمل نكرات ، ولا تكون فاعلات... " [3]

إبراز المعاني القرآنية :

وذلك كقوله : " قوله تعالى : ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (النساء ٢٥/٤) أي : في الولادة والنسل ،وهذه اللفظة تستعمل في هذا المعنى ، وتستعمل أيضًا في معنى الولاية والمودة كقوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (التوبة ٦٧/٩) أي :بعضهم يوالي بعضًا ، ألا تراه قال في وصف

(١) انظر الكشف ١ / ١٠٢ – ١٠٩

(٢) البيت لمحمد بن بشير في الخزانة ٢١٥/٩ برواية (في تلك) ، وكذلك في الخصائص ٣٤١/١ بغير نسبة.

(٣) الكشف ١ / ٥٤٦ ،وانظر مناقشة البغدادي لهذا الرأي في الخزانة ٩ / ٢١٣ .

المؤمنين : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة ٩/٧١)

وقال النابغة [(١)] : [الوافر]

إذا حاولْتَ في أَسـدٍ فجـورًا ... فإنّي لسْتُ منكَ ولستَ منّـي [(٢)]

الاستشهاد على الظواهر الصوتية :

وذلك كقوله [(٣)] " .... وبيان تغييرهم الكلمة في الوقف أنك تقول : هذا عمرو ، سررت بعمرو ، ورأيت عمرًا ، فتبدل من التنوين في النصب ألفًا ، وتحذفها في الرفع والجر، ومنهم من يقول : هذا عمرو ، مررت بعمرو ، فينقل الضمة والكسرة من الراء إلى الميم ،وقال الشاعر : [الرجز]

أنا ابن ماويَّة إذْ جَدَّ النقُرْ [(٤)]

يريد النقْر "

مصادر الكشف :

المتتبع لما كتبه الجامع في الكشف يجد أن مصدره الأول **كتاب سيبويه** ، فقد أسلفت أنه كان يُجلّه ، ويُكثر النقول عنه ، وإن كان الجامع ينقل عنه **بالمعنى لا اللفظ** في غالب الأحيان لأنه كان بصيرًا ، فكان يكتب من حفظه **لا من النقل عن الورق** ، فربما سها أو نسي شيئًا ، يبعد به عن نص سيبويه قليلاً أو كثيرًا ، وليس عليه في ذلك حرج ! والأمثلة أكثر من أن تحصر [(٥)] .

---

(١) النابغة شاعر فحل من شعراء الجاهلية ، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ١ / ١٥٧ ، والبيت في ديوانه (أبو الفضل إبراهيم) مما لم يروه الأصمعي ق ٢٣ / ١٤ ص ١٢٧ ، وهو له في الكتاب ٤ /١٨٧ ، ونصه : (ولستَ منِّ).

(٢) الكشف ١ / ٣٧٩ . (٣) الكشف ١ / ١٨١ .

(٤) البيت لبعض السعديين في الكتاب ٤ / ١٧٣ ، ولم يعزه صاحب الصحاح لأحد في هذا الموضع (نقر) ٢/٨٣٥ على خلاف ما زعم محقق الكشف ،وانظر الخلاف في نسبته في هامش (الكتاب) في الموضع السابق.

(٥) انظر مثلاً الكشف ١ / ١٧٢ و١٨٣ و١٩١ و٣١١ و٣٤٩ ،و٢/ ١٤ و٢٧ و٣٧ =

أما المصدر الثاني للكشف فهو أبو علي الفارسي ، إذ اعتمد عليه الجامع في كثير من المواطن ، فضلاً عن تأثره بأسلوبه ، وطريقة عرض مادته ، وقد أدّى به ولعه بالفارسيّ إلى أن يذكر سبعة كتب له في الكشف ، هي :

١ – الحجة [١]
٢ – التذكرة [٢]
٣ – البغداديات [٣]
٤ – الإغفال [٤]
٥ – الحلبيات [٥]
٦ – التكملة [٦]
٧ – الإيضاح [٧]

بل إن الجامع قد أفرد كتابًا للرد على الفارسي –مع تقديره الشديد لمجمل آرائه – أسماه : " المسائل التي على أبي علي " [٨]

وأما بقية المصادر لديه فليست في أهمية سيبويه والفارسي ،إذ هو كثيرًا ما يرد على غيرهما كما فعل مع الكسائي [٩] والفراء [١٠] ، بحكم كونه بصريًا ، ولا يذكر كتابيهما في المعاني ، ربما تقليلاً لشأنهما .

أما البصريون فكان يأخذ منهم ويترك ، ولا يتحرج من الرد عليهم أيضًا في بعض الأحيان ، فقد نقد الخليل [١١] والأخفش [١٢] مما يدل على استقلال شخصيته العلمية .

ويبقى بعد ذلك بعض المصادر التي لم يذكرها إلا قليلاً ، كابن جرير

= و٤٤ و٧٩ و٩٩ و١١٣.

(١) الكشف ٢ / ٢٩ . (٢) الكشف ٢ / ٢٩ . (٣) الكشف ٢ / ١٦٥ .

(٤) الكشف ٢ / ١٦٥ . (٥) الكشف ٢ / ٢٧٦ . (٣) الكشف ٢ / ٣٣٨ .

(٧) الكشف ٢ / ٣٦٩ . (٨) الكشف ٢ / ٢٩٧ .

(٩) انظر على سبيل المثال : الكشف ١ / ٣٩٥ .

(١٠) انظر على سبيل المثال الكشف ١ / ٧٩ ، و٢ / ١٠٨ و٢٣٥ و٢٥٦ و٢٥٩ .

(١١) انظر مثلاً الكشف ١ /١٩٥ ،والزجاج ١/ ٣٦٨ .

(١٢) انظر على سبيل المثال : الكشف ١ / ٢٦١ ، ١ / ٥٠٢ .

الطبري [١] ، وثعلب [٢] ، وأبو بكر بن الأنباري [٣] وقطرب والزجاج [٤] ، مع أنه استفاد من كتبهم كثيرًا من دون أن يشير لذلك ، وأكثر تلك الكتب في معاني القرآن .

أثر الكتاب في الخالفين :

تلقّى العلماء المعاصرون للجامع النحوي والمتأخرون عنه كتابه هذا بالرضا والقبول ، " وفي مقدمة العلماء الكبار الذين اعتمدوا على (الكشف) عالمان جليلان ، وهما :

١ - أبو علي الطبرسيّ   ٢ – أبو البركات الأنباري " [٥]

أما الأول : فقد أفاد من (الكشف) في كتابه الشهير (مجمع البيان في تفسير القرآن) مصرّحًا بالنقل عن الجامع النحويّ تارة [٦] ، ومن غير تصريح تارة أخرى [٧] .

وأما الثاني : فقد أفاد من (الكشف) في كتابه (البيان في غريب إعراب القرآن في مواضع كثيرة ،ولكن دون تصريح باسمه قط [٨] ؛

---

(١) الكشف ١ / ٤٧٦ ، ٢ / ٣٢٢ .

(٢) انظر مثلاً الكشف ١ / ٥٦ .

(٣) انظر على سبيل المثال الكشف ٢ / ١٠٠ .

(٤) انظر على سبيل المثال الكشف ٢ / ١٥٩ .

(٥) الكشف ١ / ٧٨ .

(٦) انظر على سبيل المثال : مجمع البيان ٣ / ٤٧١ ،و٥ / ٢٨٦ و٧ / ٥٠٧ ، و٩ / ٤٠٩ .

(٧) انظر على سبيل المثال : مجمع البيان ٥ / ٢٨٢ في حديثه عن قوله تعالى (إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ) (الرعد: ١٣/١٤) وقارنه بالكشف ١ / ٥٤٤ .

(٨) انظر على سبيل المثال : ما كتبه أبو البركات حول قوله تعالى : (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ

وفي النهاية أقول :إن الكتاب مع أنه كتاب تعليمي فإن قارئه يغب من العلم غبًا في كل صفحة فهو حقاً يعدّ إخراجه إلى النور ، بعد أن ظل قرونًا في ظلمات النسيان عملاً جليلاً فهو كنزٌ لغوي ونحويّ لا يقدر بثمن ، فقد أبرز لنا صورة صادقة عن علماء القرن السادس ،وغزارة علمهم وطرق تأليفهم بصفة عامة ، وطرق تأليفهم في معاني القرآن بصفةٍ خاصة . ولا يضيره بعض المآخذ القليلة التي أخذها عليه العلماء ، فمن ذا الذي يسلم من ذلك ؟ وقد أحسن محقق الكتاب في تعدادها [1] ؛ لئلا يغتر بها أحد ؛ لكنها على كل حال مغمورة في بحر حسنات المؤلف رحمه الله كفاء ما قدم .

وقد كان الجامع يُظهر استنباط الفقهاء من القراءات دليلاً لمذاهبهم فقد قال في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ (البقرة: ٢/٢٢٢) ، " و(يَطَّهَّرْنَ) [2] ، فمن قال : (يَطَّهَّرْنَ) فمعناه يغتسلن ، وأصله يتطهرن ، فأدغم التاء في الطاء ، لقرب مخرجيهما ، ومن قال : (يَطْهُرْنَ) فمعناه : يقطع دمهن ، وكلاهما حسن. و(يَطْهُرْنَ) حجة أبي حنيفة ؛ لأن عنده يجوز أن تجامع المرأة إذا انقطع دمها قبل الاغتسال . و(يَطَّهَّرْنَ) حجة للشافعي ؛ لأنه يقول : لا تجامع المرأة إلاّ بعد أن

تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ (البقرة: ٢/٢٢٦) في غريب إعراب القرآن ١ / ١٥٥ – ١٥٦ ، وستجد أنه يكاد يكون بنصه في الكشف ١ / ٢٨٣ لولا تصرف يسير أجراه الأنباري في عبارة الجامع النحوي ، ثم ضنّ في النهاية عليه فلم يذكره بكلمة ! ومثل هذا في كتاب الأنباري كثير ، انظر مثلاً غريبه ١ / ١٥١ – ١٥٢ و١ / ١٥٦ ، وقارنه بما في الكشف ١ / ٢٧٨ – ٢٧٩ ، و١ / ٢٨٣ ، وقد تنبه لذلك العلامة النفّاخ في رسالته المشار إليها آنفًا في الموضع نفسه .

(١) انظر الكشف ١ / ٨٣ – ٩٠ .

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل عنه ، انظر الإتحاف ٢٠٣ ، ومعجم القراءات ١ / ٣٠٨ .

تغتسل . فالقراءتان بمنزلة الآيتين ، يحتج كل واحد من الفريقين بقراءة "[1] والجامع يبدو من كتابه – حنفي المذهب – لكنه معتدلٌ مع المخالفين كما ترى هنا .

وهو ملتزم بما شرطه على نفسه في العنوان الذي ارتضيناه من الاقتصار على قراءة السبعة ، إلاّ في موضع واحد ،خرج فيه عن ذلك الشرط ، وقال معتذرًا : " وكنت قد شرطت أن لا أتكلم فيما خرج عن قراءة أئمة الأمصار ،ولكني أحوجت هنا إلى توجيه قراءة أبي جعفر. . . "[2]

وربّما ضعّف بعض القراءات من غير المتواتر غالبًا[3] ،ولكن من دون أن يطعن في القارئ ، وقد مرّ بنا وصفه لكلام حمزة ﷺ بقوله (وهذا في غاية الحسن والبيان)

الشواهد في الكشف :

تم الحديث عن القراءات في كتاب الكشف ، وبقي أن نتحدث عن الاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر ، وأما الأمثال فلم أره قد استشهد بشيء منها إلاّ أن أكون قد وهمتُ !

أولاً : الاستشهاد بالقرآن

الجامع النحوي ممن يكثرون الاستشهاد بالقرآن الكريم في كتبهم ، ولا غرابة في ذلك ، إذ القرآن هو موطن الأدلة التي لا يسع المخالفون إلاّ الإذعان لها ،ولذا فإن أغراض الاستشهاد القرآني عند الجامع تكاد تنحصر في تقوية ما يورده في الكشف من آراء نحوية أو دلالية أو فقهية ، من مثل قوله: "وقوله: ﴿ ثُمَّ

---

(١) الكشف ١ / ٢٨٢ .

(٢) الكشف ١ / ٣٨٠ .

(٣) انظر الكشف ١ / ٣١٣ .

تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (البقرة ٢/٨٣) أي : توليتم أيها الآباء ، وأنتم معرضون أيها الأبناء ، وقيل : جمع بينهما للتأكيد ؛ لأن الإعراض والتولي واحد ، كقوله تعالى : ﴿ بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ (الأنبياء ٢١/٥٧) ، وقوله : ﴿ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ (الصافات : ٣٧/٩٠) فيكون الحال للتوكيد "[١] .

ثانيًا : الاستشهاد بالحديث

الحديث في الكشف قليلٌ جدًا ،وهو في موضع الاستشهاد على اللغة والتفسير ، أما الاستشهاد على النحو . فيبدو أن الجامع لم يكن ممن يجيزون ذلك إلاّ لضرورة ، ولذا لم أجده قد استشهد بالحديث على أمور نحوية إلاّ في موضعين اثنين من الكشف ، أحدهما قوله : " ﴿ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ يَوْمَ ۝ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ ﴾ (إبراهيم ١٤/ ٤٧ ، ٤٨) : يوم ينتصب بالمصدر قبله ، وهو (انتقام) . و(السماوات) أي : تبدل السماوات غير السماوات ، فحذف غير السماوات ؛ لأن (غير الأرض) يدل عليه ، كقوله ﷺ : (ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده [٢]) أي : ولا ذو عهد في عهده بكافر . فذو عهد معطوف على مؤمن ، وحذف الجار والمجرور ؛ لأنه جرى ذكره في الأول "[٣].

وأما الموضع الثاني فقوله : " قوله عز وعلا : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ (الأحزاب ٣٣/٣٣) قيل : تقديره : يا أهل البيت ،

---

(١) الكشف ١ / ٢٠٧ ،وانظر نموذجًا لاستطراده في الاستشهاد بالقرآن في الكشف ٢/ ٩٠ .

(٢) الحديث عن علي رضي الله عنه عند أبي داود [كتاب الديات– باب إيقاد المسلم بالكافر] ٤/ ١٧٩ ، برقم ٤٥٣٠.

(٣) الكشف ٢ / ١٠ – ١١ .

والصحيح أنه منصوبٌ على الاختصاص والمدح ، كقولك : نحن بني فلان أصحاب كذا وكذا ، وفي الحديث [1] : (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ،ما تركناه صدقة) " [2]

ثالثا : الاستشهاد بالشعر :

استشهد الجامع النحوي في كتابه بما يُربى على مائتي بيت من الشعر ، لشعراء جاهليين وإسلاميين من عصور الاحتجاج ومن غير عصور الاحتجاج [3] وذلك للأغراض التالية :

١ – الاحتجاج على القضايا النحوية والصرفية :

وأكثر الشعر الذي في الكشف سيق لهذا الغرض ، سواء نقله عن غيره ممن أنشدوه في كتبهم أو انفرد هو به ، فمن الأول قوله :" ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ (محمد ٤٧/ ١٨) قال الأخفش [4] التقدير : فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم ، فـ (ذِكْرَىٰهُمْ) يرتفع بقوله : (أنى لهم ، وفي (جَآءَتْهُمْ) ضمير يعود إليها ، ومن رفع الثاني كان في (فَأَنَّىٰ لَهُمْ) ضمير على شريطة التفسير ، ومثله : [المديد]

---

(١) الحديث بلفظ قريب من هنا في مسند أحمد ٢ / ٤٦٣ ،ونصفه الثاني عن حذيفة رضي الله عنه في مجمع الزوائد [كتاب الفرائض – باب فيما تركه رسول الله ﷺ] ٤ / ٢٢٤ وقال : " رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ".

(٢) الكشف ٢ / ٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٣) انظر الكشف (مقدمة المحقق) ١ / ٩٥ .

(٤) معاني القرآن له ٢ / ٤٨٠ .

يـــا لَبكـــرٍ أَنْشِـــروا لي كُليبًـــا   يـــا لَبكـــرٍ أيـــنَ أيـــنَ الفـــرارُ [1]

ومن الثاني قوله [2] ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران : ٣/٥٩) إن قال قائل : ليس قوله (كُن) بعد خلقه ، فلم قال : ثم قال له كن فيكون ؟ و(ثُمَّ) لترتيب الفعل على الفعل ، فإذا خلقه فكيف يقول بعد ذلك : كن ؟

فالجواب أن ﴿ ثُمَّ ﴾ ها هنا لترتيب الخبر على الخبر ؛ كأن أخبر أولاً بخلقه من تراب ، ثم أخبر ثانيًا بقوله له : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ فالترتيب في الخبر لا في الفعل ..... وقال الشاعر : [الخفيف]

قل لمـــنْ ســـادَ ثم ســـادَ أَبـــوهُ   ثم قد سادَ بعد ذلـــك جـــدُّهْ [3]

والتقدير قل للذي أخبركم أولاً بسيادته ، ثم أخبركم ثانيًا بسيادة أبيه ، ثم أخبركم ثالثًا بسيادة جده "

والجامع النحوي ليس مجرد جامعٍ في كتابه للآراء المختلفة ، أو ناقل

---

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة ،وهو من المديد ، ولكن وهم محقق الكشف فنسبه إلى الخفيف متابعًا في ذلك – فيما يبدو – للعلامة عبد السلام هارون في الخزانة ٢ / ١٦٣ ، مع أن البيت مشهور عند العروضيين إذ هو مثال المديد السالم الخالي من الزحافات والعلل عندهم جميعًا ، وهاك مصداق القول ، انظر : كتاب العروض لابن السراج ٥٦ ، والإقناع للصاحب بن عباد ٧٦ ، والعروض للربعي ١٣ ، والكافي للتبريزي ٣١ والبارع لابن القطاع ٨٧ ، والحور العين لنشوان الحميري ٥٣ ، وشفاء الغليل للمحلي ٢٢٠ ، ونهاية الراغب للإسنوي ١٤٣ ، والعيون الغامزة للدماميني ١٥١ ، ومتن الكافي للقنائي ٢١ ، تلك عشرة كاملة ! أتيت بها لأشير إلى أهمية منهج الاستقصاء في التخريج لأمْن اللبس ، وتجنب الخطأ من جانبٍ ، ولإبراز أهمية إعمال العقول في المنقول من جانب آخر !

(٢) الكشف ١ / ٣٣٤ –٣٤٥ .

(٣) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ في ديوانه ٤٩٣ .

للإعراب عن غيره وإنما يناقش ويقبل ويرفض ، وانظر مثلاً ما قاله في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ (طه ٢٠/٣) : " قالوا في نصب (تَذْكِرَةً) وجهين : **أحدهما** : أنه بدل من قوله (لِتَشْقَىٰ) ، **والثاني** : أنه نصب مفعول له ، أي : إلاّ للتذكرة . وكلاهما خطأ ، أما البدل : فإنه لا يجوز ؛ لأن التذكرة ليس من الشقوة في شيء ليس هو إياه ، ولا بعضه ولا مشتملاً عليه ،ولا يجوز أن ينتصب لأنه مفعول له ، إذ لا يجوز أن ينصب فعل واحد اسمين كلاهما مفعولان له ، وإذا لم يجز انتصاب ﴿ تَذْكِرَةً ﴾ على هذين الوجهين كان الاستثناء منقطعًا ، وكان التقدير : لكن تذكر تذكرةً لمن يخشى ، فتحمله على فعل مضمر ، ويكون قوله : ﴿ تَنزِيلًا ﴾ محمولاً على مضمرٍ أيضًا ، أي : نزلناه تنزيلاً "[1]. وهكذا نجد الإعراب عنده وسيلةً لإخراج المعنى الدقيق من مكمنه

القراءات :

أولى المصنف القراءات في الكشف عنايةً خاصة ، فقد أكثر منها ، وقام بتوجيهها وبيان عللها في أغلب الأحيان ، وكان يربط بين القراءات واللغات ، وبينها وبين تعدد المعاني اللغوية أحيانًا ، كما جاء في تناوله لقوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ (البقرة : ٢/ ١٠٦)حيث يقول :" وقرئ : نَنسخ ونُنسخ[2] بالفتح والضم ، فمن فتح فهو من نسخت الشيء إذ رفعته، وجعلت مكانه آخر ، ومن قرأ :نُنسخ ،فهو من أنسخت فلانًا الشيء إذا حملته على نسخه وإبدال آخر مكانه "[3] .

---

(١) الكشف ٢ / ٨٥ – ٨٦ .

(٢) قرأ الجمهور (نَنْسخ) بفتح النون ،وقرأ ابن عامر (نُنسِخ) بضم النون وكسر السين ، كما في السبعة لابن مجاهد ١٦٨ ،ومعجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب ١/ ١٧٠.

(٣) الكشف ١ / ٢٢٣ ، وقد أحسن الجامع في تعليله لقراءة ضم النون، وفي كلامه هنا ردٌّ =

وهو يذكر أسماء القراء حينًا ، ويترك ذلك أحيانًا ، فمن الأول قوله : " ... وهذا عند جميع القراء ، إلاّ أبا عمرو وحمزة والكسائي "[1]، ومن الثاني قوله: " من قرأ (مالك) فهو اسم فاعل ، من مَلَكَ يمْلِكُ مِلْكا فهو مالك ، فهو جار على الفعل ،ومن قرأ (مَلِك) [2] فهو غير جار على الفعل ، وهو بناء المبالغة ، يقال : مَلِكٌ بيّن الملك بالضم ، ومالكٌ بيّن المِلك بالكسر " [3] .

وأما تعليله لقراءة فمن أمثلته قوله : " من قرأ (عليهُم) بالضم و(لديهُم) و (إليهُم) في جميع القرآن قال : إن الأصل في الهاء الضم ،فأتى به على الأصل ، وهو قراءة حمزة [4]، ومن كسر الهاء ، قال أكسرها لمجاورة الياء لأن الكسرة أخت الياء . قال حمزة : هذه الهاء لا ينبغي أن تكسر لأجل الياء في (عليهم) ؛ لأن الأصل في (عليهم): علاهُم ، ألا ترى أنك تقول : على زيد ؟ ..... وهذا في غاية الحسن والبيان ...." [5]

= على كلام أبي حاتم السجستاني ، وأبي علي الفارسيّ اللذين زعما أن هذه القراءة غلط ولا وجه لها في العربية ، والعجيب أن الدكتور الخطيب أورد كلامهما في (معجم القراءات) ١/١٧٠ من غير أن يتعقبه برد ، أو يحيل القارئ إلى من ردّ عليهما ، مما قد يوحي بموافقته لهما على هذا القول الفاسد ! وانظر أيضًا في دفع تلك الشبهة : الحجة لابن خالويه ٨٦ .

(١) الكشف

(٢) قرأ عاصم والكسائي (مالك) وقرأ بقية السبعة (مَلِك) انظر السبعة ١٠٤ ومعجم القراءات ١ /٨ .

(٣) الكشف ١ / ١٦٧ .

(٤) قراءة حمزة (عليهُمْ) بضم الهاء وإسكان الميم وقفًا ووصلاً كما في السبعة ١٠٨ ومعجم القراءات ١ /٢١

(٥) الكشف ١ / ١٦٩ – ١٧٠ .

جـ مفاتيح الأغاني

في القراءات و المعاني ، لأبي العلاء الكرماني (ت بعد ٥٦٣ هـ)

هذا كتاب ، يجمع بين القراءات و توجيهها من ناحية ، والمعاني من ناحية أخرى ، بدأه مصنفه الكرماني– وهو بخلاف أبي عبد الله بن أبي نصر الكرماني المشهور - بمقدمة موجزة جدا . قال فيها : " أما بعد ، فإني ألفت هذا الكتاب على بيان معاني القراءة عن القرَّاء السبعة ، وأبديت رغبة ، وقمت في تحصيلها بما يليق بها ، في تأويلها من دلائلها و ترتيبها ورسومها وتهذيبها ، ليسهل ضبطها ومعرفة لفظها ، والوقوف على دقائقها من حفظها ...." [١]

و الكتاب يسير على الترتيب المصحفي المعتاد ، بادئا بالحديث عن (مذهب القراء بالاستعاذة) [٢]، ثم سورة الفاتحة [٣]، ثم بقية السور ، و منتهيًا بسورة المسد [٤] .

و أما منهجه في التأليف ، فقد كان يضع للسورة عنوانًا ، كقوله مثلاً : " و من سورة البقرة [٥] " بما يعني أنه لن يتناول الآيات جميعًا ، و إنما سينتقي منها ، وهو ما التزم به فعلاً ، فسورة البقرة – على سبيل المثال – يبدأ الكرماني في تفسيرها من الآية التاسعة [٦] ، وسورة آل عمران يبدأ تفسيرها من الآية الثالثة عشرة [٧] بما يدل على إرادته الاختصار .

و اهتمامه منصَبٌ كما يشير عنوان كتابه على أمرين : القراءات و المعاني .

فأما القراءات :

فإن هذا الكتاب يعد حلقة من حلقات كتب الاحتجاج في القراءات

(١) مفاتيح الأغاني ٩١

(٢) مفاتيح الأغاني ٩٢ .

(٣) مفاتيح الأغاني ٩٤ .

(٤) مفاتيح الأغاني ٤٤٦-٤٤٧ .

(٥) مفاتيح الأغاني ١٠٠ .

(٦) مفاتيح الأغاني ١٠٠.

(٧) مفاتيح الأغاني ١٢٧ .

القرآنية ، تلك الكتب التي لم يسلم من عاديات الزمن إلا القليل منها ، وقد أشار في مقدمته السابقة إلى أنه سيقتصر على ما ورد عن أئمة القراءة السبعة ؛ لكنه خرج على ما اشترطه على نفسه ؛ فكان يذكر أحيانًا قراءة يعقوب من العشرة [1] وربما يذكر عددًا من القراءات الشاذة ، كقراءة الحسن البصري [2] ، ورؤبة [3] و إبراهيم بن أبي عبلة [4] ، وغيرهم .

و كان يذكر الآية الكريمة المختلف في قراءتها ، ثم يذكر وجوه القراءات فيها ، ذاكرًا أسماء القراء تارةً ، و مغفلاً أسماءهم تارة أخرى ، ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ (الأنفال ٨/٦٦) يقول الكرماني : " وقرأ حمزة وعاصم (ضَعفا) بفتح الضاد [5] ، وهما لغتان : كالمَكْث و المُكْث ، وقرئ (ضعفاء) [6] على (مفعلاء)" [7] .

وها هو ذا في الآية الواحدة يذكر من قرأ بإحدى القراءات ، ويغفل اسم من قرأ بالأخرى.

وهو فى الغالب يوجه معنى القراءات التي يذكرها ، كما قال مثلاً [8] : " قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ (آل عمران ٣/١١٥) : لن تُعدموا ثوابه ، و لن تجحدوا جزاءه ، ومن قرأ بالياء [9] ؛ فهو كفاية ، و إخبار

---

(١) مفاتيح الأغاني ١٠٧ .

(٢) مفاتيح الأغاني ٩٤، و ٢١٣

(٣) مفاتيح الأغاني ٩٤ .

(٤) مفاتيح الأغاني ٩٥ .

(٥) كما فى السبعة ٣٠٨-٣٠٩ و حجة ابن زنجلة ٣١٣ .

(٦) في قراءة أبي جعفر و المطوّعي ، كما في النشر ٢/٢٧٧ ، والمبسوط ١٩١ و معجم القراءات [للدكتور الخطيب] ٣/٣٢٦-٣٢٧.

(٧) مفاتيح الأغانى ١٩٣ .

(٨) مفاتيح الأغانى ١٣١ .

(٩) القراءة بالياء قراءة عاصم برواية حفص وحمزة والكسائى وخلف ، انظر المبسوط لابن مهران ١٤٦ .

عن الأمة القائمة " و كقوله[1] فى تفسير قوله تعالى :﴿ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ (الإسراء ٦٤/١٧) " قوله تعالى : بخيلك ورَجْلك[2] " المعنى: احثثهم عليه بالإغواء ، و تكون الباء في (بخيلك) زائدة على هذا القول ، وكل راكب أو راجل فى معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده ، و قرأ حفص بكسر الجيم ، قال أبو زيد [3] : يقال راجل ورجل بمعنى واحد".

وهو غالبًا يرجح بين القراءات ، كما في قوله تعالى: ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ﴾ (النور ٥٥/٢٤) حيث قال[4] : قال مقاتل : يعنى بنو إسرائيل ، وروى أبو بكر بن عياش (استُخلِف) بضم التاء و كسر اللام[5] . ووجهه أنه أريد به ما أريد باسْتَخْلف ، و إذا كان المعنى كذلك فالوجه قراءة العامة" .

بل إنه فى بعض الأحايين ، يخطّئ القراءة السبعية ، و يتجرأ على وصفها بما لا يليق ، كما فعل في أثناء حديثه عن قراءة حمزة في مفتتح سورة النساء: (و الأرحامِ)[6] بالخفض ، إذ قال : " وضعّف النحويون كلهم هذه القراءة واستقبحوها"[7] . وهذه جرأة عظيمة منه . رحمه الله — إذ إنّ القراءة سبعية ، متواترة عن النبي ، رسول الله ﷺ ، و لها وجه في العربية ، و لم يجمِع النحويون - كما زعم — على تخطئتها ، فقد قبلها عدد منهم ، ورأوا لها وجهًا سائغًا في العربية [8].

---

(١) مفاتيح الأغاني ٢٤٩ .

(٢) القراءة بتسكين الجيم قراءة الجمهور وبكسرها قراءة حفص عن عاصم ، انظر المبسوط ٢٢٩.

(٣) انظر النوادر ٣٥ . (٤) مفاتيح الأغانى ٣٠١

(٥) قراءة الجمهور (استَخْلف) ، كما فى السبعة ٤٥٨ والنشر ٣٣٢/٢.

(٦) انظر المبسوط ١٥٣ والنشر ٢٤٧/٢.

(٧) مفاتيح الأغاني ١٣٧ ، وانظر تفنيد ابن يعيش لهذا الرأى فى شرح المفصل ٧٨/٣ .

(٨) انظر تفصيل هذه القضية فى شرح المفصل ٧٨/٣ ، والإنصاف فى مسائل الخلاف (محيي =

و أما المعاني :

فهي الجزء المتمم لفائدة هذا الكتاب ، و قد كان الكرماني يهتم بها اهتماماً بالغًا ، ويظهر هذا في حرصه على ذكر معنى الآية ، أو اللفظة التي يوردها ، مع ذكر اشتقاقها في الغالب ، وإن وُجدت فيها قراءة أخرى ؛ ذكرها مع معناها أيضا ، ومن أمثلة ذلك قوله [1] : " قوله تعالى : (قاسية) : القسوة : الصلابة والشدة في كل شيء ، يقال : قسا يقسو فهو قاس ، وقرأ حمزة : (قسيّة)[2] على وزن فعيلة ، بمعنى : قاسية ، مثل : عالم وعليم ، قال ابن عباس[3] : قاسية : يابسة عن الإيمان " . و كذلك قوله [4] : " قوله تعالى : ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ ﴾ (النمل ٢٧/٤٩) : ما قتلناه ، و ما ندرى من قتله و أهله ، و المُهلَك يجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الإهلاك ، و يجوز أن يكون الموضع ، وروى عاصم بفتح الميم و اللام [5] ، يريد : الهلاك ، يقال : هلك يهلِك هلاكًا ومهلكًا ، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام [6] ، وهو اسم المكان على معنى : ما شهدنا موضع هلاكهم ، و مكانه ، قال الزجاج [7] : فكأن هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيّتوا صالحا ويقتلوه وأهله في بياتهم " .

و بسبب اهتمامه البالغ بالمعاني ، فقد شحن الكتاب بالظواهر اللغوية ، بأنواعها الأربعة ، فمن الظواهر الدلالية مثلاً ، اهتمامه بالاشتقاق الذى أشرت إليه آنفاً ، و كذلك بالترادف كما في قوله : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ (البقرة

= الدين عبد الحميد) ٢/٤٦٣ ، والبحر المحيط ٣/ ١٥٩ .

(١) مفاتيح الأغاني ١٥٢ .

(٢) انظر المبسوط ١٦١ــ١٦٢ (٢) انظر البحر المحيط ٣/ ٤٤٥ .

(٤) مفاتيح الأغاني ٣١٢ . (٥) انظر السبعة في القراءات ٤٨٣ .

(٦) انظر القراءات في هذه الكلمة في النشر ٢/٣١١ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٢٤ .

٣٦/٢) : أى نحّاهما و بعدهما" [١] و مثل ذلك كثير .

و من أمثلة المشترك اللفظي قوله [٢] فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (الصافات ٤٧/٣٧) " .... و من كسر الزاي ، قال الفراء [٣] : له معنيان : يقال : أنزف الرجل إذا فنيت خمرهُ ، و أنزف إذا ذهب عقله من السكر" .

و من أمثلة الاهتمام بلغات العرب عنده ، قوله [٤] فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ (هود ١٠٨/١١) : "..... قرأ أهل الكوفة (سُعِدوا) بالرفع [٥] ، قال الفراء [٦] : كلام العرب : سعد الرجل وأسعده الله ، إلاّ هُذيلاً ، فإنهم يقولون : سُعِد الرجل بالضم ، و بذلك قرأ أصحاب عبد الله [٧] ، و قال الكسائى : سُعِد و أُسْعِد لغتان " .

ومن الظواهر الصوتية عنده: حديثه عن الإتباع ، و هو مصطلح شائع عند القدماء ، وهو عند المعاصرين من أنواع المماثلة الصوتية ، يقول الكرماني [٨]: " قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾ (البقرة ١٧٣/٢) ..... قُرِئ برفع النون وكسرها [٩] ، فمن رفع فللإتباع ضمة الطاء ، ومن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين " .

و هذا الذى ذكره الكرماني يسميه المحدثون : تأثر مدبر كلى فى حالة انفصال ، لأن حركة النون تغيّرت من الكسر إلى الضم تأثرًا بحركة الطاء

---

(١) مفاتيح الأغاني ١٠١. (٢) مفاتيح الأغاني ٣٥٠.

(٣) انظر معاني القرآن ٢/ ٣٨٥. (٤) مفاتيح الأغاني ٢١٦.

(٥) قرأ عاصم برواية حفص ، وحمزة والكسائي من السبعة ، وخلف من العشرة (سعدوا) بضم السين وكسر العين، وقرأ الباقون (سعدوا) بفتح السين ، انظر النشر ٢/ ٢٩٠.

(٦) انظر روح المعاني ١٢/ ١٤٦. (٧) انظر البحر المحيط ٥/ ٢٦٤.

(٨) مفاتيح الأغاني ١٠٩.

(٩) انظر هذا الخلاف في المبسوط ١٢٦ ، والنشر ٢/ ٢٢٥.

بعدها ، وهى مفصولة عنها بصوتين :

الضاد و الطاء .

و من ذلك أيضًا حديثه عن الإدغام حيث يقول[1] في قوله تعالى : ﴿ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم ١٩/٢٥) ": قوله تعالى : (تسّاقط) أي تتساقط ، فأدغمت التاء فى السين " .

و من أمثلة حديثه عما يسميه المحدثون بالمخالفة الصوتية قوله [2]: " قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي ﴾ (النمل ٢٧/٢١) أصله :أو ليأتينني ، بنونين ، كما قرأ ابن كثير [3]، و لكن حذفت النون التي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات" .

فهذا لون من الحذف لكراهة توالى الأمثال .

ومن أمثلة حديثه عن الإبدال ما نقله عن الفارسى فى تفسير قوله تعالى ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ﴾ (سبأ ٣٤/٩) حيث قال [4]: " ... فأدغم الكسائى [5] الفاء فى الباء من قوله : (نخسف بهم) ، قال أبو على الفارسى [6] : و ذلك غير جائز ؛ لأن الفاء من باطن الشفة السفلى و أطراف الثنايا العليا ، انحدر الصوت بها إلى الفم حتى اتصلت بمخرج الثاء ، فلهذا جاز إبدال الثاء بالفاء ، و فى نحو : الجدث والجدف للمقاربة بينهما ...." .

ومن القضايا الصرفية عنده حديثه عن التذكير و التأنيث فى قوله تعالى : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام ٦/٥٥) حيث قال [7]: ".....

---

(١) مفاتيح الأغاني ٢٦٨.
(٢) مفاتيح الأغاني ٣١٠.
(٣) انظر قراءة ابن كثير (أو ليأتينّني) في السبعة ٤٤٩.
(٤) مفاتيح الأغاني ٣٣٦.
(٥) انظر قراءته في النشر ٢/ ١٢.
(٦) انظر الحجة للقراء السبعة ٦/ ٨ ــ ٩.
(٧) مفاتيح الأغاني ١٦١

و السبيل يذكّر و يؤنث [1]" .

وأما الظواهر النحوية ، فقد كان يهتم بها أيضاً ، إذ كان كثيراً ما يذكر إعراب الآية ، والأوجه المحتملة عند الخلاف ، و من ذلك حديثه عن الممنوع من الصرف في قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ ﴾ (هود ٦٨/١١)؛ حيث قال[2] : " قُرِئ بالإجراء و تركه ، فمن أجراه فلأنه اسم مذكر فسمي به مذكرًا وهو الحيّ ، فصارت كثقيف و قريش ، و من ترك إجراءه جعله اسمًا لقبيلة ؛ فلم يصرفه لاجتماع التعريف و التأنيث".

و إلى جانب اهتمامه بالقضايا اللغوية ؛ (فقد كان يهتم ببعض القضايا الفقهية (أحيانًا ، و من ذلك قوله [3] في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الجمعة ٩/٦٢) حيث قال: ".... و﴿ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ ﴾ قال الحسن : إذا أذّن المؤذّن يوم الجمعة لم يحلّ الشراء و البيع ، قال أصحابنا : من باع في تلك الساعة فقد خالف الأمر ، و بيعه منعقد ؛ لأن هذا نهي تنزيه ؛ فدلّ هذا على الترغيب في ترك البيع".

الاستشهاد عند الكرماني :

١ -القرآن و القراءات :

أما الاستشهاد بالقراءات ، فهو أصل تأليفه ، للكتاب و لذلك فلسنا بحاجةٍ لذكر أمثلةٍ له ، أما الاستشهاد على المعنى المراد بآيةٍ أخرى ، فمن

---

(١) انظر المذكر والمؤنث للسجستاني (حاتم الضامن) ١٤٦، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (د. رمضان)٣١٩

(٢) مفاتيح الأغاني ٢١٤ (٣) مفاتيح الأغاني ٤٠٠

أمثلته قوله [1]: " قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ ﴾ (النمل ٦٦/٢٧) ، ادّارك معناه : تدارك ، أي تتابع و تلاحق ، و منه قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ (الأعراف ٣٨/٧).

٢ - الاستشهاد بالحديث و الأثر :

لا تزيد استشهادات الكرماني بالحديث و الأثر عن ستة عشر حديثًا ، بما يعني أنه مقلٌّ في الاستشهاد به ، و من أمثلة ذلك عنده قوله [2] : " إن عبد الله قرأ : (بل عجبْتُ) ... و إضافة العجب إلى الله ورد به الخبر ، كقوله ﷺ [3]: (عَجِب ربّكم من شابٍّ ليست له صبوة)."

٣ - الاستشهاد بالشعر :

يبلغ مقدار ما استشهد به الكرماني من الشعر خمسة عشر بيتًا لا غير ، و تتنوع أغراض ذلك الاستشهاد ، فمن الاستشهاد على القضايا النحوية و الصرفية قول الكرماني [4] : " وفي (يومئذٍ) قراءتان : الفتح و الكسر [5] ؛ فمن كسر فلأن الاسم معرب فانجر بالإضافة ، و من فتح الميم – مع أنه في موضع جر - فلأنه مضاف إلى مبني ، و المضاف إلى المبني يجوز بناؤه ، كقول النابغة [6] : [الطويل]

على حينَ عاتبْتُ المشيبَ على الصِّبا وقلتُ ألَمّا أصْحُ و الشّيبُ وازِعُ

ومن الاستشهاد بالشعر على المعاني اللغوية ، قوله [7]: "…. و قرأ

---

(١) مفاتيح الأغاني ٣١٣

(٢) مفاتيح الأغاني ٣٤٩.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٧٠[كتاب الزهد ـ باب فيمن لا صبوة له] : " رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن " .

(٤) مفاتيح الأغاني ٢١٤.

(٥) انظرهما في النشر ٢/ ٢٨٩.

(٦) ديوان النابغة الذبياني(تحقيق د. شكري فيصل) صـ ٤٤.

(٧) مفاتيح الأغاني ٣٩٤.

حمزة:[1] (أنظرونا) بقطع الألف من الإنظار ، قال الزجاج[2] : معناه : انتظرونا ، و أنشد بيت عمرو بن كلثوم[3] : [الوافر]

أبا هندٍ فلا تعْجلْ علينا وأَنْظِرْنا نُخبِّرْكَ اليقينا"

مصادر الكتاب :

نقل الكرمانى كثيرًا من النصوص عن الأئمة الأعلام الذين سبقوه ، كالمفسرين من الصحابة و التابعين ، و منهم[4] :

١ - ابن مسعود	٢ - ابن عباس
٣ - ابن عمر	٤ - شريح القاضى
٥ - سعيد بن جُبير	٦ - إبراهيم النخعى
٧ - مجاهد بن جبر	٨ - عامر بن شراحيل الشعبى
٩ - الضاحك بن مزاحم	١٠ - عكرمة بن عبد الله
١١ - الحسن البصري	١٢ - عطاء بن أبى رباح
١٣ - قتادة بن دعامة	١٤ - عطاء بن أبى مسلم الخراسانى

كثير من اللغويين الكبار ، و منهم[5] :

١ - أبو عمرو بن العلاء	٢ - الخليل بن أحمد
٣ - المفضل الضبى	٤ - سيبويه
٥ - الليث من مظفر	٦ - يونس بن حبيب
٧ - أبو زيد الأنصارى	٨ - الأصمعى
٩ - محمد بن زياد الأعرابى	١٠ - يعقوب بن السكيت

(١) انظر السبعة لابن مجاهد ٦٢٥ـــ ٦٢٦.

(٢) انظر معاني القرآن ٥/ ١٢٤.

(٣) البيت من معلقته الشهيرة ، في ديوانه (تحقيق د. إميل يعقوب) صـــ ٧١.

(٤) انظر على سبيل المثال :مفاتيح الأغاني ٩٥و١٠٤و١١٤ و١٤٥و ٢٤١ و ٢٦٨و٢٩٤.

(٥) انظر على سبيل المثال:مفاتيح الأغاني ٩٥و١٠١و١٠٩و١٤٦و١٥٢و١٨٥و ١٨٦و٢٥٦.

١١ - أبو عثمان المازني. ١٢ - أبو حاتم السجستاني

١٣ - ابن قتيبة الدينوري ١٤ - ابن عرفة (نفطويه)

١٥ - أبو عبيدة معمر بن المثنى

و كما أفاد من عدد من أهل المعاني الذين سبقوه ،وذكر لقبهم الذي عرفوا به وهو (أهل المعاني) [١]، كما ذكر بعضهم بأسمائهم ، و منهم [٢]:

١ - الكسائي ٢ - أبو زكريا الفراء

٣ - محمد بن المستنير قطرب ٤ - أبو عبيد القاسم بن سلام

٥ - أبو العباس المبّرد ٦ - أبو إسحاق الزجاج

٧ - أبو بكر بن الأنباري ٨ - أبو جعفر النحاس

٩ - أبو منصور الأزهري ١٠ - أبو على الفارسي .

و قد كان يتصرّف فى عباراتهم عند النقل أحيانًا كما جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ (براءة ٩/١١٧) ، قال الزجاج : أى : من بعد ما كادوا ينصرفون عن غزوتهم للشدّة ، ليس أنه زائغ عن الإيمان " [٣] .

و النص فى معاني الزجّاج [٤] كما يلى : " أى بعد ما كادوا يقفلون من غزوتهم للشدّة ، ليس أنه يزيغ عن الإيمان " .

والكتاب في النهاية كتاب قيم يظهر منهج التأليف في المعاني في القرن السادس الهجري بوضوح ، ويحفظ لنا طائفة من أقوال أئمة اللغة التي لا نكاد نجدها في كتاب آخر ، ولكن يؤخذ عليه :

١. نقله كثيرا من النصوص بلا عزو للكتب التي نقل عنها .

---

(١) انظر مفاتيح الأغاني ١٥٢

(٢) انظر على سبيل المثال مفاتيح الأغاني ٩٢ و ١١٠ و ١٦٤ و١٣٩ و٢٢٣ و٢٦٣.

(٣) مفاتيح الأغاني ٢٠٢.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٤٧٤.

٢- تجرؤه على وصف بعض القراءات المتواترة بالرداءة أو القبح كما أسلفنا آنفا .

٣. إيراده بعض الأقوال والأخبار الباطلة ، كالأثر المنسوب لسيدنا عثمان ﷺ أن في الكتاب غلطا ستقيمه العرب بألسنتها [١] .

٤ -خروجه على منهجه الذي بينه في مقدمته ، ويتمثل في اقتصاره على تبيين معاني القراءات الواردة عن القراء السبعة ، إذ كان يذكر قراءة يعقوب من العشرة ، وقراءة الحسن ورؤبة وإبراهيم بن أبي عبلة من القراءات الشاذة .

د ـ المختار في معاني قراءات أهل الأمصار لأبي بكر بن إدريس

ذكر ابن إدريس في مقدمته القصيرة الغرض من كتابه ، ومنهجه فيه ، فقال :" فإن أصحابنا من حفاظ الكتاب ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، سألوني أن أملي عليهم معاني ما اختلفت فيه القراء الثمانية من أهل الأمصار الخمسة ، وهم : عبد الله ابن كثير من أهل مكة ، ونافع بن أبي نعيم من أهل المدينة ، وعبد الله بن عامر من أهل الشام ، وعاصم وحمزة والكسائي من أهل الكوفة ، ، وأبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب من أهل البصرة، فهؤلاء هم الأئمة الأعلام الذين انتهت القراءة إليهم أداء ورواية ، فأجبتهم إلى ملتمسهم ، وأسعفتهم بطلبهم ، رجاء المثوبة ، واستمددت منه تعالى المعونة ، واختصرت الترجمة ، وتجنبت الإطالة ، وملت إلى الإيجاز غير مخل بالإفهام ..." [٢] .

وترتيب الكتاب هو الترتيب المعتاد ، حيث يبدأ من الفاتحة ، وينتهي بسورة المسد ، بعد أن أشار إلى تناوله للخلاف في سورة الإخلاص ، في أثناء عرضه

(١) انظر تأويل مشكل القرآن ٢٦ و ٥١ .

(٢) المختار في معاني أهل الأمصار ل١(أ).

للخلاف على سورة البقرة [١] .

ومنهجه الواضح في تصنيف الكتاب أنه كان يذكر الموضع الذي اختلف القراء الثمانية في قراءته ، فيبدأ بذكر خلافهم ، ثم يبين معنى كل قراءة من الناحية اللغوية ، ويبين سبب الخلاف ، ويختار في النهاية قراءة من القراءات - غالبا هي قراءة الجماعة أو الجمهور - لاتفاقها مع المعاني اللغوية ، وهذا سبب تسمية الكتاب المختار ؛ أي أن الكتاب يجمع بين أمرين : القراءات والمعاني .

ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (البقرة ٢/١١٩) : " أكثر القراء على رفع اللام ، على معنى الخبر ، وقرأ نافع ويعقوب بجزم اللام على النهي [٢] ، ولهذه القراءة تأويلان : **أحدهما**: ما ذكر عن محمد بن كعب القرظي ، أن النبي ﷺ قال : ما فعل أبواي ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [٣] ، **والثاني** : معناه تعظيم ما صار إليه أصحاب الجحيم ، لقولك : لا تسأل عن فلان إذا أردت تعظيم ما صار إليه من خير أو شر ، فأما رفع اللام فهو الاختيار ؛ لأن قراءة ابن مسعود وأبيّ رضي الله عنهما تشهد له . وذلك أنه روي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ (ولن تسأل عن أصحاب الجحيم) [٤] ، وعن أبي (ولا تسألُ) [٥] ، وهذا يدل

---

(١) انظر اللوحة الأخيرة من هذه المخطوطة .

(٢) انظر النشر ٢/ ٢٢١، والسبعة ١٦٩، والمبسوط ١٣٥.

(٣) هذا الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٤٠٩ ، وابن كثير ١/ ٢٨٤ـــ٢٨٥، والشوكاني في فتح القدير ١/ ٢٠٠ـــ٢٠١، وقال عنه السيوطي في الدر المنثور ١/١١١: " هذا مرسل ضعيف الإسناد ".

(٤) القراءة منسوبة لابن مسعود في معاني الفراء ١/ ٧٥، ومختصر ابن خالويه ١٦.

(٥) القراءة بغير نسبة في إعراب القراءات الشواذ١/ ٢٠١، ولم أجد من نسبها لأبي!

على رفع اللام أيضا ؛ لأنه بمعنى الخبر ." [1]

القضايا اللغوية :

يحفل الكتاب بالحديث عن الظواهر اللغوية المختلفة ، فهو لا يكاد يختلف عن معاني الأخفش أو الفراء إلا في حرصه على إيراد كل موضوع اختلف فيه القراء بينما كان من سبقه ينتقي من تلك المواضيع . ولعل الشعور الذي ينتاب قارئ الكتاب ويسيطر عليه هو ذلك التمكن والاقتدار الذي يبدو عليه ابن إدريس في كتابه في معالجته لقضايا اللغة ، ومنها . على سبيل المثال . إلمامه الواسع بلغات العرب ، فيمثل كتابه إضافة حقيقية في هذا المجال ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ ﴾ (البقرة٢/٢٤٩) :

" أهل الحجاز وأبو عمرو على فتح الغين ، والباقون على ضمها [2] ؛ فأما أبو عمرو فيقول : الغَرفة ما كان باليد ، والغُرفة ما كان بالإناء ، فلهذا اختار غَرفة بالفتح ، وأما غيره من أهل اللغة فيقول ، الغَرفة المصدر ، والغُرفة الاسم ، وأما يُونس بن حبيب فيقول : غَرفة وغُرفة لغتان بمعنى واحد كقولهم بَرهة وبُرهة ، وبَهمة وبُهمة ، وهو باب مشهور وأخبرني أبو الحسن المالكي ... قال هشام بن عمار : الغَرفة ما كان باليد الواحدة ، والغُرفة ما كان بيدين ، وقال بعضهم : الغُرفة ملء الكفّ ، والغَرفة المرة الواحدة .... " [3] .

وفي أثناء توجيهه للقراءات يعرج ابن إدريس أحيانًا على أسباب صوتية للخلاف ، ويأتي بكلام نفيس على الإتباع ، أو ما يسميه المعاصرون بـ (المماثلة الصوتية) ، وأحيانًا يتحدث عن كراهة توالي الأمثال ، أو استثقال الجمع بين

---

(١) المختار ل ٨(ب).

(٢) انظر الاختلاف في هذه القراءة في السبعة ١٩٦ والإتحاف ١٦٠ ومعجم القراءات ٣٥٣/١ .

(٣) المختار ل ١٤ (أ) .

بعض الأصوات المتماثلة، وهو ما يطلق عليه المعاصرون (**المخالفة الصوتية**)، ولعل المثال الآتي يشير لشيء من ذلك، يقول ابن إدريس في تحليله للخلاف في قراءة بعض الكلمات القرآنية: " فأما (الغيوب)، و(الجيوب) و (الشيوخ)، فَضَمَّهُنَّ أهل البصرة وحفص ونافع ... والباقون على الكسر [1]، وضم أوائل هذه الأسماء هو الوجه، لأنه الأصل ... ألا ترى أنك تقول: بيت وبيوت، وعين وعيون، وعيب وعيوب، وجيب وجيوب، وشيخ وشيوخ، كقولك: فَلس وفلوس، ودرب ودروب، وكعب وكعوب، فهذا هو الاختيار: لأن الضمة في هذا الموضع لا تُستثقل على الياء، ؛ ولأن إتباع الضمة الضمة أحسن في اللفظ، وأسهل في النطق من الخروج من كسرة إلى ضمة، فأما من كسر أوائلهن فلأنه كره الجمع بين ضمتين واو، فكسر أول الاسم، وإنما جاز ذلك لأن الكسرة مأخوذة من الياء، فلما كانت الياء عن عين الفعل كُسر ألفه على نية إتباع الكسر للياء، والوجه ما عرَّفتك، لأن الكسرة وإن كانت من حيز الياء، فالياء مضمومة، فإتباع الضمة الضمة أولى لما عرفتك" [2]. والكتاب حافل بقضايا الدلالة، باعتباره كتابا في المعاني، ومنها الترادف، حيث يبدو من كلام ابن إدريس أنه يؤيد وقوعه في اللغة والقرآن [3].

أما المعرب فهو يقر بوقوعه في الأعلام فقط، كما يبدو من كلامه ؛ لأنه لم يذكر أمثلة لغير الأعلام [4].

ولم يغفل ابن إدريس قضايا النحو والصرف في كتابه، فهو يذكر الأوجه الإعرابية للقراءة المختلف فيها في أكثر الأحيان، ومن أمثلة ذلك

---

(١) انظر الخلاف في قراءة هذه الكلمات في السبعة ١٧٨، وانظر معجم القراءات ١/٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) المختار ل ١١ (ب)، وانظر أيضًا ل ١٠ (ب).

(٣) انظر المختار ل ٧ واللوحة قبل الأخيرة .

(٤) انظر المختار ل ٧(ب)، ول ١٢٢ (أ).

توجيهه لآية ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ ﴾ (البقرة ٢/١٧٧) إذ يقول : " ... حفص وحمزة على نصب البر ، والباقون على رفعه [١] وهو أجود الوجهين : لأن البر على هذا المذهب اسم ليس ، والخبر أن تولوا وجوهكم .. فأما من نصب البر ، فلأنه خبر ليس قدِّم على الاسم ، والتقدير على هذا المذهب : ليس البرَّ توليُتكم ، فأن وما بعده في موضع اسم ليس " [٢] .

ويتناول ابن إدريس قضية إقامة صيغة مكان صيغة أخرى ؛ فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ (البقرة ٢/١٧٧): " فيه وجهان ، أحدهما ولكن البر من آمن بالله ، فأقام المصدر مكان الصفة اتساعًا ، كما أقيمت الصفة مقام المصدر على أحد الأقوال في قوله : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ (المائدة ٥/١٣) أي : الخيانة ، والثاني : أن يكون المعنى ولكن البر بر من آمن بالله ، فحذف الأول وهو المضاف إيجازًا ، وأقام الثاني مقامه وهو المضاف إليه ... " [٣] .

ولئن كان الأخفش قد انفرد بذكر بعض الأبواب في كتابه في أثناء ذكره لمعاني بعض الآيات ، لمناسبة يراها ، فإن ابن إدريس صنع الشيء نفسه، ولكن أبوابه كلها صوتية ، ومنها على سبيل المثال :

١ـ الهمزة [٤].　　٢ـ ذكر الإدغام . [٥]　　٣ـ باب الإمالة . [٦]

وهو في هذه الأبواب مدقق في معالجته للموضوع . وربما وضع تحت الباب

---

(١) انظر السبعة ١٧٥ ، والنشر ٢/٢٢٦ وقد عقد الدكتور عبد اللطيف الخطيب مبحثا قيما حول الخلاف في هذه القراءة وتوجيهه نحويًا ، في كتابه معجم القراءات ١/٢٤٠ – ٢٤٣ .

(٢) المختار ل ١٠ (ب) .

(٣) المختار ل ١٠ – ١١ .

(٤) المختار ل١(أ).

(٥) المختار ل٢(ب).

(٦) المختار ل٣(أ).

بعض الفصول ليتم له الشمول في المعالجة كما فعل في باب الإمالة مثلا .

الاستشهاد عند ابن إدريس :

كتاب ابن إدريس كتاب لغوي في المقام الأول : ولذا فإن قضية الاستشهاد من القضايا البارزة في كتابه ؛ وبما أن الكتاب في القراءات ، فليس ثمة شك في غزارة الاستشهاد في هذا الجانب الذي لا يحتاج للتدليل عليه ؛ لأن كل صفحة من المخطوطة زاخرة بمثل هذا النوع من الاستشهاد .

الاستشهاد بالحديث :

توسط ابن إدريس من الاستشهاد بالحديث فهو ليس مكثرا ، وليس مقلا ، ومن أمثلة ذلك عنده قوله [1] : ... فلما كانت السنة التي حج فيها النبي ﷺ أنه قال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ..." [2]

الاستشهاد بالشعر :

أكثر ابن إدريس من الاستشهاد بالشعر في كتابه على معاني القراءات التي يوجهها، وأكثر ما استشهد به إنما نقله عن غيره ، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة ٢/ ٢٢٩) : " اختلف الناس في معنى الخوف هاهنا فقال أبو عبيدة : معناه : إلا أن يوقنا [3] ، وقال الفراء : معناه : ألا يظنا : لأنه في قراءة أبي (إلا أن يظنا) [4] ، والخوف

---

(١) المختار ل١٢(أ).

(٢) الحديث في صحيح البخاري [كتاب تفسير القرآن ، باب قوله إن عدة الشهور عند الله] برقم ٤٢٩٤ ، وصحيح مسلم [كتاب القسامي والمحاربين ، باب تلغيظ تحريم الدماء والأعراض والأموال]برقم ٣١٧٩ .

(٣) انظر مجاز القرآن ١/ ٧٤.

(٤) هذه القراءة منسوبة لأبي في الطبري ٢/ ٢٧٩. والكشاف ١/ ٢٧٩، وانظر معجم القراءات١/ ٣١٥ .

والظن متقاربان ، قال الشاعر : [الطويل]

أَتاني كَلامٌ عَنْ نُصَـيْبٍ يَقُولُـهُ   وَمَا خفتَ يا سَلاَّمُ أَنَّكَ عَائبي [1]

أي وما ظننت ، وأنشد الفراء :[الطويل]

إِذَا متُّ فَادْفني إلى جنْب كَرْمَـة   تُرَوِّي عظَامي بَعْدَ مَوْتي عُرُوقَهَـا

وَلا تَـدْفنني بِـالفَلاة فَـإنَّني   أَخَافُ إِذَا مَا متُّ أَلاَّ أَذُوقَهَـا [2]

يعني أظن ، والله اعلم " [3] .

مصادر الكتاب :

لم يذكر ابن إدريس سنده لقراءة الثمانية الذين اختارهم ، وهم السبعة المعروفون بالإضافة إلى يعقوب الحضرمي ، ويبدو أنه حذف ذلك اختصارا .

أما اللغويون ، فابن إدريس ينقل عن طائفة كبيرة منهم ، وإن لم يذكر أسماء كتبهم ، ومن أشهرهم :

- أبو عبيدة معمر بن المثنى [4] .
- أبو عبيد القاسم بن سلام [5] .
- أبو حاتم السجستاني [6]

كما ينقل عن بعضهم بقلة ، ومنهم :

- الخليل بن أحمد [7] .
- سيبويه [8].

(١) البيت لأبي الغول الطهوي ، وهو أبو البلاد ، والبيت بغير نسبة في الطبري ٢/ ٢٨٠و ٥/ ٤٠، وانظر شرح أبيات معاني الفراء ٥١ .

(٢) البيتان لأبي محجن الثقفي ، انظر الطبري ٢/ ٢٨٠ بغير نسبة .

(٣) المختار ل١٣ (أ).

(٤) انظر على سبيل المثال : المختار ل ١٣ (أ) .

(٥) انظر على سبيل المثال : المختار ل ٨ (أ) .

(٦) انظر على سبيل المثال : المختار ل ١٤ (أ) ، ول ٧ (أ) .

(٧) انظر المختار ل ٣ (أ) .   (٨) المختار ل ٣ (أ).

أما أصحاب **المعاني** فإن ابن إدريس يجعلهم المصدر الأول لكتابه ، لذلك ترد الأسماء التالية في الكتاب بكثرة ظاهرة :

-الأخفش [1] . - الفراء [2] . -الزجاج [3] . -الكسائي [4] .

بل إنه ليشير إليهم بلقبهم الذي عرفوا به ؛ فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ (البقرة ٢/٨١) : " ... وقال أهل المعاني : التقدير : بلى من كسب سيئته ، ولكن خولف بين اللفظين ؛ لأنه أبلغ في العبارة ، والاختيار توحيد الخطيئة ؛ لأن عليه أكثر الأئمة ، ولما ذكرنا من تقدير أهل المعاني " [5] .

والكتاب في جملته كتاب قيم يذكر قارئه بالفراء والزجاج في عمق تناوله للظواهر اللغوية ، كما أنه بحر زاخر في القراءات وتوجيهها ، واللهجات وأقوال العرب .

وليت أحد الباحثين يولي مثل هذا الكتاب فضل اهتمام ، فيشمر لانتشاله ليضرب بسهم في خدمة البحث اللغوي والتراثي .

---

(١) انظر على سبيل المثال المختار ل ١٧ (ب) .

(٢) انظر على سبيل المثال المختار ل ٢٥ (ب) .

(٣) انظر على سبيل المثال المختار ل ٣١ (ب) .

(٤) انظر على سبيل المثال المختار ل ١٤ (ب) .

(٥) المختار ل ٧ (أ) .

(٢) الجمع بين المعانى والمشكل

أـ باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن

للنيسابوري (ت بعد ٥٥٣ هـ)

هذا كتابٌ ضخم في معاني القرآن ومشكله معًا !

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة ذكر فيها سبب وضعه له ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : " وقد وجدت تفاسيره إما مقصورة على قول واحد من الأولين ، أو مختصة بالتكثير والتكرير كما هو مجموعات المتأخرين ، والطريقة الأولى من فرط إيجازها لا تشفى القلب ، والثانية تعيى على الحفظ ، لإطالة القول ، فعند ذلك رغبت إلى الله جل وعز فى فضل التوفيق لإيضاح مشكلات التنزيل ، وإحسان التوقيف على غوامض التأويل ، بلفظ جزل ، ومخرجٍ سهل، وإيجازٍ فى عاقبة الغريب ، وبعض إطنابٍ فى المشكل العويص ، وربما جمحت فى الرسن ، بإيراد بعض الشعر الحسنِ ، لتمخيض العقل ، وإحجام الطبع ، وليتساهم فيه النظر الأدباء والكتاب ، كما يستقرئ معانيه العلماء وأولو الألباب "[(١)] .

وقد نحا المؤلف نحو العلماء الذين جمعوا بين موضوعي : المعانى والمشكل ، ومنهم: المفضل بن سلمة (ت ٢٩٠هـ) صاحب كتاب (ضياء القلوب في معاني القران وغريبه ومشكله) وأبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨)، صاحب كتاب (المشكل في معاني القران) وأبو الحسن علي بن الجراح الوزير (ت ٣٣٤) صاحب كتاب (معانى القران وتفسيره ومشكله)، والصيدلاني المرزباني (من علماء القرن الرابع الهجري) صاحب كتاب (الموضح في معانى القران وكشف مشكلات الفرقان).

وقد رتب المصنف كتابه – علي طريقة المفسرين – ترتيبًا مصحفيًا، حيث يذكر اسم السورة ثم يشرع في تناول الآيات المنتقاة التى ينوى التعرُض لها ،

(١) باهر البرهان ١/ ١،٢ .

ولو كان الكتاب في مشكل القرآن فقط لاكتفى بالآيات التى طعن فيها الملحدون ، أو قال بتعارض ظاهرها مع غيرها الزنادقة، ولكنه لم يفعل ، وإنما تناول – على طريقة أصحاب المعاني – كثيرًا من الآيات التي أرادوا تبيين غوامضها ، أو تحليل بعض مركباتها ، وإظهار ما يراه من دلالات عميقة ، وقد ابتدأ الكتاب بسورة البقرة وانتهى عند سورة التكوير ، وقال بعدها :" تمت سورة التكوير وبها تم الكتاب بعون الله وتوفيقه "[(١)] .

أما طريقته فى شرح معانى الآيات ، فقد كانت طريقة التعريف – فى أغلب الأحيان – وذلك لثقافته (الموسوعية التى جعلته يستخدم فى كتابه إلى جانب العلوم الشرعية كثيرًا من المعارف الثمينة فى مناحى شتى من فلك وهيئة وطب وهندسة ونبات وحيوان وجغرافيا وطبيعة "[(٢)] .

وأما الاستشهاد عنده فكثير غزير ، وأوله الاستشهاد بالقرآن الكريم والقراءات بأنواعها من متواترة أو شاذة ، حيث كان يوجهها ويبين أثرها فى تفسير الآية ، وإزالة لبسها ، أو استنباط ما فيها من أحكام ، وكان يغلب عليه عدم الالتزام بقراءة إمام معين ، وذكر القراءات غفلاً من الأسماء ، إلاّ فى مواضع نادرة صرّح فيها باسم أصحابها ، كما فعل فى قوله تعالى : ﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ (المائدة ٦/٥) حيث قال " ... ولهذا قرأ الحسن وأرجلُكم بالرفع على الابتداء المحذوف الخبر "[(٣)] . وهو فى توجيهه للقراءة ينقل عن أئمة القراء المعروفين ، كأبى عمرو بن العلاء ، والكسائى[(٤)] .

كما أكثر من الاستشهاد بالأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة ، وهو فى إيراده لها يذكرها مجردة من السند ، وغالبًا ما كان يورد المرفوع بلا ذكر للصحابى الذى روى الحديث عن الرسول ﷺ ، إذ كان يقول " فى الحديث " أو

---

(١) باهر البرهان ١٦٣٩/٣ .
(٢) انظر مقدمة التحقيق ٢٧٦ .
(٣) باهر البرهان ٤١٤/١ .
(٤) انظر باهر البرهان ٤٠٧ ، ١٣٢ ، ١٧٠ ، ٤١٤.

" فى الخبر " ، وكذلك كان يفعل فى أقوال الصحابة والتابعين ، إذ لم يكن يذكر الراوى عنهم إلاّ فى حالات نادرة [١] .

كما كان النيسابورى فى ذكره للأحاديث عامة ، لا يعنى ببيان درجتها العلمية ، ولم يكن يعزوها إلى من أخرجها من أصحاب الكتب المعتمدة .

كما نقل فى كتابه أيضًا عن أتباع التابعين – الثقات والمجروحين معًا – إلا أنه كان يتجنب ذكر الإسرائيليات إلاّ فى معرض الرد عليها .

" وقد بلغت جملة الأحاديث المرفوعة فى كتابه "١٠٤" أحاديث ، والموقوفة "١٢٠" والمقطوعة "١٤٩" حديثًا تقريبًا [٢] "

أما استشهاده بالشعر ، فكان من الكثرة بحيث إنه أفرد كتابًا مستقلاً للشواهد الشعرية فى (باهر البرهان) أشار إليه عند تفسير قوله تعالى :" ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه " حيث أنشد للفرزدق : [الكامل] .

هيهات قد سفهت أمية رأيها فاستجهلت حلماؤها سفهاؤها

ثم قال : " ... كلاهما بالرفع ، كما نشرحه فى كتابٍ بعد هذا مفرد فى معانى أبيات هذا الكتاب " [٣] .

وقد بلغت الشواهد الشعرية فى الكتاب ألفًا وثلاثمائة وبضعًا وسبعين بيتًا [٤] .

أما أغراض استشهاده بالشعر فكثيرة ، منها : بيان الفروق اللغوية ، كما قال تعالى : "كالذى استهوته الشياطين " إذ يقول : " هوى يَهوِى من الهُوِىّ ، وهَوِى يهوى من الهوَى " ثم استشهد بقول الشاعر : [الطويل]

---

(١) انظر البرهان ١/٣٤٥ ، ٢/٩٠٩ . (٢) مقدمة البرهان ٢٠٠ .

(٣) باهر البرهان ١/١٤٠ ، والبيت في ديوان الفرزدق ص ١/١٥٣.

(٤) انظر مقدمة باهر البرهان ٢٩٩ .

وما زُرْتكمْ عمدًا ولكنّ ذا الهوى إلى حيث يَهْوى القلبُ هَوى به الرّجْلُ [1]

ومنها: لتقرير مسألة نحوية، كما قال فى قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ وإذا تقدمت الصفة على الموصوف انتصب ، كقوله : [الوافر]

" لِمَيّـــةَ موحشًـــا طلـــلُ يلـــوحُ كأنـــه خلَـــلُ " [2]

كما يأتى بالشاهد الشعرى أحيانًا لتدعيم المعنى اللغوى الذى اختاره ، كما قال فى تفسير قوله تعالى " يتوفاكم بالليل " : " ... قيل إنه من توفّى العدد ، أى : يحصيكم بالليل ، قال الراجز :

" إنّ بنـــى الأدرم ليســـوا من أحـــدْ

ليسوا إلى قيس وليسوا من أســــدْ

ولا توفّـــاهم قريشٌ فى العـــددْ " [3]

والظاهرة في استشهاداته الشعرية أنه قد يجمع فيكثر الاستشهاد على المسألة الواحدة بأبيات كثيرة وقد يذكر أبياتًا كثيرة من القصيدة لأدنى ملابسة ، أو بلا مناسبة أصلاً ، بل ربما يورد القصيدة كلها [4] !

وتجدر الإشارة إلى أن محققة الكتاب قد غفلت عن ذكر بعض الأبيات فى الكتاب ، ولذا فقد كتبتها كالكلام العادىّ ، ولم تخرجها ، كعادتها مع الشعر ، ومن ذلك قول الشاعر :

الحســـن الظـــنّ مســـتريحُ يغـــتمّ مَـــنْ ظَنُّـــهُ قبـــيحُ [5]

وقد أورده النيسابورى فى كتابه (٣/١٣٤٥) ولم تلتفت المحققة إلى أنه بيت شعر!

---

(١) باهر البرهان ١/ ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٢) باهر البرهان ٢/ ٩٢٣ .

(٣) باهر البرهان ١/ ٤٨٦ .

(٤) انظر على سبيل المثال ص١ /٥٨٥ -٥٨٦ و٣/١٣٨٢ -١٣٨٤ و٣/١٥٧٤-١٥٧٧

(٥) وهو من مخلّع البسيط ، وتفعيلاته (مستفعلن فاعلن مفعولن) فى كل شطر .

ومن ذلك أيضًا قول النيسابورى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ ﴾ (النور ٣٥/٢٤) قيل : إنها ليست بشرقية فى جبل يدوم إشراق الشمس عليها ، ولا غربية ثابتة فى وهاد لا تطلع عليها الشمس كما يقال : [الرجز]

لا خير في المفناة والمضحاة " [١]

إذ لم تنتبه المحققة إلى أن العبارة الأخيرة بيت شعر من الرجز المشطور ، أو شطر بيت من الرجز التام ! وجلّ من لا يسهو !

وكما استشهد النيسابورى بالشعر ، فقد أكثر من الاستشهاد بأقوال العرب وأمثالهم ومنها : " جعلت حاجته بظهر " [٢] ، و" حمى الوطيس " [٣] و" تفرقوا أيدى سبأ " [٤] و" القوم في شَغَر بَغَر " [٥] و" يفتلهم فى الذروة والغارب " [٦] و" ليفرِخْ روعك " [٧] و" لله درّهم فارسًا " [٨] و"أصاب الصواب فأخطأ الجواب " [٩].

أما منهجه فى تناول الآيات ، فقد كان لغويًا فى المقام الأول ، فهو شغوف بالحديث عن الظواهر اللغوية المختلفة ، وهو يقر مثلاً – بوقوع الأضداد فى القرآن ، ويقول عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ ﴾ (الأنعام ٩٤/٦) " ... والبين ليس بظرف هنا ، ولكنه اسم للوصل ، وهو من الأضداد ،

---

(١) باهر البرهان ١٠٠١/٢ .

(٢) باهر البرهان ٦٧٨/٢ ، وهو شطر بيت من المخلع غفلا عنه أيضًا .

(٣) باهر البرهان ٦٦٣/١ .

(٤) باهر البرهان ١١٥٦/٢ .

(٥) باهر البرهان ٥٣٣/١ .

(٦) باهر البرهان ١١٢٤/٢ .

(٧) باهر البرهان ١٠٧٧/٢ .

(٨) باهر البرهان ٣٧٧/١ .

(٩) باهر البرهان ١٢٤٤/٢ .

يتناول الهجر والوصل "[1] .

ويقول أيضًا : " أقوى : من الأضداد ، أغنى وأفقر "[2]، ويقول: " والصريم من الأضداد[3] ويقول في " والليل إذا عسعس " : " أظلم وأدبر ، من الأضداد"[4] ... إلخ

كما يذكر المعّرب أحيانًا ، فقد قال عن " سجيل " : " قيل إنها معربة (سنك) و(كل)[5] وإن كان لا يتوسّع فى ذلك .

كما تحدث عن كثير من الألفاظ المشتركة (التى تطلق على أكثر من معنى) ، كما فى لفظة (المسيح) حيث ذكر له ثمانية معانٍ فى اللغة[6] ، ولفظ (مواخر) حيث يقول : "المخر : هبوب الريح ، والمخر : شق الماء بشىء يعترض فى جهة جريانه ... "[7] كما تعرض لبيان أصل : الحنف ، والعضل ، والعنت[8] كما كان يتعرض لظاهرة الاشتقاق ، فكان يذكر أصل المعنى أحيانًا ، ففى قوله تعالى : ﴿ تُسِيمُونَ ﴾ (النحل ١٦/١٠) يقول : " وهذا السّوم فى الرعى ، من التسويم بالعلامة ، لأن الراعى يسيم الراعية بعلامات يعرف بها البعض من البعض "[9] كما تحدث عن الاشتقاق الأكبر (رجوع معانى الكلمة على اختلاف تركيبها إلى أصل واحد ومادة واحدة) وذلك عند حديثه عن (الأسباط) حيث يقول : " السبط عند المبرد : من سبط عليه

---

(١) باهر البرهان ١/٤٨٠ ، والكلمة فى أضداد ابن الأنبارى ٧٥ .

(٢) باهر البرهان ١٤٥٧/٣،والكلمة في أضداد قطرب ٢٥٣،والمنسوب للأصمعى ٨ والسجستانى٩٣.

(٣) باهر البرهان ١٥٣٣/٣ ، وهى فى أضداد قطرب ٢٦٦ ، وابن السكيت ١٩٥ .

(٤) باهر البرهان ١٦٣٧/٣ ، والكلمة في أضداد قطرب ٢٦٦ ، وابن الأنبارى ٣٣ .

(٥) باهر البرهان ٦٧٥/٢ ، وهى في المعرب للجواليقى ٢٢٩ .

(٦) باهر البرهان ١/٢٩١- ٢٩٢ .

(٧) باهر البرهان ٧٩٦/٢ .

(٨) باهر البرهان ٧٩٦/٢ .

(٩) باهر البرهان ٧٩٥/٢ .

العطاء إذا أكثر ووالى ، كأنه مقلوب بسط ، وكلاهما من الكثرة وهذه هى طريقة الاشتقاق الأكبر وهى رجوع معانى الكلمة على اختلاف تركيبها ، مثلاً فى الثلاثى إذا تصرف على ستة قوالب ، إلى أصل واحد ومادة واحدة "[١] كما ذكر بعض الأمثلة لما شذ عن ذلك[٢] .

كما تحدث عن قضية نشأة اللغة ، فقال : " وأما كيفية تعليم آدم الأسماء فينبغى أن يعُلم أنه لا يجوز ذلك بالعلم الضروري ، لأن المعرفة بالله وصفاته بالاستدلال ، فكذلك بقصده وارداته، ولا يجوز ذلك بالمواضعة والإيماء ، لأنه يتعالى عنه ، فيكون بالوحي والتوفيق حجة معجزة من خلقه فى أول ما أعقله ، إلاّ أن أول اللغة يكون بالمواضعة من الخلق : والاصطلاح عليها ، ثم الله يغيرها ويكثرها بالوحى ، بأن يوقف على مراتب الأسماء والمصادر ، وكذلك مبادى الأفعال والحروف ، ثم يهدى للتصرف والاشتقاق "[٣] كما لم يغفل الإشارة إلى كثير من الألفاظ المترادفة والمتقاربة فى كتابه[٤] .

كما يتحدث عن اللغات الواردة فى القران كثيرًا ففى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الرعد ٣١/١٣) قال : " أى : لم يعلم ولم يتبين فى لغة جرهم[٥] " وفى موضع آخر يقول : " وفى الرهْب لغات : الرَّهْبُ والرُّهْبُ ، كالضَّعْف والضُّعْف والرَّهَبُ والرُّهُب ، كالبَخَل والبُخُل ، والرَّهِبِ والرِّهِب ، كالمَعِزِ والمِعِز "[٦] .

أى أنه ينسب اللغة لأهلها تارة ويغفل النسبة تارة أخرى .

أما اهتمام المؤلف بإعراب الآيات وتوجيهها ، فهو سمة بارزة للكتاب ، وقد كان ينتصر غالبًا – عند الخلاف – لرأى المدرسة البصرية ، كما فعل فى قوله

---

(١) باهر البرهان ١٤٧/١ .
(٢) انظر الكتاب ٢٨٧/١ ، ٣٦٠ .
(٣) باهر البرهان ٦٠/١-٦١ .
(٤) انظر باهر البرهان ٥٤٣/١ ، ٦٩٩/٢ ، ٨٢٢/٢
(٥) باهر البرهان ٧٥١/٢ .
(٦) باهر البرهان ١٠٧٧/٢ -١٠٧٨ .

تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ حيث رجح قول المبرد فى بقاء لعل على أصلها فى الشك [(١)] ، وشكك فى قراءة : "تساءلون به والأرحامِ" بناء على رأى البصريين فى عدم جواز العطف على الضمير المجرور لضعفه ، مع كونها قراءة حمزة ، وهى سبعية متواترة [(٢)] . وهو فى بعض الأحيان لا يذكر إلا رأى البصريين فقط كما فعل فى قوله تعالى : " بل هم قوم طاغون " [(٣)] .

والكتاب موسوعة لغوية وتفسيرية قيمة ، ولذا فإنه جمع كل الظواهر اللغوية التى تحدثت عنها كتب المعانى من قبله ، كما أفاض أيضًا فى الحديث عن المشكل فى القرآن ، وردّ كثيرًا من الشبه التى أثارها الملحدون والمشككون عن طريق اهتمامه بالتنبيه على مذاهب العرب وتفننهم فى أساليب كلامهم ، ليتبين أن ما جاء فى القرآن جار على تلك الأساليب ، كما نبه على كثير من اللطائف التى تتعلق بنظم القرآن من حيث أسلوبه وبلاغته .

وقد أكثر فى كتابه من الردود على ابن الراوندى الملحد المعروف ، وعلى أمثاله من الضالين، ومن أمثلة ذلك أنه نقل قول ابن الراوندى : " ما فى بيض النعام من محاسن الجمال حتى يصير موضع تشبيهها به ؟ " يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (الصافات ٤٩/٣٧) ثم رد عليه بأن العرب قد استفاض عندهم تشبيه المرأة الجميلة المستوية الخلق ببيض النعام ، والقرآن على أسلوبهم ولسانهم ، ثم أنشد عددًا من الشواهد الشعرية فى الجاهلية والإسلام تفحم المشككين [(٤)] .

ومن أمثلة ردوده على النصارى ما علق به على قوله تعالى :﴿ وَيُكَلِّمُ

---

(١) باهر البرهان ٢٣٨/١ .

(٢) باهر البرهان ٣٤٣/١ وانظر قراءة حمزة ﷺ في النشر ٢٤٧/٢ ، والإتحاف ٢٣٦ .

(٣) باهر البرهان ١٣٧٤/٣ .

(٤) انظر باهر البرهان ١٢٠٥/٢، ١٦١٢/٣ .

﴿ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ (آل عمران : ٤٦/٣) حيث قال : " ... وفيه أيضًا رد على النصارى ، فإنّ من يختلف أحواله لا يكون إلهًا " [١] .

كما كان يرد فى كتابه كثيرًا على أبى مسلم الأصفهانى المعتزلى المشهور ، كما رد على كثير من المطاعن التى وجهت لبعض القراءات [٢] .

كما تحدث المؤلف فى ثنايا كتابه عن كثير من علوم القران ، مثل موضوع النسخ فى القرآن ، فقد أطنب فيه إطنابًا شديدًا ، وأثبته ، وبين وجوهه ، والفرق بينه وبين التخصيص [٣] ، كما ذكر بعض الأقوال التى قيلت فى الأحرف المقطعة [٤] ، وتحدث عن المحكم والمتشابه [٥] ، وعن أول ما نزل [٦] وذكر أسباب النزول عند تعرضه لبعض الآيات [٧] ، وأمثال القرآن [٨] ، وما أقسم الله به من أقسام فى القرآن الكريم ، والفرق بين قسم الخالق وقسم المخلوق [٩] ، كما تحدث عن الكثير من الأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن ، منتصرًا لمذهبه الحنفى غالبًا [١٠]

(١) باهر البرهان ٢٩٣/١ .

(٢) انظر باهر البرهان ٤٠٠/١ ، ٧٦٤/٢ ، ٩١٠ -٩١٣ ، ١٢٧٣ .

(٣) انظر باهر البرهان ٦٦/١ ، ٣٢٠ .

(٤) انظر على سبيل المثال : ١٦/١-١٩ .

(٥) انظر ٢٧٥/١ .

(٦) انظر على سبيل المثال : باهر البرهان ٩٥٨/٢ .

(٧) انظر : ٩٩٤/٢ -٩٩٥ ، ٣ /١٤٧٩ ، ١٤٥٣ .

(٨) انظر : ٥٤٣/١ ، ٦٣٤ – ٦٣٥ ، ٧٤٧/٢ -٧٤٨ .

(٩) انظر على سبيل المثال ١٢٢٨/٢ ، و١٣٦٤/٢ – ١٣٦٥ .

(١٠) انظر باهر البرهان ١٨٤/١-١٨٦،٢، ١٨٥/٥٨٢ .

مصادره

أما مصادره فأكثر من أن تحصر ! فالكتاب ضخم ، ونقوله – التى صرح بها – كثيرة جدًا ، ومتنوعة ، فقد انتقى المؤلف مادة كتابه من مجموعة كتب معتبرة فى التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والغريب ، والشعر ، والأدب ، والهيئة ، غير أنه فى غالب نقوله يكتفى غالبًا بذكر اسم المؤلف دون اسم كتابه .

فمن مصادره فى التفسير :

١) ابن قتيبة ، صاحب (تأويل مشكل القران) وقد صرح باسمه فى خمسة مواضع فقط [١] .

٢) (أبو مسلم الأصفهانى) المعروف بابن بحر (ت ٣٢٢هـ) صاحب (جامع التأويل لمحكم التنزيل) وقد صرح باسمه كثيرًا جدًا ، ولكن فى معرض نقده ، والرد عليه [٢]

٣) الثعلبى (ت٤٢٧ هـ) صاحب الكشف والبيان فى تفسير القرآن) ، نقل عنه النيسابورى كثيرًا ولكن لم يصرح باسمه إلا مرة واحدة [٣] .

٤) أبو الحسن الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) صاحب (النكت والعيون) ولم يصرح باسمه سوى مرتين مع انه أكثر من النقل عنه [٤] .

وإلى جانب هؤلاء الأربعة ، فقد نقل النيسابورى أيضًا عن أحد عشر مفسرًا آخرين ولكن نقله عنهم كان قليلاً بالقياس إلى هؤلاء الأربعة [٥] .

---

(١) انظر باهر البرهان ١/١٧٤ ، ٥٤٣ ، ٢/٧٢١ ، ٨٤٤ ، ١٠٣٢ .

(٢) انظر باهر البرهان ١/٦٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ٢٤١ ، ٣٢٠ ، ٣٥٦ .

(٣) انظر باهر البرهان ٣/١٥٠٤ .

(٤) انظر باهر البرهان ٣/١٤١١ ، ١٥٨٥

(٥) انظر مقدمة التحقيق ٢٦٣ .

ومن مصادره فى معانى القران [1] :

١ - يونس بن حبيب الضبى (ت ١٨٢هـ)

٢ - على بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩ هـ)

٣ - محمد بن المستنير قطرب (ت ٢٠٦هـ)

٤ - أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)

٥ - أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش(ت٢١٥هـ)

٦ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

٧ - أبو العباس محمد يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)

٨ - أبو إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج (ت ٣١١ هـ)

٩ - أبو الحسن محمد بن كيسان النحوى (ت ٣٢٠هـ)

١٠ - أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٥٥ هـ)

١١ - عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (ت ٣٤٧هـ)

وقد كان ينقل عن هؤلاء جميعًا ، دون أن يصرح بأسماء كتبهم فى المعانى ، باستثناء الصولى ، فقد صرح باسم كتابه إذ يقول : " وحكى الصولى فى معانيه : أن بعض الكُتّاب آنكر الإرادة للجماد ، وتكلّم على وجه الطعن ، فألقمته الحجر بقول الراعى : [الكامل]

في مهمه فلقت بها هاماتها فلق الفئوس إذا أردن نصولا [2]

كما نقل النيسابورى عن طائفة من أئمة القراءات واللغة والحديث ، ومنهم : أبو عبيدة والقاسم بن سلام ، وأبو على الفارسى ، وابن جنى ،

---

(١) انظر مقدمة التحقيق ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٢) باهر البرهان ٢/٨٧٤ ، والبيت فى ديوان الراعى النميرى ق ٢٠/٥٨ ص ٢٢٢ ، وتفسير الطبري ١٨٧/١٥ ، والقرطبى ٢٦/١١ ، واللسان (رود) ٣ / ١٨٩ ، وفيها جميعًا (قلقت – قلق الفئوس).

وأبو سليمان الخطابى ، والخليل بن أحمد وسيبويه والنضر بن شميل ، وأبو عمرو الشيبانى ، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى وابن الإعرابى وابن السكيت ، وثعلب ، وابن الأنبارى ، والأزهرى والأصمعى ، والمفضل الضبى والزجاج وابن السّراج[1] .

والنيسابورى – رحمه الله – كان يناقش هؤلاء الأئمة ، وينبه على بعض الأوهام التى وقع فيها من سبقه ، مصّرحًا بالاسم تارةً ، ومبهمًا مرةً أخرى . ولكن فى لغةٍ عفةٍ ولهجةٍ مهذبةٍ كما صنع عند قوله تعالى : ﴿ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (الحج ١٥/٢٢) إذ قال : " وقال أبو عبيدة : أن النصر المطر من قولهم : أرض منصورة ، وسياق الآية ، وقوله : ﴿ فِى ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ يمنع من هذا القول "[2] .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾ (الأحزاب ١٠/٣٣) : يقول : " وقيل : معنى بلغت : كادت تبلغ ... وأفسد ابن الأنبارى هذا التأويل ، وقال : (كاد) لا يضمر ألبتة ، ولو جاز إضماره لجاز (قام زيد) بمعنى (كاد يقوم) ، فيصير تأويل (قام زيد) : لم يقم زيد . والتاويل صحيح غير فاسد لأن إضمار (كاد) أكثر من أن يحصى ، ولكن بحسب الموضع المحتمل ... "[3]

كما رد على بعض آراء للفراء دون أن يصرح باسمه ، ومن ذلك ما صنعه عند قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (إبراهيم ٢/١٤) حيث بين وجه الجر فى الآية ، وانه على البدل ، أو عطف البيان ، ثم قال: " ولا يجوز الجر على أنه صفة للحميد ، لأن الشيء يوصف بما هو أنقص منه

---

(١) انظر مقدمة التحقيق ٢٦٦ – ٢٧١ .

(٢) باهر البرهان ٩٤٦/٢ .

(٣) باهر البرهان ١١٢٦/٢ .

وأخص ، وهذا الاسم العظيم فوق كل اسم ، وبمنزلة الأسماء الأعلام ، فلا يصلح وصفاً "[1] والقول بجر لفظ الجلالة على أنه صفة للحميد هو قول الفراء فى معانيه[2] .

كما رد موقف النحاة الرافض لقراءة حمزة : " وما أنتم بمصرخيِّ "[3] بكسر الياء ، حيث ذكر أن هذه لغة لبنى يربوع (وهم بطن من بنى تميم) ، وذكر للقراءة وجهين وجيهين [4] .

وأما فوائد هذا الكتاب ومزاياه ، فكثيرة جداً ، فنذكر منها على سبيل الإجمال :

١) حسن استشهاده بالمأثور وباللغة على حد سواء .

٢) إعراضه عن الإسرائيليات والموضوعات ، وإن كان يستأنس بالضعيف فى حالات قليلة .

٣) حفظه لكثير من النصوص اللغوية والتفسيرية من مصادر مفقودة لنا الآن ، وبخاصة فى معانى القرآن ، كمعانى الكسائى وقطرب والجاحظ والصولى وغيرهم.

٤) عدم اكتفائه بالنقل المجرد عمن سبقه ، بل كان يتعقب آراءهم ، وينقدهم – كما مر – ولذا فقد ظهرت شخصيته العلمية المتميزة بوضوح ورسوخ .

٥) وفرة الشواهد الشعرية ، وحفظها من الاندثار ، فالكتاب فيه من الشواهد - فى كثير من الأحيان – ما ليس فى غيره .

٦) تمكنه من اللغة جعله يطنب فى بيان المعنى اللغوى للكلمة ، ويعرج على اشتقاقها، وتصريفها وإعرابها ، وهى كنوز مهمة يحفل بها كتابه .

---

(١) باهر البرهان ٢/٧٥٧ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٦٧ .

(٣) انظر تخريج هذه القراءة والرد على من طعن فيها في الإتحاف ٣٤٢ .

(٤) انظر باهر البرهان ٢/٧٦٤ وهناك أمثلة أخرى لردوده ، انظر ١/٤٠٠ ، ٢/٩١٠-٩١٣ ، ١٢٧٣ .

٧) ردوده القيمة والمفحمة على بعض الملحدين ، والمشككين ، وأهل البدع والأهواء .

٨) غزارة الثقافات والمعارف الثمينة في مناح متعددة من فلك وطب وهندسة ونبات وحيوان وجغرافيا وطبيعة وهيئة ... الخ . وما يزخر به كتابه القيم من معلومات .

ولكن لأن الكمال لله وحده ، كان لابد من وجود بعض المآخذ القليلة ، ومنها :

١) إقراره لبعض الأقوال الغريبة فى تفسير الآيات أحيانًا ،ومن أمثلة ذلك ، ما قاله فى قوله تعالى: ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (البقرة ٢٨٢/٢) حيث قال : " أى تجعلها كذكر من الرجال "[١] !

٢) وفى قوله تعالى : ﴿ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ (الكهف ٦٠/١٨) " يقول : " وقيل أراد بالبحرين : الخضر وإلياس ، لغزارة علمهما "[٢] !

٣) عدم ذكر أسماء بعض العلماء ، مع أنه ينقل من كتبهم كثيرًا ، مثل الثعلبى والماوردى – كما مر سابقًا ...

٤) تأويله لآيات الصفات ، وصرفها عن ظاهرها[٣] .

٥) الإخلال بالترتيب المصحفى الذى بنى عليه كتابه ، وذلك فى مواضع قليلة ، حيث كان يقدم آية على أخرى للسهو فى الغالب[٤] .

٦) إيراده لبعض المعارف – التي كانت سائدة فى عصره – وهى مجانبة للصواب ، ولكنه معذور فى ذلك لقصور العلم في زمانه . وقد كان يذكر أقوال المنجمين – فى أحيان قليلة – دون أن يعقب عليها[٥] ، مع أنه لم يكن يعتقد تأثير الكواكب بذاتها ، وكان يرفض ما يدعيه

---

(١) باهر البرهان ٢٦٩/١ .

(٢) باهر البرهان ٨٧٠/٢ .

(٣) انظر على سبيل المثال الآية الأخيرة فى سورة الفاتحة ١٣/١ .

(٤) انظر مقدمة تحقيق الكتاب ٢٨١ .

(٥) انظر على سبيل المثال ٩٧٢/٢-٩٧٣ .

المنجمون غالبًا[1] .

وفي النهاية .. أرى أن هذا الكتاب المهم فى معانى القران والمشكل معًا ، سوف يكون محورًا لكثير من الأبحاث والدراسات حينما يعرف أمره ويظهر قدره ، وبخاصة بعد هذا التحقيق الطيب من الباحثة سعاد صالح سعيد بابقي ، الذى زاد الكتاب بهاء فوق بهائه ، وإن لم يخل – كشأن البشر – من بعض الهنات ، التي لا تقلل من حجم الجهد المبذول بصبر وأناة وعلم وحكمة.

(٣) الجمع بين المعاني وعلوم التفسير

لوامع البرهان وقواطع البيان فى معانى القران

لمحمد بن الحسين المعينى (ت فى حدود سنة ٥٨٤هـ)

ليس لهذا الكتاب مقدمة تبين سبب وضعه ، ولا منهج تأليفه ، ويبدو أنها ساقطة من المخطوطة ، إذ تبدأ المخطوطة بـ " رسول الله ﷺ فيه قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ، يقول العبد فيها : " الحمد لله رب العالمين " يقول الله تعالى : حمدني عبدي ... "[2] إلخ .

ويبدأ المؤلّف بعد ذلك فى تناول سور القرآن على الترتيب المصحفى المعهود ، منتقيًا بعض الآيات وبادئًا بالفاتحة ، ومنتهيًا بالناس .

---

(١) بدليل ردوده عليهم فى تفسيره لسورة النجم ، انظر باهر البرهان ١٤٠٤/٣ -١٤٠٦ و١٢١٠/٢ .

(٢) لوامع البرهان ١ .

والكتاب يمكن أن نعدّه من كتب معانى القرآن – مع بعض التجوز وغض الطرف – وإن لم يكن خالصًا ، فليس تفسيره لغويًا في كل الأحيان ، وإنما يتجاذبه التفسير بالمأثور فى أحيان كثيرة ، والتفسير الصوفي في أحيانٍ أخرى.

فمن التفسير اللغوى عنده اهتمامه بالنحو ، والبحث عن أصول اشتقاق الكلمات ، وذكر بعض الظواهر اللغوية كالإدغام والمعرّب .

وأما اهتمامه بالنحو فيتجلى للقارئ للوهلة الأولى لمطالعة الكتاب ، ففي تعليقه على "بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ " يقول : " الباء تقتضى تعلق فعل الاسم خبرًا أو أمرًا وموضعه نصب على معنى : ابتدى ، أو : أَبتَدِئُ ، أو رفع على المعنى: ابْتُدِئَ ، أو رفع على معنى : ابتدائي ، والاسم : من السمو لجمعه على أسماء ، وتصغيره (سميا) ، وليس من السمة ، لأن محذوف الفاء لا يدخله ألف الوصل ، وإنما الاسم منقوص ، حذف لامه ليكون فيه ما فى الفعل من التصرّف ، إذ كان أشبه من الحروف ، ولحقته ألف الوصل عوضًا من النقص ، والاسم غير المسمى ... " [١]

وأما اهتمامه بالاشتقاق وأصول الكلمات والمعانى ، فمن أمثلة ذلك قوله فى تفسير ﴿ ٱلرِّجْزَ ﴾ (الأعراف ١٣٥/٧) : " العذاب ، من الرجز داء يصيب الإبل " [٢] ، وكذلك قوله تعالى في ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ (المائدة ٦٩/٥) : " وفي اللغة صبأ الرجل إذا مال وزاغ"[٣] ومن أمثلة اهتمامه بالإدغام قوله فى ﴿ فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ ﴾ (البقرة ٧٢/٢) : " تدافعتم ، دفع كل قبيل عن نفسه ، وهو (تدارأتم) أدغمت التاء فى الدال " [٤] وقوله في ﴿ تسّاقط ﴾ وهى قراءة فى تساقط : "تسّاقط :

---

(١) لوامع البرهان ٣ .
(٢) لوامع البرهان ٣ .
(٣) لوامع البرهان ٣ .
(٤) لوامع البرهان ٥ .

تتساقط ، أدغمت التاء في السين " [1]

ومن أمثلة اعترافه بالمعرّب في الأسماء قوله في ﴿ طُوًى ﴾ : " اسم أعجمي لوادٍ معروف ، فلم ينصرف للعُجمة والتعريف ... " [2]

وإلى جانب اهتمامه الكبير بالنحو واللغة نجد اهتمامه بنقل كلام أهل التصوف تصريحاً تارةً، وبلا تصريح تارة أخرى، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ (طه:٢٠/٤٠) يقول المعينى : " قدر : موعد ... وفى لسان أهل التصوّف : عبارة عن الوقت ، والوقت اسم لظرف الكون ... " [3] .
ومن أمثلة ما شاع فى كتابه من مصطلحات صوفية قوله : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ (طه : ٢٠/٧٢) : هذا إشارة إلى مقام الموافقة ... والموافقة أن يرتفع اختيار العبد ، فيستوي عنده المنع والقطعْ ، والمدحُ والذم ، والحياة والموت..." [4]

وأما التفسير بالمأثور عنده فيجرنا إلى قضية الاستشهاد عند المصنف ، ونستطيع القول أن الكتاب مشحونٌ بالاستشهاد بالقرآن والحديث والمأثورات الشعرية والنثرية !

أما الاستشهاد بالقرآن فمن أمثلته في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (البقرة: ٢/٧٩) : " فائدة ذكر الأيدى لتحقيق الإضافة كقوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ (سورة ص ٣٨/ ٧٥) إذ الفعل يضاف إلى الآمر كقوله : ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (القصص ٢٨/٤) وكان يأمر بذبحهم ... " [5]

---

(١) لوامع البرهان ١٢٩ .
(٢) لوامع البرهان ١٣٢ .
(٣) لوامع البرهان ١٣٣ .
(٤) لوامع البرهان ١٣٥ .
(٥) لوامع البرهان ٦ .

ومن أمثلة استشهاده بالحديث المرفوع ما أورده فى تفسيره لـ ﴿ ٱلْحُطَمَةُ ﴾ حيث يقول : "... وقال ﷺ (شر الرعاء الحطمة) وهو العنيف ... " [١]

ومن أمثلة استشهاده بالآثار الموقوفة على الصحابة – وهو كثير – ما جاء فى تفسير سورة الفيل ، حيث يقول : " قالت عائشة – رضى الله عنها – : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان " [٢]

أما الآثار المقطوعة ، فأكثرها عن عكرمة [٣] ومقاتل [٤] وسعيد بن جبير [٥] ، وهم جميعًا من تلامذة ابن عباس ﷺ .

أما استشهاده الشعري فقليل . وغالبه استشهاد نحويٌّ ، ومن ذلك ما ذكره لإثبات ما اختاره في قراءة ﴿ إِنّ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ (طـه: ٢٠/٦٣) حيث يقول : " وقيل معنى (إِنْ) نعم ، قال الشاعر : [الكامل]

بكـر العـواذل بالصبـو ح يلمنـني وألومهنّـه
ويقلن شـيبٌ قـد عـلا ك وقـد كـبرت فقلـت إنّـه

أي : نعم " [٦]

ومن أمثلة استشهاده بأقوال العرب قوله في ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ (البقرة : ٢/٧٨): " ... والميم والنون والحرف المعتل أصل يدلّ على تقدير الشيء ، ونفاذ القضاء به ، ومنه قول العرب : (منى له المانى) اى قدّر له المقدر " [٧].

وأما مصادر المعيني في كتابه فكثيرة ، وإن كان لا يذكر أسماء الكتب

---

(١) لوامع البرهان ٢٦١ .
(٢) لوامع البرهان ٢٦٢
(٣) لوامع البرهان ٢٦٢
(٤) انظر لوامع البرهان ٢٦١ .
(٥) انظر لوامع البرهان ٢٦٢ .
(٦) لوامع البرهان ١٣٤ .
(٧) لوامع البرهان ٦ .

التى نقل عنها ، فمن اللغويين أصحاب المعانى ينقل عن الفراء [1] وأبى على الفارسي [2] ومن النحويين ينقل عن سيبويه [3] وأبى عمرو بن العلاء [4] ، وربما كان المعينى ينقل عن غير هؤلاء من الفقهاء كأحمد بن حنبل [5] ويرد عليه ، أو الأصوليين كإمام الحرمين : الجوينى [6] أو الصوفية كأبى على الروذبارى [7] .

والمعينى ناقد حاذقٌ لما ينقل ، ومناقشٌ بصير ، ولا يعيبه سوى الحدة الشديدة فى الرد على مخالفيه ، فهو يصف الحنابلة بالجمود لرفضهم التأويل فى النصوص إلاّ في مواضع قليلة ، ويتهم الفلاسفة بالإسراف لقبولهم التأويل جملة [8] .

وغالب حدته محمودة ؛ لأنها نابعة من غيرته على كتاب الله تعالى ، ولعلّنا نلتمس له بعض العذر مثلاً فى قوله : " روى عيسى بن عمر أن عثمان ﷺ ، قال : (أرى فيه – أي القرآن – لحنًا ، ستقيمه العرب بألسنتها) ، ومثل هذا لا يجوز أن يروى عن عثمان ﷺ ، فإن كتاب الله لم يكن فى مضيعة حتى تقيمه العرب بألسنتها ، وكيف يجوز هذا ، وهم فصحاء العرب ، ونجباء الصحابة ، وقرأوها ولم يعرفوا خطأها ! هذا قول جاهل لا يعرف ما يروى " [9]

ومهما يكن من شىء ، فان الكتاب قيمٌ ونافع كل النفع ، وهو يلقى الضوء على طرق التأليف في المعاني في القرن السادس الهجرى .

---

(١) انظر اللوامع ٦ .
(٢) انظر اللوامع ١٣٤ .
(٣) انظر اللوامع ١٣١ .
(٤) انظر لوامع ١٣٤ .
(٥) انظر اللوامع ٦ .
(٦) انظر اللوامع ٨ .
(٧) انظر اللوامع ٢٦٣ .
(٨) انظر اللوامع ٦ .
(٩) انظر اللوامع ١٣٤ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

كتبٌ

واهية الصلة بمعاني القرآن

وصلت إلينا بعض الكتب التي تحمل عنوان (معاني القرآن) ، ولكنها من الناحية الواقعية واهية الصلة بالمعاني ، بل إن بعضها لا يمت للمعاني بصلة أصلاً ! وقد رصدت منها كتبًا خمسة ، هي :

١) **معانى القرآن ، المنسوب للكسائى .**

ومعلوم أن معاني الكسائى مفقود ، وقد قام أحد الباحثين بجمع آراء للكسائى من بطون كتب التراث ، وجمعها فى كتاب واحد ، أطلق عليه (معانى القرآن – للكسائى) وسوف أناقش هذا الصنيع . فيما يأتي بإذن الله .

٢) **تفسير معانى القرآن ، لأبى الحسن الطبري .**

وهذا كتاب في (أحكام القرآن) وليس فى المعانى.

٣) **الإبانة عن معانى القراءات ، لمكي بن أبى طالب القيسي .**

فهذا الكتاب ليس فى معانى القراءات ، كما يتبادر من العنوان ، وإنما فى موضوعات متفرقة حول القراءات المتواترة والشاذة ، وشروط القراءة المقبولة.

٤) **كشف المعانى فى المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة .**

وهذا في (متشابه القرآن) وليس فى المعانى .

٥) **معانى القرآن بين الرواية والدراية ، للباقورى .**

وهذا كتاب لحق صاحبه بالرفيق الأعلى دون أن يضع له عنوانًا ، فتولى أحدهم وضع هذا العنوان له : فجاء على غير مسمّى ، لأنه لا صلة له مطلقًا بالمعاني !

(١) معاني القرآن
المنسوب للكسائي

لا شك أن للكسائى كتابًا بعنوان (**معاني القرآن**) ، فقد تضافرت كتب التراجم والطبقات على نسبة هذا الكتاب إليه ، ولكن الكتاب – على الرغم من مكانته وأهميته – فُقد فيما فقد من كنوزنا اللغوية الثمينة !

أما سبب تأليفه لهذا الكتاب فليس لدينا فى ذلك شيء ذو بال سوى نصٍّ صغير للزبيدى فى طبقاته يرويه عن الأخفش ، يقول : " قال لي الكسائى : أولادي أحبّ أن يتأدّبوا بك ، ويخرّجوا على يدك ، وتكون معي غير مفارقٍ لى ، وسألني ذلك ، فأجبته ، فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألني أن أؤلف له كتابًا فى معانى القرآن ، فألّفت كتابي في المعاني ، فجعله إمامًا لنفسه ، وعمل عليه كتابًا فى المعانى ، وعمل الفراء كتابه فى المعانى عليهما " [١] .

وسواء صحّ كلام الأخفش أم لم يصح ، فإن كتاب (**معانى القرآن**) للكسائى من أهم الكتب التى أُلّفت فى مجاله ، فقد جاء فى مجالس العلماء للزجاجى[٢] أن الكسائي كان يعلم كتاب معانى القرآن لمحمد والمأمون آبناء الخليفة الرشيد.

وقال الأزهري :" للكسائى كتاب فى معانى القرآن حسن ، وهو دون كتاب الفراء فى المعانى"[٣] ولعله يقصد دونه فى الحجم لا فى الحسن والمكانة.

وقال أبو عمرو الدوري : " سمعت هذا الكتاب ، معانى الكسائى ، فى مسجد السواقين ببغداد على أبى مسحل ، وعلى الطوال ، وعلى سلمة ، وجماعة ، فقال أبو مسحل : لو قرئ هذا الكتاب عشر مرات لاحتاج

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٧٠ ، ٢٥٦ .

(٢) ص ١٦ .　　(٣) التهذيب ١/ ١٦.

من قرأه أن يقرأه "[1].

وقد قام الدكتور عيسى شحاتة منذ سنوات قليلة بإعادة بناء كتاب معانى القرآن للكسائى وقدمه للقراء من جديد ، بعنوان (معانى القرآن ، لعليّ بن حمزة الكسائى)[2] .

وقد ذكر فى مقدمته أن السبب الذى حدا به إلى ذلك هو ضياع الكتاب ، وعدم وجود شيء منه في أية مكتبةٍ في العالم ، يقول الباحث : " ومن ثم أصبح أمامي طريقان كلاهما صعب ، إما أن أدع هذا الموضوع ، وهذا شيء صعبٌ على نفسي ، لأني مقتنع بأهمية هذا الكتاب ، وإما أن أواصل البحث والتنقيب ليل نهار فى بطون أمهات كتب التراث المتعددة لجمع نصوص الكسائى حول معانى القرآن الكريم "[3].

وقد اختار الباحث الطريق الثاني – على الرغم من وعورته وصعوبته – وقام بجهد ضخم فى جمع النصوص المنسوبة للكسائى من كتب التراث على اختلاف مشاربها (من تفسير ولغة ونحو وقراءات) لأن الكسائى كان لغويًا ونحويًا وقارئًا من القراء السبعة .

وقد جمع الباحث كل ما استطاع جمعه من هذه النصوص ، ووزعها على سور القرآن الكريم ، فالمواضع التي تتعلق ببعض الآيات فى سورة البقرة ، وضعها فى البقرة ، والتي تتعلق بآل عمران وضعها فيها .. الخ . وهكذا تمت إعادة تكوين الكتاب – فيما يرى المؤلف !

وقد وافقه على هذه الطريقة أستاذ كبير هو الدكتور محمود فهمي حجازي ، حيث يقول فى تقديمه لهذا الكتاب : " هذا كتاب أعيد تكوينه بعد أن

---

(١) إنباه الرواة ٢/٦٥. (٢) وقد قامت بنشره دار قباء للطباعة عام ١٩٩٨م.

(٣) معانى القرآن للكسائى ٣.

تلاشت مخطوطاته ، ويمثل ضربًا من العمل يكاد يضارع الكشف عن شيء ضائع ، ويقدم كتابًا ذا ملامح نرجح أن تكون أقرب إلى الأصل القديم " بل إن الدكتور حجازي يطالب باتباع الطريقة نفسها مع كتب أخرى للكسائى وغيره حيث يرى " أن إعادة تكوين الكتب المبكرة لها أهمية علمية " ويقول أيضًا: " إن كتب الكسائى[1] الكثيرة تتطلب إعادة بناء فى ضوء هذه النقول ، ومن ذلك كتاب (مختصر النحو) ، و(كتاب القراءات) .

ومع تقديري الكبير للباحث - وما بذله من جهد - وللأستاذ الكبير الدكتور حجازي ، فإني أخالفهما كل المخالفة فى نسبة هذا العمل الجديد إلى الكسائى وذلك للأسباب الآتية:

أولاً : عدم توثيق النصوص :

وردت النصوص التى جمعها الباحث فى (معانى القرآن) فى كثير من المواضع مرسلة بلا إسناد مثلاً :" روى الكسائى "،" زعم الكسائي " و" قال الكسائى "، " أجاز الكسائى " [2]... إلخ .

فكيف نطمئن إلى صحة نسبة النص إلى الكسائى ؟ وكيف نجزم بأنه له مع إمكان وقوع الوهم من صاحب المصدر المنقول عنه ؟ بل يمكن أن يقع الكذب عليه ، انتصارًا لفكرةٍ ، أو دحضًا لرأى ما . وبخاصة أن الكسائى علم كبير ، وإمام عظيم القدر ، ويكفى أنه أحد القراء السبعة الذين تلقت الأمة قراءتهم بالقبول ، فنسبة شيء إليه - بلا تثبت - قد يكون كارثة ، لاسيما إذا كان فى المعانى أو القراءات . وهو فى أخف حالاته تضليل وتزييف ، وقديمًا قال علماؤنا: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء !

---

(١) انظر كلام الدكتور حجازي في تقديمه لكتاب معاني القرآن للكسائى ص ١ .

(٢) وقد أشار الباحث الفاضل نفسه إلى هذا ، انظر معاني القرآن للكسائى ١٦ .

ثانيًا : الشك فى نسبة آراء الكسائى إلى معانى القرآن

أكثر المصادر التي نقل عنها الباحث آراء الكسائى لم تُشر – من قريب أو بعيد – إلى ورود تلك الآراء في كتاب (معاني القرآن)، فمثلاً عند تفسير قول الله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة: ١/٤) يقول الباحث : " .... وقال الكسائى : قراءة أهل مكة (ملِك) "[١] .

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هنا : أين قال الكسائى هذا القول ؟ وبخاصة أن كتبه التى تدور حول الدراسات القرآنية كثيرة [٢] .

أليس من المحتمل – وقد يكون راجحًا – أن يكون هذا النص – وأشباهه – مأخوذًا من كتاب الكسائى المفقود فى القراءات ، وليس فى (معانى القرآن) ؟

أليس مما يقوى هذا الاحتمال أن المصدر الذى نقل عنه الباحث الفاضل قول الكسائى السابق هو كتاب المصاحف للسجستانى ، وهو كتاب فى القراءات وليس فى المعانى ؟

فلو أن الباحث الفاضل كرر هذه التجربة ، وجمع النصوص حول القراءات المنسوبة للكسائى فى المصادر ، ليعيد كتاب الكسائى المفقود فى القراءات ، ألن يضع كل القراءات وما يتعلق بها فى كتابه الجديد ؟

إن هذا أمر منطقي ، وهذا معناه أن آراء الكسائى التى ذكرتها المصادر فيما يتعلق بالقراءات ليس موضعها – في الغالب – كتاب (معانى القرآن) بل كتاب (الآثار فى القراءات) ، وقُل مثل هذا أيضًا فى آراء الكسائى النحوية ، فربما تكون مأخوذةً من كتبه المفقودة فى النحو ، وليس من (معانى القرآن).

---

(١) معاني القرآن للكسائى ٦٠ وهناك أمثلة أخرى كثيرة في القراءات . انظر مثلا ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥، ١٢٠ ، ١٣١ .

(٢) ومنها كتاب في (المشتبه في القرآن) ، وفى (اختلاف المصاحف) وفى (القراءات) ، وفى (مقطوع القرآن وموصوله) ، وفى (أجزاء القرآن) ، وفى (الهاءات المكنى بها في القرآن).. الخ.

إن هناك فرقًا بين إثبات صحة نسبة الرأي لقائله ، وبين إثبات وجود النص فى كتاب معين من كتبه الكثيرة.

ولئن غضضنا الطرف عن مسألة الإسناد – مع كونها تقدح فى نسبة الرأي للكسائى – فكيف نغض الطرف عن الزعم بأن كل ما وجده الباحث الفاضل فى المصادر منسوبًا للكسائى هو من كتابه (معانى القرآن) لا من كتبه الأخرى ؟

إن الادعاء بأن هذا الرأي أو ذاك مأخوذٌ من كتاب كذا أو كذا ، مسألة لا يكفى فيها الحدس والتخمين ، بل لابدّ فيها من دليل قاطع .. ولا دليل !

فكيف – وأكثر نصوص الكتاب على هذا النحو – نقطع بصحة نسبة ما فيه من أقوال إلى كتاب المعانى بالذات ؟

نعم ، إن المؤلف قد يورد النص الواحد له فى أكثر من كتاب ، ولكن هذه مسألة احتمالية ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

ثالثًا : الشك فى طريقة بناء الكتاب :

لا نستطيع القول إن طريقة بناء الكتاب تشبه طريقة الكسائى فى مؤلفه الأصلي ذلك لأننا لا ندرى شيئًا عمّا فعله الكسائى فى كتابه .

فبصرف النظر عن طريقة الترتيب المصحفى فى تناول السور والآيات – وهى الغالبة على كتب المعانى كلها – فإن طريقة بناء الكتاب يكتنفها الغموض من كل جانب ، ولذا فإننا لا نزعم أن ما قدمه الباحث (صورة تقريبية) لكتاب الكسائى وذلك للأسباب التالية :

١ ـ اختيار أسماء السور :

لم يذكر لنا الباحث الفاضل المعيار الذى تم على أساسه اختيار أسماء السور . ولم يقل لنا هل هذا اختيار الكسائى أو اختياره الشخصي ، وبخاصة أن بعض السور لها أسماء كثيرة فإن كان هذا اختيار الكسائى ، فلم لم يذكر الباحث الفاضل مصدره فى هذا ؟

وإن كان اختيار الباحث الشخصي فلم لم يُشر لهذا في الهامش ؟ حتى لا يقع القارئ في الوهم والالتباس من ناحية ، وحتى لا ينسب شيئًا للكسائي لم يثبت ، من ناحية أخرى .

٢ ـ الزيادة على متن الكتاب :

كان الباحث الفاضل يقع في الوهم أحيانًا – شأن جميع البشر – فيقحم على الكتاب ما ليس منه ، ومن ذلك :

أ – عند تعرضه لقولة تعالى : ﴿ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ (القصص : ٢٨/ ٣٠) نجده قد أورد كلامًا للكسائي[1] لا صلة له بالآية إذ يقول : " قال الكسائي : الشط بغير ألف هو السنام . قال الشاعر [الرجز]:

كَأَنّ تحت ثوبها المنْعطّ
إذا بَدا منها الذى تغطّى
شطًّا رميت فوقه بشطّ
لم يعلُ فى البطن ولم ينحطّ[2]

ونسى الباحث أن لفظ القرآن (شاطئ) ، لا شطّ، وأن المعنى هنا لا علاقة له بالسنام!

ب – عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ (الانفطار: ١٩/٨٢) كتب الباحث يقول : " [قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يومُ) بضم الميم . وقرأ الباقون (يوم) بفتح الميم] ".

ثم علّق في الهامش قائلاً : " هذا الكلام ليس للكسائي ، وانما ذكرته من السبعة لابن مجاهد لتوضيح رأى الكسائي "[3] وقد كان الأولى به

(١) من كتاب : ما تلحن فيه العامة للكسائي نفسه ١٠٩ .

(٢) معاني القرآن للكسائي ٢٠٩ ، ٢١٠.

(٣) المعاني ٢٥١، وأمثلة ذلك كثيرة في كتابه تركناها للاختصار ، انظر ص١٦٦،٢٠١،٢٥٠.

أن يجعل هذه الجملة التفسيرية لرأى الكسائى فى الهامش لا فى المتن ، حتى لا يقحم على النص ما ليس منه بلا ضرورة !

جـ - الغريب أن الباحث كان يترك أحيانًا نصًا مهمًا - وفقًا لمنهجه - فلا يضعه فى متن الكتاب ، وإنما يكتفى بوضعه فى الهامش ، ومن أمثلة ذلك ما فعله عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ ﴾ (الفجر : ٨٩/١ : ٤) فقد أورد كلامًا كثيرًا فى المتن من مجالس العلماء للزجاجى ، بينما أغفل قول ابن مجاهد فى السبعة : " قال أبو عبيدة : كان الكسائى يقرأ دهرًا : (يَسْرِي) بالياء ، ثم رجع إلى غير الياء[1] واكتفى بوضعه في الهامش !

٣ - التخمين في اختيار موضع مناسب لكلام الكسائي :

اعتمد الباحث على التخمين والحدس فى وضع كلام الكسائى - الذى نقلته المصادر - فى موضعه الصحيح من كتابه . وربما اعتمد على الحسابات المنطقية ، وهى ليست شرطًا فى تأليف الكتب ، لقد كان يتبع صاحب المصدر الذى نقل عنه غالبًا - لأنه لا يعرف - ولا أحد فى الدنيا الآن يعرف - كيف كان الكسائى يبنى كتابه .

ولذا فقد كان الباحث يضع قول الكسائى فى الموضع نفسه الذى وجد فيه (من إعراب القرآن للنحاس، أو السبعة لابن مجاهد أو تفسير القرطبى).. الخ[2]

فمثلاً ، عند تعرضه لقولة تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة : ٥/١) أتى الباحث بكلام عام يصدق على هذا الموضع ، وعلى مئات غيره ؛ حيث يقول :

(١) المعاني ٢٥٤ والنص في السبعة ٦٨٣.

(٢) المعاني ٦٠، والنص في إعراب النحاس (د . زهير غازي) وليس فيه لفظ (قبله) ١٢٣/١.

" قال الكسائى : الفعل المستقبل مرفوعٌ بالزوائد التي قبله في أوله " وهو بهذا يساير النحاس ، مع أن النحاس ربما استشهد بكلام الكسائى فى هذا الموضع بالذات ؛ لأنه أول موضع فى القرآن يصدق عليه كلام الكسائى وليس لأن الكسائى نفسه ذكره عند تفسيره لهذه الآية ، بل من الممكن أن يكون الكسائى قد ذكر هذا فى كتابٍ من كتبه النحوية لا فى (معانى القرآن) كما أشرت من قبل ، ولذا فقد نقله صاحب الإنصاف فى كتابه [1].

ولم يتعرض لقوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن ٥٥/٧٦) بشيء ، مع أن للكسائى قولاً ذكرته له المصادر ، حيث يقول النحاس فى إعرابه (٢/٤٥٥) : " قال الكسائى : واحد السندس سندسة ، وواحد العبقر عبقرية ، وواحد الرفرف رفرفة ، وواحد الأرائك أريكة " ويبدو أنه لم يذكرها فى هذا الموضع لأنه ذكرها فى موضع آخر[2] ، مع أن الكلام هنا يتعلق بكلمتين من الآية ، وهما (رفرف) ، و(عبقري).

رابعًا : افتقاد الخصائص الأسلوبية للكسائى :

إن من يطالع هذا الكتاب الجديد (بعد إعادة بنائه) سيفتقد بلا شك – فى كثير من الأحيان – الخيوط الأسلوبية التى تميز كل كاتب ، وكل كتاب عن غيرهما ، أما أسباب ذلك فترجع لما يلي:

١) اختلاط كلام الكسائى بغيره أحيانًا :

يأتي كلام الكسائى فى المصادر – فى بعض المواضع – مختلطًا بكلام غيره من العلماء ، فلا تستطيع تمييز عبارته عن غيره ، فمثلاً يقول الباحث[3] :

---

(١) انظر المسألة الرابعة والسبعين ٢/١٥٠ – ١٥٥.

(٢) المعاني ١٨٦.　　　(٣) المعاني ٧١ .

" من معاني لعلّ التعليل ، هذا معنى أثبته الكسائى والأخفش وحملا على ذلك ما فى القرآن من نحو ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة ٥٢/٢) و﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ٥٣/٢) فأين عبارة الكسائى هنا ؟ وأين أسلوبه ؟

ومثل ذلك أيضًا قول الباحث فى ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (النساء ٤/ ٣) : " أجاز الكسائى والفراء صرفه فى العدد على أنه نكرة "[1] والأمثلة لذلك فى الكتاب أكثر من أن تحصر !

٢) رواية قول الكسائى بالمعنى لا باللفظ :

يكثر فى الكتاب قول الباحث – المأخوذ عن المصادر – عبارات مثل : " أجاز الكسائى" و"حكى الكسائى " ، و" مذهب الكسائى " ، وهذه العبارات تعنى أن قول الكسائى مرويّ بالمعنى لا باللفظ ، أو روى مختصرًا ، بما يعنى ضياع السمات الأسلوبية للنص ، وللكتاب بالتبعية .

ومن أمثلة ذلك قول الباحث فى :﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ﴾ (مريم ١٠/١٩) : "أجاز الكسائى : (آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمُ) بالرفع ، بمعنى أنك لا تكلم الناس " .

وفضلاً عن الرواية بالمعنى ، فإن العبارة الأخيرة التفسيرية (بمعنى أنك) لا ندرى هل هى من كلام الكسائى أو من كلام الفراء ، أو من كلام النحاس فى إعرابه (٩٠٨/٣) ؟ فكل ذلك محتمل ، لأن عبارة النحاس : " أجاز الكسائى والفراء ... " وقد حذف الباحث فى كتابه اسم الفراء !

أما الاختصار فمن أمثلته قول الباحث في ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ ﴾ (الشعراء ١٥٥/٢٦) " اختار الكسائى (الشَرب) بالفتح في المصدر ، واحتج برواية

(١) المعاني ١١٠ .

بعض العلماء آن النبي ﷺ قال : إنها أيام أكل وشَرب"[1] ومن أمثلته أيضًا قول الباحث في : ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (المؤمنون : ٥٤/٢٣) : " مذهب الكسائى أن جرّ ما بعد حتى بـ (إلى) لا بـ (حتى)"[2] وواضح من هذه الأمثلة أن صاحب المصدر كان ينقل ما فهمه وليس نص كلام الكسائى.

٣) التناقض فيما نسب للكسائى أحياناً :

نتيجة لحرص الباحث الفاضل على جمع كل النصوص المنسوبة للكسائى ، ووضعها فى أنسب موضع فى كتابه ، فقد كان يضع فى بعض الأحيان رأيا للكسائى فى مسألة معينة ، ثم يتبعه بما يناقضه تمامًا ، إذ كان الباحث يعتمد منهج التلفيق من الروايات ، وليس ترجيح إحداها وإقصاء الأخرى، فمثلاً عند تعرضه لقوله تعالى ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (القصص ٨٢/٢٨) يقول الباحث : " قول الكسائى : إن القوم نُبهوا أو تنبّهوا فقالوا : وي " ." وقال الكسائى : (وي) فيه معنى التعجب " " وروى الكسائى الوقف على (وى) وقال : كلمة تفجّع " " وقال الكسائى: (ويكأنّ) حرف واحد بجملته وهو بمعنى ألم تر ، وأصله ويلك"[3]

وواضح أن الباحث جمع مجموعة نصوص من المصادر ولفق منها جميعًا رأى الكسائى ، فكل جملة من هذه الجمل من مصدر مختلف : لذا فإن القارئ يلحظ التناقض الظاهر فى مجموع هذا الكلام ، فبعضه يثبت أن الكسائى يرى

---

(١) المعاني ٢٠٦ نقلاً عن إعراب النحاس ١٨٨/٣ وتفسير القرطبي ٤٨٤٧/٦ وعبارتها : " أبو عمرو بن العلاء والكسائى يختاران ويحتجان " .

(٢) المعاني ٢٠١ نقلاً عن شرح الرضى على الكافية ٢٧٣/٤ .

(٣) هذا الموضع – بهذا التخليط – هكذا ! في معاني القرآن المنسوب للكسائى ٢١٠.

أن (ويكأن) عبارة عن كلمتين ، أولاهما : وى ، والأخرى كأنّ ، بينما آخر الكلام يقول إن ويكأنّ حرف واحد بجملته ! ولا ندرى أي الرأيين تصح نسبته للكسائى !

وهذا الكلام يجرنا إلى التذكرة بغياب منهج توثيق النصوص كما أشرت من قبل.

وفي النهاية أقول : إن جهد الباحث مشكور ، ولا اعتراض عليه إلاّ من جهة نسبة كتابٍ لمؤلف بلا دليل ، فلو أن الباحث ترك هذه التسمية (معانى القرآن) واختار اسمًا واقعيًا لما كانت هناك مشكلة .

وأقترح أن يكون ذلك الاسم (آراءٌ للكسائى حول القرآن – جمع ودراسة) ، وذلك لأن ما جمعه الباحث الفاضل هو فى الحقيقة آراء متفرقة فى مجالات شتى حول القرآن الكريم ، معانيه وقراءاته ونحوه وتفسيره ، وجمعها فى موضع واحد له فائدة كبيرة – بلا شك – فى إظهارها ، وتيسير الاطلاع عليها ودراستها للباحثين ونتمنى أن تتوقف جهود (إعادة الكتب المفقودة) ، والانصراف إلى ما هو أجدى وأنفع ، مثل توثيق الموجود ، ودراسته ونشره . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

(٢) " تفسير معاني القرآن "

لأبى الحسن الطبري (ت ٣١٠ هـ)

هذا كتاب فى أحكام القرآن وليس فى معانيه !

يبتدأ من سورة البقرة وينتهي عند سورة الزخرف ، وهو لا يتعرض إلاّ لآيات الأحكام فقط .

وليس للكتاب مقدمة نتبين منها منهجه ، ويبدو أنها مفقودة فى المخطوط الموجود لأن الصفحة الأولى منه تتحدث عن قصة بقرة بنى إسرائيل والأحكام المستفادة منها ، بما يعنى أن المخطوط به خرم فى أوله يتضمن المقدمة – فى الغالب – بالإضافة لتعليقه على الحزب الأول من سورة البقرة .

أما منهجه الواضح في كتابه فهو الاستنباط الفقهي غالبًا للأحكام الشرعية من بعض الآيات . ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة ٢/١٥٤) حيث يقول : " فيه دليل على إحياء الله تعالى الشهداء بعد موتهم لا حياة القيامة ، فإنه قال ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ ، (وإذا كان الله يحييهم بعد الموت ليرزقهم فيجوز أن يحيى الكفار ليعذبهم ، وفيه دليل على عذاب القبر "(١) .

وهكذا يسير المؤلف فى كتابه كله لا يعنيه من الآيات إلاّ استخراج الأحكام ، وربما الرد على المخالفين له فى المذهب ، فهو – لأنه شافعي كما يبدو من كلامه – يناقش الإمام أبا حنيفة ، ويرد عليه فى ثنايا كتابه كثيرًا وينتصر لمذهبه بما يرى أنه الحق ، ففى تعليقه على قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ

(١) المخطوطة ٣ .

ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (البقرة ١٤٨/٢) يقول الطبري : " يدل على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها وذلك لا خلاف فيه في العبادات كلها إلاّ في الصلاة في أول الوقت ، فإن أبا حنيفة يرى أن الأولى تأخيرها ، وعموم الآية دليل عليه "[١]

ويقول في موضع آخر : " وقد احتج قومٌ لأبي حنيفة بقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة ٢٦٧/٢) وأن ذلك عمومٌ في قليل ما تخرجه وكثيره وفي سائر الأصناف ورأوا ظاهر الأمر للوجوب [٢] ، وهذا بعيد ، فإن المراد به بيان الجهات التي يتعلق حق الله بها ، وليس ذكر مقادير ما وجب فيه الحق مقصوداً ، ولا بيان مالا زكاة فيه ، ولذلك لم يتعرض للنصاب في كل ما يُعتبر فيه النصاب شرعًا ، ولم يذكر من جنس ما يكتسب ما يتعلق به الزكاة ... وهذا بيّن في خروج الآية في الدلالة على مقصودهم "[٣] .

أما طريقة معالجته لآيات الأحكام فتعتمد أساسًا على إيراد الشواهد من المأثور عن رسول الله ﷺ أو صحابته الكرام ، وليس على التحليل اللغوي للألفاظ أو الجمل ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تعرضه لتفسير قوله تعالى: ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ (المائدة ٧٩/٥) حيث يقول : " روى عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن الرجل كان يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله أو شريبه أو قعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة ٧٨/٥)

(١) المخطوطة ٨٤ .
(٢) الأمر المراد هنا قوله تعالى : " أنفقوا من طيبات ما كسبتم " .
(٣) المخطوطة ٣ ، ٤ .

إلى قوله : ﴿ فَسِقُونَ ﴾ (المائدة ٥/ ٨١) ثم قال : كلاّ والله لتأمرُن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدى الظالم أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم) وفى الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين ، وأمرٌ بهجرانهم"[1] ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ (سورة ص ١٨/٣٨): " الإشراق : الضحى ، عن ابن عباس أنه قال : (لم يزل فى نفسي من صلاة الضحى شئٌ حتى قرأت : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ (سورة ص ١٨/٣٨) ، وعلى صلاة الضحى تأول ابن عباس قول الله تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾(النور ٣٦/٢٤).

غير أن هذا لا يمنع من التعويل على اللغة ، والاستشهاد على المعنى بالشعر ، فى أحيان نادرة عنده ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تعرّضه لقوله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ (البقرة ١٥٠/٢) (حيث قال : " من الناس من يحتج به فى جواز الاستثناء من غير جنسه ، وقد قال قوم : هو استثناء منقطع ، ومعناه : لكن الذين ظلموا منهم يتعلقون بالشبهة ، ويضيعون موضع الحجة البالغة، وهو كقوله تعالى: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ (النساء ١٥٧/٤) معناه : لكن اتباع الظن ، قال النابغة : [الطويل].

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قراع الكتائبِ[2]

معناه : لكن بسيوفهم فلول ، وليس بعيب[3] .

---

(١) المخطوطة : ٨٥ .

(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ق ١٢/٤ ص ٥٣.

(٣) المخطوطة ٣ .

على أية حال فإن كتاب (تفسير معانى القرآن) لأبى الحسن الطبري ، ليس كتابًا لغويًا ، ولا كتابًا فى التفسير بالمعنى الفني المعروف ، وإنما هو كتاب فى أحكام القرآن ، كسائر كتب أحكام القرآن التى وضعها المفسرون الفقهاء كأبي بكر بن العربي والجصاص .

ولا أدرى من أين جاءت تسميته بمعاني القرآن؛ إذ ليس له منها نصيب!

(٣) الإبانة عن معاني القراءات

لمكي بن أبى طالب القيسي (المتوفى عام ٤٣٧م)[١]

قد يفهم من هذا العنوان آن هذا الكتاب يشبه كتاب (معانى القراءات) للأزهري ، في تناوله للآيات القرآنية واختلاف القراءات فيها ، وبيان وجه القراءة ، وإيضاح المعنى السائغ فى العربية لها غير أنّ ما فى الكتاب شيء آخر ،مختلفٌ كل الاختلاف عما يوحى به العنوان!

فهو كتابُ تنظيرى لا مجال للتطبيق فيه – سوى صفحتين اثنتين– يحاول القيسي فيه أن يقدم نظرية كاملة – لعلّها من أقدم ما وصل إلينا فى بابها – حول القراءات القرآنية ومنشئها ، وشروط القراءة الصحيحة المقبولة ، والأحرف السبعة والمقصود بها .. الخ .

وقد بدأ المصنف كتابه – المختصر – بمقدمة يسيرة ، ذكر فيه المقصود من كتابه ، ونوّه بأسبقيّته : " هذا كتابٌ آبيّن فيه ، إن شاء الله تعالى ، معانى القراءات وكيفيتها ، وما يجب أن يعتقد فيها ، مع ما يتصل بذلك من

(١) الإبانة عن معاني القراءات ١٩–٢٠ .

فوائدها وغرائب معانيها . وما علمت أحداً تقدّمني إلى مثل كتابي هذا ... جعلته متصلاً بكتاب (الكشف عن وجوه القراءات) فبه تتم فائدة الكشف ، وأفردته لمن يرغب في نسخه على انفراده ، دون كتاب (الكشف) فهو كتاب قائم بنفسه في معناه ... " .

ثم جاءت بعد ذلك موضوعات الكتاب على هيئة أسئلة وأجوبة ، وتضمنت أبواب الكتاب الموضوعات التالية :

- هل القراءات السبع هي الأحرف السبعة [1] ؟
- القراءات المختلف فيها حرف واحد من الأحرف السبعة [2] .
- علة اختلاف القراء فيما يحتمله الخط . [3]
- ما يقبل من القراءات وما لا يقبل [4].
- جمع القرآن [5] .
- مصحف عثمان[6] .
- المعنيّ بالأحرف السبعة[7] .
- فائدة القراءة بأكثر من حرف [8] .
- علة اشتهار القراء السبعة [9].
- علة تسبيع القراء [10] .
- ما جاء في سورة مخالفاً لخط المصحف [11].

---

(١) انظر الإبانة ٢١-٢٢ .
(٢) من ٣٢ -٣٤ .
(٣) من ٣٥ – ٣٨ .
(٤) من ٣٩- ٤٣.
(٥) من ٤٤-٤٧ .
(٦) من ٤٨- ٥٢ .
(٧) من ٥٣- ٥٨ .
(٨) من ٥٩ – ٦٠ .
(٩) من ٦٣ –٦٥ .
(١٠) من ٦٦- ٦٧ .
(١١) من ٨٦- ٨٧ .

- ما جاء في سورة موافقًا لخط المصحف لغير السبعة [1] .
- ما جاء في سورة الحمد مخالفًا لخط المصحف لغير السبعة [2] .

ويتضح من هذا أن كتاب الإبانة مقدمة نظرية لكتاب القيسي (الكشف عن وجوه القراءات) الذى جعله للتطبيق الفعلي.

وعلى هذا فكتاب الإبانة لا صلة له بكتب معاني القرآن بالمعنى الاصطلاحي.

(٤) كشف المعاني في المتشابه من المثاني

لبدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ)

علماء التفسير وعلوم القرآن يقسمون آيات القرآن الكريم إلى محكمٍ ومتشابه ، فالمتشابه – الذى يقابله المحكم – هو الغامض المشكل ، مما استأثر الله تعالى بعلمه ، كبعض مسائل الصفات ، وعلم ما فى الأرحام، والغيب ، وعلم الساعة .. إلخ.

هذا النوع ضرب من ضروب الإعجاز المعنوي (أي المتعلق بالمعنى) ، ويشترك مع المحكم فى أنهما معًا يشكلان صورة متكاملة لطريقة الخطاب القرآني المعجز .

أما المتشابه الذي يعنيه ابن جماعة فى كتابه هذا فشيء مختلف تمامًا ، فهو عنده : " أن يتكرر مجيء الآيات فى القصة الواحدة – من قصص القرآن أو موضوعاته – فى ألفاظ متشابهة ، وصور متعددة وفواصل شتَّى ، وأساليب متنوعة ، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي"[3].

وعلى هذا فهو نوع مستقلٌ بذاته يقصد به بيان الإعجاز اللغوى – وليس

---

(١) من ٩٠ – ٩٣ . (٢) من ٩٤- ٩٧ .

(٣) مقدمة تحقيق كشف المعاني ٤٥ .

المعنوي – بالتصرف فى الأسلوب كله من مكان إلى مكان فى القصة الواحدة ، أو الموضوع الواحد ، لغرض بلاغيّ لا يدركه إلاّ أصحاب اللغة الذين خوطبوا بالقرآن ، وهم أرباب الفصاحة ، مع الاحتفاظ بالمعنى .

وقد عدّه الزركشى فى (البرهان) النوع الخامس من أنواع علوم القرآن ، وقال عنه : " ويكثر فى إيراد القصص والأنباء ، وحكمته التصرف فى الكلام ، وإتيانه على ضروبٍ ، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك : مبتدأ به ومتكررًا"[١] وكذلك أورده السيوطى فى تقسيمات الأنواع تحت النوع الثالث والستين وقال : " وللقاضى بدر الدين بن جماعة فى ذلك كتاب لطيف ، سمّاه : (كشف المعانى عن متشابه المثانى) .... يقصد به : إيراد القصة الواحدة فى صور شتّى ، وفواصل مختَلفة ، بل تأتى فى موضع واحد مقدّما ، وفى آخر مؤخَرا .." [٢] .

وآيات المتشابه بهذا المعنى تختلف عن آيات الوجوه والنظائر ، فألفاظ الأشباه والوجوه والنظائر ترد بلفظ واحد يتكرر ، ولكن فى كل موضع له معنى يختلف عما فى الموضع الآخر، أما المتشابه الذى أفرد له العلامة ابن جماعة كتابه هذا فغرضه بيان الألفاظ المكررة في عدة مواضع – ولكنها بصور مختلفة من التقديم والتأخير فى موضع دون آخر – مع احتفاظها بنفس معناها فى كل المواضع.

وقد استهلّ ابن جماعة كتابه بمقدّمةٍ كشف فيها عن منهجه فى كتابه ، وعن سبب تأليفه لهذا الكتاب، فقال:" أما بعد ، فلمّا منّ الله تعالى بالقرآن العزيز وحفظه وتحصيله ، والوقوف على ما قُدّر من تفسيره وتأويله ، اتفق إلقاء دورس التفسير فى المدارس ، وما يظهر فى بحوثها من النفائس ،

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ١/ ١١٢ (٢) الإتقان فى علوم القرآن ٣/ ٣٣٩.

وربّما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة ، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة ، مما لم يذكر بعضه أو أكثره فى كتب التفسير المشهورة ولا ألمت به فى أسفارها المسطورة ، من اختلاف ألفاظ معانٍ مكررة ، وتنويع عبارات فنونه المحررة ، ومن تقديم وتأخير ، وزيادات ونقصان ، وبديع وبيان ، وبسط واختصار ، وتعويض حروف بحروف أغيار، فتحلّ تلك الأسولة بما يفتح الله تعالى به ، إما منقول أو غير منقول ، وقد استخرت الله تعالى فى ذكر أجوبة ما على الخاطر منه ، وباختصار لا غنى لفهمه عنه ، وسميته : [كشف المعاني في المتشابه من المثاني][(1)] .

وقد جاء الكتاب – كما ذكر المؤلف – فى صورة أسئلة وأجوبة ، وتخصص فى هذه الجزئية من جزئيات علم التفسير العام الكثيرة المتنوعة ، ولم يخرج عنها ، فكل غرضه استقصاء ما ورد فى القرآن الكريم من ألفاظ مكررةً في عدة مواضع لها كلها معنى واحد ، ولكن يختلف توجيه ورودها مكررة متشابهة باعتبارات متعددة ، أهمها :

١) تشابه باعتبار تكرر اللفظ ، فيجيء مرةً على نظم ، ويجيء فى موضع آخر على عكسه، ومن أمثلته قوله تعالى فى سورة القصص: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ (٢٨/ ٢٠)، وفى سورة يس : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ ﴾ (٣٦/ ٢٠).

٢) تشابه لزيادة حرف فى موضع ، ونقصه فى موضع آخر ، ومن أمثلته : قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (٢/ ١٩٣) ، وفى الأنفال : ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ (٨/ ٣٩).

(١) كشف المعاني ٧٩ – ٨٠ .

٣) تشابه بالتقديم والتأخير، ومن أمثلته: تقديم اللهو على اللعب في موضع وتأخيره في موضع آخر، كقوله تعالى في الأنعام: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (٦/٣٢)، وفي العنكبوت: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ (٢٩/٦٤).

٤) تشابه بإيراد اللفظ معرّفًا في موضع، ومنكّرًا في آخر، كقوله في سورة فصلت: ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٤١/٣٦)، وقوله تعالى في الأعراف ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧/٢٠٠).

٥) تشابه بإيراد اللفظ مفرداً في موضع وجمعاً في موضع آخر، ومن أمثلته قوله تعالى: في سورة البقرة ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ ﴾ (٢/٨٠) وفي آل عمران ﴿ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ ﴾ (٣/٢٤)

٦) تشابه بإبدال حرف مكان حرف آخر، ومن أمثلته: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا ﴾ (٢/٣٥) بالواو، وفي الأعراف ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا ﴾ (٧/١٩) بالفاء.

٧) تشابه بإبدال كلمة مكان كلمة، ومن أمثلته: في سورة البقرة: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ ﴾ (٢/١٧٠)، وفي سورة لقمان ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ۚ ﴾ (٣١/٢١).

٨) تشابه باعتبار عدد المرات التي يتكرر فيها اللفظ أو الجملة، ومن أمثلة ذلك: ما تكرر مرتين، مثل قوله: ﴿ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ في البقرة وآل

عمران ، وما تكرر ثلاث مرات ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ﴾ في البقرة والمائدة والصف ، وما تكرر أربع مرات ، مثل قوله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ في الأعراف ، ويونس (مرتين) والحج.. إلخ ، وهذه الصور ليست حصراً لصور المتشابه المقصود به التفنن في الأسلوب ، بل للمتأمل أن يستنبط صوراً أخرى لكن هذه الصور هي من أكثر ما اعتنى به العلامة بدر الدين ابن جماعة في كتابه هذا الذي جاء وافيًا بمسائل هذا الفن مستوعبًا لمفرداته ، ولهذا تأثر به من ألّف في هذا الفن بعده ، كالسيوطي [1]، وشيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري ، وقد جاءت أكثر إجابات ابن جماعة عن الأسئلة في المتشابه راجعة إلى الاستنباط اللغوي والبلاغي ، وربما يستند على النقل في بعض الأحيان من مصادره.

ومن العسير أن نعرف شيئًا عن مصادره ، لأنه في الغالب كان يقدح زناد فكره ، ويستنبط بعقله الراجح ، ومخزونه الواسع من اللغة والبلاغة ؛ لهذا فلا نكاد نعرف من مصادره إلاّ القرآن الكريم الذي كان مطبوعًا في ذهن ابن جماعة بطريقة تشبه اليوم ما نسميه بـ " تخزين المعلومات في ذاكرة الحاسوب"، فكان ابن جماعة يستدعي من ذاكرة فولاذية الآيات المتشابهة في كل موطن من القرآن الكريم، بلا استعانةٍ بمعجم مفهرس ، أو اسطوانة حاسوبية ، ثم يجيب عن هذا التشابه بما يفتح الله به عليه من إجابات أصاب في أكثرها بتوفيق الله ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

(١) انظر الإتقان ٣/٣٣٩ وما بعدها .

صلته بمعانى القرآن :

هذا الكتاب – وإن كان يعتمد أحيانًا على اللغة – عمل فكريّ فى المقام الأوّل ، يجتهد صاحبه فى محاولة معرفة أسرار التعبير القرآنى ، واختلافه أحيانًا فى موضع عن موضع ، وهو فى ذلك يعتمد على الاستنباط من السياق أو المفردات ما يعينه على أداء تلك المهمة ، مستعينًا بالإعراب فى أحيان قليلة ، وبالبلاغة في كثير من الأحيان ، أما الشعر فلم أجد منه إلاّ بيتًا واحدًا[1] .

تتضح طريقته فى معالجة النص القرآنى من المثال التالى :

" مسألة : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ﴾ (الحديد ٥٧/ ٢٠) ، وفى الزمر ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ﴾ (٣٩ / ٢١) بإضافته إليه تعالى ؛ فإنه لما افتتح فى الزمر نسبة إنزال الماء ، وسلوكه ينابيع فى الأرض ، وإخراج ما ينبت به إليه ، ناسب ذلك نسبة جعله حطامًا إليه . ها هنا لم ينسبه إليه، بل قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ ﴾ " فنسب الأفعال كلها إلى الزرع " .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول مطمئنين إن هذا الكتاب ليس من كتب معانى القرآن بالمعنى الفنى الاصطلاحى الذى أسلفنا الحديث عنه ، لأنه ليس تفسيرًا لغويًا ، بل عملاً فكريًا، يقوم على إعمال العقل ، وقدح زناد الفكر غير أن هذا لا ينفى فائدته العظيمة للمسلمين عمومًا وللمشتغلين بالدراسات القرآنية على وجه الخصوص .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) انظر كشف المعانى ٣٢٦.

(٥) معاني القرآن بين الرواية والدراية

للباقـــوري

هذا كتابُ مات عنه مؤلفه ، ولم يقدمه للطبع ، بل تركه مخطوطًا ، وقد قام أحدَ تلامذته وهو الدكتور / عبد الجليل شلبي بتقديمه للقراء ، ودفع به إلى المطبعة ، وأغلب الظن أنه هو الذى اختار له هذا العنوان (معانى القرآن بين الرواية والدراية) .

وأول ما يتبادر للذهن من هذا العنوان الذى يبدو علميًّا ودقيقًا أن الشيخ – رحمه الله – سوف يتعرض لقضية معانى القرآن من ناحية السند ، وربما يتعرض لقضية التفسير بالرأي أو بالمأثور والموقف الذى يراه منها ، أو ربما يكون المراد نظرات عميقة في معاني القرآن من ناحية الدلالة أو من ناحية الأفكار.

لكن نظرة واحدة فى الكتاب كفيلة بنسف كل تصورات القارئ المبدئية – المستمدة من العنوان – عنه ! إذ الكتاب لا علاقة له – تمامًا – بمعاني القرآن !!

فالكتاب أقسام ثلاثة ، خصص المؤلف **القسم الأول** منها للحديث عن الكعبة وبنائها والحجر الأسود والطواف وموقف العلم الحديث من ذلك

أما **القسم الثاني** فقد خصصه للحديث عن القرآن ، وفيه يتحدث عن الكليات الخمس وعن آل حاميم وعن الشيطان والناسخ والمنسوخ والعناية باليتامى ورأى العلماء فى السحر .... الخ.

أما **القسم الثالث** فقد خصصه المؤلف للحديث عن الخلافة وأنواعها (راشدة وعضوض وجبرية) ثم حديث عن وزر زعماء العرب فى العصر الحديث ، وعن تركيا بعد الأندلس ، وعن شخصية مصطفى كمال أتاتورك ... إلخ .

هذا كل ما فى الكتاب ، وهو لاشك طيّبٌ ونافع ، ولكن السؤال الملح هنا : أين معانى القرآن من هذا ؟ !

العجيب في الأمر أن هذا العنوان لم يشر إليه المؤلف – من قريب أو من بعيد – فى ثنايا كتابه ، بل إن المقدمة التى كتبها بيده – رحمه الله – تدل على ما فى الكتاب تمامًا ، ولا صلة لها بالعنوان ؛ فقد جاء فيها : " القرآن الكريم دستور المسلمين فى حياتهم ، والكعبة المعظمة قبلتهم في صلاتهم ، والخلافة الراشدة مجتلى وحدتهم ، ونظام شتاتهم ، وهذه الأحوال الثلاثة هى العمد التى قامت عليها أول دولة للإسلام في المدينة المنورة ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ... " [1] .

كما أن صاحب المقدمة الدكتور عبد الجليل لم يشر لمعانى القرآن ولو بكلمة بل إنه يقول في مقدمته : " ... ويدور الكتاب حول محور واحد هو وحدة المسلمين" [2] ويقول أيضًا : "وقد تحدث – أي المؤلف – هنا حديثًا علميًّا عن الروابط الثلاثة التى يجمع عليها المسلمون ، وهى الكعبة المشرفة ، والقرآن الكريم ، والخلافة الإسلامية .." [3] " ويقول : " وها هى ذي الآراء حول وحدة المسلمين صبت فى قالبٍ متين رصين حلو العبارة ، شائق العرض ، غزير الفائدة "[4] ولسنا ندرى بعد هذا كله من أين جاء هذا العنوان العجيب الذى لا علاقة له بمسماه ، ولسنا ندرى أيضًا من الذى وضعه : أهو المؤلف أم صاحب المقدمة أم الناشر ؟

على أية حال فالعنوان المناسب – في نظري – لهذا الكتاب القيم هو : " عُمُد وحدة المسلمين " .

---

(١) معاني القرآن بين الرواية والدراية ٩ .   (٢) ص ٧ .

(٣) ص ٧ .   (٤) ص ٨ .

الفصل الرابع

كتب تفسير تحمل اسم المعاني

دأب بعض مفسري القرآن الكريم - وبخاصةٍ المتأخرون منهم - على إطلاق اسم المعانى فى عناوين مصنفاتهم ، عمداً ، لا سهواً ولا خطأ ، كما هو الحال فى النماذج التي مرّت بنا في الفصول السابقة ؛ وذلك لأن هذا التركيب (**معاني القرآن**) تحول - رويداً رويداً - على مرّ العصور ، من المعنى الاصطلاحي ، بضوابطه المشار إليها آنفا ، إلى التفسير بمعناه الفني الشامل ، فأصبحت تلك الكتب التى تحمل - عنوان المعاني - كسائر كتب التفسير ، لا يكاد يميُزّها عنها شيء ، ولم يعُد للعنوان آثر فى محتوى تلك المصنّفات !

و صارت تصبغ - كشأن كتب التفسير أيضًا - بصبغة مؤلفيها ، فإن كان المصنف نحويًا غلب عليها التوسّع في الإعراب، وإن كان أثريًّا غلب عليها التفسير بالمأثور... وهكذا.

و انقسم تراث تلك الكتب على الأقسام التالية:

الأول : التفاسير اللغوية

و هو منهج يعتمد اللغة أساسًا للتفسير، مع إضافة ما يحتاجه المفسّر من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمأثور فى الآيات من التفسير، ويمثل هذا المنهج الكتب الآتية :

١) عين المعاني في تفسير كتاب الله العزيز لأبى الفضل السجاوندى .

٢) إيضاح البيان عن معنى آم القرآن لنجم الدين الطوفى .

٣) الكفيل بمعاني التنزيل لأبى الحسين الكندي .

٤) ضياء السبيل فى معانى التنزيل لعلاء الدين البكرى الصديقى .

٥) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربينى .

٦) تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل لأبى الحسن البكري الصديقى .

٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي .

الثاني : التفسير بالمأثور

ويمثله كتابان :

١) نهج البيان عن كشف معاني القرآن لمحمد بن الحسن الشيبانى .

٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن .

الثالث : التفاسير المختصرة:

و هو الذى يقتصر على تفسير المفردة بكلمة أو كلمتين ، وعباراته قصيرة غالبًا ، ويمثله الكتب التالية :

١) المختصر الموضح في معاني القرآن وكشف مشكلات الفرقان ، للمرزبانى .

٢) رد الأذهان إلى معاني القران لأبى بكر محمود جومي .

٣) البيان لمعاني علم القرآن ، لحسين محمود معوض .

وسوف أتناول تلك الكتب في هذا الفصل بإذن الله .

أولا: التفاسير اللغوية

(١) عين المعاني في تفسير كتاب الله العزيز

لأبي الفضل محمد بن أبي زيد طيفور السجاوندي الغزنوي (ت ٥٩٩ هـ)

هذا الكتاب يمكن آن نقول عنه إنه كتابان مستقلاّن !

أما الأول : فهو في علوم القرآن بصفةٍ عامة ، وهو بمثابة التقديم بين يدى الكتاب الأصلي ، وبيان منهجه فيه ويستغرق ذلك ست عشرة صفحة كاملة من القطع الكبير (٣٣ سطرًا) ، وذكر المصنف فى مستهل الكتاب أنه جمعه من مائة مصنف فى علوم القرآن : "مبتسمًا عن فوائد نحو من مائة مصنف فى

علوم القرآن ، موفيًا على الكل فى التلفيق والبيان "[١] .

و أما **موضوعاته** فمتنوعة : فمن ذلك : " تمهيد قواعد العربية ، وتحديد العوارض اللغوية ، من إبدال حروف الصفات ، وتصريح الكنايات ، وتفسير الاستعارات من تسمية الشيء باسم ما كان ، وما يئول إليه والشيء بالمسبب ، وذكر المفعول مكان الفاعل ، والفاعل مكان المفعول ، والماضي مكان المستقبل ، والمستقبل مكان الماضي ، وكليهما مكان الأمر، والواحد مكان الجمع، والجمع مكان الواحد ، والتثنية مكانهما ، والقلب والعارض ، والعدول من الغائب إلى المخاطب ، ومن المخاطب إلى الغائب ، ومن الإخبار إلي الحكاية ، ومن الحكاية إلي الإخبار، والحذف والإضمار والزيادة والتكرار..." [٢]

ويشير بعد ذلك إلى تناوله لعلم أصول الفقه ، بعبارات مطوّلة ، ثم للقراءات بأنواعها المختلفة ، ثم تحدث عن المكي والمدني فى القرآن، وتتبع ما قيل فيه سورة سورة ، ثم للناسخ والمنسوخ فى القرآن كله أيضا ، ثم تعرض للفظة (كلاّ) ومواضعها ، ومعناها ، ثم للفرق بين التفسير والتأويل ثم لمعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

وأما الكتاب الثاني : فهو كتاب في التفسير اللغوي ، وليس فى معاني القرآن ، فهو - شأن أكثر كتب التفسير - يبدأ حديثه عن السور القرآنية ، بذكر عدد حروفها ، وآياتها وكلماتها ، وهل هى مكية أو مدنية ، وسبب نزولها، وما جاء فى فضلها من آثار، والقراءات – بالتفصيل - التي وردت في ألفاظها ، وهى بحوث موسعة لا تهتم بها غالبا كتب المعانى إلا إذا ارتبطت بظاهرة ما من الظواهر اللغوية .

ففي تناوله لسورة الفاتحة يقول السجاوندى : " فاتحة الكتاب ، مائة

---

(١) عين المعاني ٢ .

(٢) عين المعاني ٢.

واثنان وأربعون حرفًا ، وسبع وعشرون كلمة ، وسبع آيات مع التسمية ، كوفي ، وبه قال الشافعي رحمه الله ، وله في أول كل سورة قولان وهي عندنا - أي الحنفية - من سورة النمل "[1].

و المصنف يسير على المنوال المعروف عند المفسرين لا يكاد يخرج عنه ، سوى بكثرة استشهاداته الشعرية ، تلك الكثرة التى تستحق دراسة منفردة ، لأن كثيرًا من شواهده ليست موجودة عند سواه ، ولأنه لا يكتفي بإيراد البيت الذى فيه محل الشاهد ، وإنما يضيف إليه فى الغالب بيتًا قبله أو بيتًا بعده ، وربما يذكر القصيدة كاملة إذا استحسنها[2] ! .

أما مصادره فكثيرة جدًا ، فمن الصحابة : أبرزهم ابن عباس[3] ﷺ ، ومن التابعين : مجاهد وقتادة ومقاتل والضحاك وسعيد بن جبير[4] ، فلا تخلو صفحة من ذكر بعضهم.

ومن اللغويين الأخفش ، وقطرب ، وابن الأنبارى ، والزجاج[5] .

و أما استشهاده بالقراءات فيكاد لا يحصر من كثرته متواترها وشاذها[6] ، واستشهاده بالحديث على اللغة والقراءات كثير أيضًا ، ومن أمثلة ذلك قوله فى تفسير ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (الكوثر : ١/١٠٨) : " قرأ الحسن وطلحة : (أنطيناك)[7]، وفى الحديث : (اليد العليا المنطية ، واليد السفلى

---

(١) عين المعانى ١٧.

(٢) انظر على سبيل المثال : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال : عين المعاني ١٧ – ١٨ .

(٤) انظر على سبيل المثال : عين المعاني ٤١٥ - ٤١٦

(٥) انظر على سبيل المثال : عين المعاني ١٥–١٧ ، ٤١٣ .

(٦) انظر على سبيل المثال : عين المعاني ٤١٨– ٤١٩ .

(٧) هذه قراءة شاذة كما في مختصر ابن خالويه ١٨١، والبحر ٥١٩/٨ ، وإعراب القراءات الشواذ ٧٥٢/٢.

المنطاة) " [١].

و هكذا يجد القارئ لهذا الكتاب أنه كتاب فى التفسير ، وإن كان اهتمامه باللغة واضحًا ، وليس فى المعانى بالمعنى الاصطلاحي المعروف .

(٢) إيضاح البيان عن معنى أم القرآن

لنجم الدين الطوفى (ت ٧١٦ هـ)

بدأ الطوفيّ كتابه هذا بالحمد والثناء على الله ﷻ – شأن بقية المصنفين – ثم قال بلا تمهيد : " هذه رسالة نترجمها بإيضاح البيان عن معنى أم القرآن ، ونتبعه فوائد أخر ، والكلام على ذلك في فصول " [٢] .

و شرع بعد ذلك مباشرة فى الفصول المشار إليها ، وهى فصول صغيرة ، تناولها سريعًا ، وهى على الترتيب :

١. بيان حقيقة (أم القرآن) [٣].
٢. المجمل والمبين ودرجاتهما . [٤]
٣. اشتمال الفاتحة على مقاصد القرآن الكلية . [٥]
٤. فضائل سور (الزلزلة ، والصمد ، والكافرون) وتشابهها مع الفاتحة. [٦]
٥. تفسير سورة الطارق . [٧]
٦. تفسير سورة الانشقاق. [٨]

وواضح من هذا العرض أن الكتاب ليس له علاقة بمعانى القرآن بالمعنى

---

(١) عين المعانى ٤٢٧ .
(٢) إيضاح البيان ١ .
(٣) إيضاح البيان ١ – ٢ .
(٤) إيضاح البيان ٢ – ٤ .
(٥) إيضاح البيان ٤ – ٩ .
(٦) إيضاح البيان ٩ – ١٧ .
(٧) إيضاح البيان ١٧ – ٢٢ .
(٨) إيضاح البيان ٢٢ – ٢٧ .

المصطلح عليه ، بل هو عبارة عن تفسير موسّع لسورة الفاتحة ، مع بعض الخواطر حول سورتى الطارق والانشقاق ، وليس فيما كتبه الطوفى علاقة بالظواهر اللغوية بالإضافة إلى هذا .

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

(٣) الكفيل بمعاني التنزيل
للقاضي أبي الحسين الكندي (ت ٧٤١ هـ)

يبدو الحديث عن منهج القاضي الكندى في هذا الكتاب أمرًا صعبًا بعد أن فقد الجزء الأول ، الذي يحوى مقدمته التي يبين فيها سبب تأليفه ، ومنهجه في التصنيف ، إذ لم يتبقّ لنا سوى محاولة التماس خيوط ذلك المنهج من خلال تتبعنا الدقيق لأسلوبه في أجزاء الكتاب المتبقية والتي يصل عددها إلى ثلاثةٍ وعشرين جزءًا .

و قد أضاء لنا صاحب (كشف الظنون) جانبًا من الطريق حين تحدث عن منهج الكندى في ذلك الكتاب حديثا مختصرًا مفيدًا ، فقال : " وطريقته فيه أن يتلو الآية أو الآيات فإذا فرغ منها ، قال : قال الزمخشري ، ويسوق كلامه ، فإذا انتهى كلامه ؛ أتبعه بما عليه من مناقشة ، وما يحتاج إليه من توجيه ، وما يكون هناك من الزيادات الواقعة في غير الكشاف من التفاسير ، وأكثر نظره في النحو ؛ فإنه كان متقدما في معرفته "

و كلام حاجى خليفة في موضعه تماما ؛ فالكتاب يكاد يكون مناقشة لكتاب الكشاف - أو بالأحرى محاكمة له - فهو ينقل ما في الكشاف في كل آية ، ثم يعلّق عليه ، اعتراضًا – غالبًا – أو تأييدًا .

بل إنه كثيرًا ما يعمد إلى ذكر قول الزمخشري في (المفصل) ليحتج به عليه ، لو تعارض مع ما في الكشاف .

و يسير المصنف مع سور القرآن ، واحدة تلو الأخرى ، بالترتيب المعهود حتى ينتهي الكتاب بتفسير سورة (المسد)[1] ، ولا يتعرض للسور الثلاث الأخيرة، بلا سبب مفهوم !

و هو يكثر من نقل أقوال الزمخشري ، والتعليق عليها ، وهو بصفة عامة جمّاع للأقوال ، لكنه يقوّم ما ينقل ، ولا يكتفي بالعرض فقط .

و أسلوبه نحويّ محض ، يدلّ على شدة تمكنه من ذلك العلم[2] .

و لعلّ المثال الذي نسوقه هنا يعد خير نموذج لمنهجه ذاك ، إذ يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (البقرة ٢/ ٦٥): " قال الزمخشري ﴿ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ خبران ؛ أي : كونوا جامعين بين القردية والخسوء ، وهو الصَّغار والطرد ، قلت : تقول خسأت الكلب خسأ : طردته ، وخسأ الكلب بنفسه ، فتارة يتعدى وتارة لا يتعدى ، مثل زاد الشيءُ وزدته ، وغاص الماء وغصته ، و﴿ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ كما قال : خبران للفعل (كان) ، وفيه بحث ؛ وذلك أن المبتدأ لا يقتضي أكثر من خبر واحد من غير عطف ، إلاّ بشرط أن يكون الخبران فصاعدًا في معنى خبر واحد ، نحو قولهم : هذا حلو حامض ، أي مُزٌّ، فيفيد مجموع الخبرين مالا يستقل بفائدته الآخر على انفراده ... و﴿ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ ليس من هذا : لأنّ كل واحد من القردية والخسوء مستقل بالصغار والطرد : فالذي يفهم من مجموعها يفهم من كل واحد منهما على الانفراد ، فالوجه أن تكون قردة خبرا لكان ، وخاسئين صفة لقردة مؤكدة لمعناها وقال بعضهم : خاسئين حال ، من اسم كان ، والعامل

---

(١) انظر الكفيل ٢٣/٨٩ .

(٢) انظر النحو وكتب التفسير ٢/٨٩٧ -٩٠٥ .

فيها كان ، وهذا ليس بشيء : لأن كان الناقصة لا تعمل إلا في المبتدأ والخبر على الصحيح "[1]

و هكذا يظهر من هذا النص – الطويل – مدى براعة الكندى في علم النحو ، ومنهجه في تناول الآيات القرآنية ، فهو يذكر أولاً رأى الزمخشري ، ثم يناقشه ، ويرد عليه بالدليل ، ثم يذكر رأى غيره – بلا ذكرٍ لاسمه أحيانًا ، أو بالتصريح باسمه في أحيان أخرى - ويفنده ، وينتصر لرأيه معتمدًا على الشواهد غالبًا .

و كما فعل أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط – وقد كان معاصرًا له – نجد أن الكندى يهتم بالقراءات في كتابه اهتمامًا نابعًا من نقله لآراء الزمخشري تارة ، ومن إدراكه لأهميتها القصوى في إبراز المعاني الدقيقة تارة أخرى .

وهو - كما فعل أبو حيان أيضًا – يرفض نقد القراءات ، ويتحمس في الدفاع عنها ، والتماس مخارج صحيحة لها ، ولذلك فهو يرفض نقد الزمخشري للقراءات [2] ويقول في أحد المواضع من تفسيره : " وبالجملة فالقراءة حجة على الحجج النحوية ، لا بالعكس ، والله اعلم"[3] .

و لم يتوان الكندى في تفنيد آراء الزمخشري الاعتزالية ، في مواضع كثيرة من كتابه يقول فى أحدها ، بعد آن فسّر إحدى الآيات : " وهذه الآية بظاهرها تقهرهم وتبهرهم ، فيتعللون بما يسمونه تأويلا ، وإن كان في الحقيقة تعطيلاً ، فاحذره "[4]

و مع ذلك فإن الكندى لا يخفى إعجابه بقدرة الزمخشري اللغوية

---

(١) الكفيل ٢/ ٤ .

(٢) انظر الكفيل ١٣ /٨١ – ٨٢ ، ٢٣ / ٨٩ .

(٣) الكفيل ٨/ ١٥.

(٤) الكفيل ١١/ ١٦٦ وانظر أيضًا ٩ /١١٩ .

– وهذا قمة الإنصاف - حيث يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ (المائدة : ١٠٦/٥) : " هذه الآية أشكل آية في كتاب الله ، وهي أحق الآيات بفضل العناية في إشباع القول تفسيرًا وإعرابا ، وكل من صنف في التفسير من مختصر ومطوّل ، بسط القول فيها ،و خرج عن طريقته ، وعمّا التزمه ؛ لغموضها – فيما علمت – إلاّ الزمخشري ؛ فإنه مشى على طريقة واحدة ، وما ذاك إلاّ لملكته للكلام وبراعته وقوة صناعته ورسوخ قدمه ، ويُحكى عن الشيخ العز بن عبد السلام في مرض موته أنه قال : " أموت وما فهمت هذه الآية "[١] .

و لعلّه قد ظهر للقارئ من خلال تلك النماذج القليلة التي نقلتها من هذا الكتاب ، أنه بحق موسوعة تفسيرية لغوية كبرى ، ولعل الله سبحانه يهيئ له من يخرجه من الظلمات إلى النور ، بطبعه ونشره ، ليعم النفع بإذن الله .

(٤) ضياء السبيل في معاني التنزيل
لعلاء الدين محمد البكري الصّدّيقي (ت ٩٥٢ هـ)

هذا أول كتاب في القرن العاشر الهجري يحمل عنوان (**معاني القرآن**) أو أحد مرادفاته غير أنه – عند التأمّل – كتاب تفسير ، ولا شأن له بالمعاني !

فالمؤلف ، وهو عالم كبير ، وصوفي شهير ، يسلك في كتابه مسلك المفسرين اللغويين كما صنع أبو حيان في (البحر المحيط) ولكن بلا توسّعٍ .

و طريقته في التفسير ، لا تخرج عما يفعله المفسرون عادة من تتبع كلمات القرآن كلمة كلمة ، وذكر معناها إما مختصرًا إلى حد التفسير

(١) الكفيل جزء ٧ وهو بدون ترقيم .

بكلمة واحدة كما قال مثلاً : ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ : يرجع "[1] وقوله " : ﴿ ءَانَسَ ﴾ : أبصر "[2] ، أو مستطردًا ، كما يفعل أهل التفسير أيضًا ، فيذكر القراءات في الآية ، أو سبب النزول ، أو أقوال السلف ، أو اشتقاق الكلمة لغويًا ، أو التصوير الأدبي وبلاغته ، أو الإعراب ، .... إلخ .

و أما القراءات في الكتاب فكثيرة ، وهو يذكر أصحابها أحيانًا ، كما قال في ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ (القصص : ٢٨/٢٩) : " قرأ الجمهور بكسر الجيم ، وحمزة بضمها ، وعاصم بفتحها .. "[3] .

وأحيانا لا يذكر أصحاب القراءات ، كما قال مثلاً في قوله تعالى ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ ﴾ (القصص : ٢٨/٣٢) : وقرئ : (فذانيك) بتحتية بعد النون المكسورة ، وهي لغة هذيل ، وقيل تميم ، وقرئ كذلك بفتح النون ، على فتح نون التثنية ... "[4]

و أما أقوال السلف ، فقد كان يكثر من النقل عن ابن عباس وتلامذته ، وبخاصة مجاهد ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره في قوله تعالى : ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ (القصص ٢٨/ ٣٢) : " ... فزع فرد جناحه إليه ، فذهب عنه الروع "[5] .

و أما اهتمامه بالاشتقاق ، فمن أمثلته قوله : ﴿ بُرْهَٰنَانِ ﴾ : حجتان ،

---

(١) ضياء السبيل ٢١١ . (٢) ضياء السبيل ٢١٢ . (٣) ضياء السبيل ٢١٢ .

(٤) ضياء السبيل ٢١٣ ، وقراءة (فذانيك) قرأ بها ابن مسعود وشبل عن ابن كثير ، وعباس عن أبي عمرو، انظر السبعة ٤٩٣، وحجة القراءات لابن زنجلة ٥٤٤ ومختصر ابن خالويه ١١٣ ، وقرأ شبل عن ابن كثير أيضاً (فذانيك) بفتح نون التثنية ، انظر البحر ١١٨/٧ وابن خالويه ١١٣ ومعجم القراءات ٤١/٧.

(٥) ضياء السبيل ٢١٣ .

وبرهان : فعلان ، لقولهم : أبره الرجل ، جاء بالبرهان ، وقولهم : بره الرجل ، ابيض ، ويقال للمرأة البيضاء ، برهاء ، وقيل فعلان لقولهم : برهن "[1] .

و أما التصوير الفني ، فيمكن أن ندلك على اهتمام المصنف به ، بما ورد في سياق القصة نفسها ، حيث قال : ﴿ ٱسْلُكْ ﴾ : أدخل ، ﴿ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ : وهو فتحه الجبة من حيث يخرج الرأس ، وكان كم الجبة في غاية الضيق ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ ﴾ بعدم ما يتعلق به ، ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ عيب والظرف[2] في محل الحال المترادفة أو المتداخلة ، وهذا يسميه البديعيون بالاحتراس "[3] .

و أما الإعراب ، فاهتمام المصنف به بارز في كتابه ، وإن يغلب عليه الاختصار فيه إلاّ في مواضع قليلة منها ما جاء في سياق قصة موسى أيضًا في قوله تعالى : ﴿ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (القصص ٢٨/ ٣٠) حيث يقول : " وقرئ بفتح همزة (اني) ، قال في البحر "[4] : وفي إعرابه إشكال لوجوب كسر الهمزة بعد (أن) ، إن قُدّرت مفسّرة ، فإن كانت مصدرية ، فتقدر بالمصدر وهو مفرد ، والمفرد لا يخبر به عن ضمير الشأن ، فتخرّج هذه القراءة على كون أن مصدرية ، و(اني)معمول لمقدر ؛ أي : أعلم أني الله "[5] . وهكذا يمضي الكتاب .

❁❁❁❁

(٢) لعله يقصد شبه الجملة المكونة من الجار والمجرور (من غير سوء) .

(٣) ضياء السبيل ٢١١ .

(٤) يعني أبا حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط) .

(٥) ضياء السبيل ٢١٢ .

(٥)السراج المنير
في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير
للخطيب الشربينى ت ٩٧٧ هـ

هذا كتابٌ في التفسير أيضًا ، ألفه الخطيب الشربينى ، بعد أن فرغ من شرح (منهاج الطالبين) للإمام النووي ، وبعد إلحاح من تلامذته ليجعل لهم تفسيرًا وسيطًا ، بين الطويل الممل ، والقصير المخل ، فأجابهم إلى ذلك بعد رؤيةٍ طيبة شجعته .

وقد بين شيئًا من منهجه في خطبة كتابه ، إذ قال : " ... مقتصرًا فيه على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال ، وترك التطويل بذكر أقوالٍ غير مرضية ، وأعاريب محلها كتب العربية وحيث ذكرت فيه شيئًا من القراءات ، فهو من السبع المشهورات ، وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوة مداركها ، أو لورودها ولكن بصيغة (قيل) ليعلم أن المرضىّ أولها "(١) .

وقد وفى الخطيب بذلك ، فجاء كتابه وسطًا في حجمه ، وغزيرًا في فائدته ، سهل المأخذ ، ممتع العبارات .

و قد سار فيه سير من سبقه من المصنفين من ناحية الترتيب بحسب ترتيب المصحف ، وتميز عن كثير منهم برده للأحاديث الموضوعة التي راجت في فضائل سور القرآن (٢) ، غير أنه – من ناحية أخرى – سقط في فخ القصص الإسرائيلي الغريب ، فأورد منه الكثير ، دون أن يتعقبه بالتصحيح أو التوهين (٣) اللهم إلاّ ما يمس منه مقام النبوة ، فقد كان الخطيب ينبرى لإظهار بطلانه ولا يرضى لنفسه السكوت عليه (٤) .

---

(١) السراج المنير ١ / ٣ .

(٢) انظر على سبيل المثال ١ / ٢٦٥ و٣ / ٥٦٨ .

(٣) انظر على سبيل المثال ١ /٤٣ – ٤٤ .

(٤) كما فعل مع نبى الله داود عليه السلام ، انظر السراج ٣ / ٣٨٤ .

و قد اهتم الخطيب في تفسيره بالإعراب والنحو ، ولكنه لم يكثر من ذلك، ولم يدخل في تفاصيل لا حاجة له إليها في كتب التفسير .

و هو في إعرابه كثير النقل عن الزمخشري والبيضاوى ، ويعترض عليهما أحيانًا ، وقد ينقل دون أن يذكر المصدر الذي نقل عنه .

و من أمثلة نقده للبيضاوى قوله في ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (البقرة ٨٣/٢) : " قال البيضاوى : وهذا متعلّقٌ بمضمر تقديره (تحسنون أو أحسنوا) ، ويلزمه أن ﴿ إِحْسَانًا ﴾ في الآية منصوب على المصدر المؤكد مع أن حذف عامل المؤكد ممنوع أو نادر " [١]

والحق أن هذا ليس تقدير البيضاوى فقط بل تقدير الزمخشري أيضًا ، و" مسألة حذف عامل المصدر المؤكد لعامله فيها نقاش بين النحويين بالجواز والمنع " [٢].

و أما بالنسبة للقراءات ، فقد التزم الخطيب فيها بما شرطه في مقدمته ، فلا يروي منها غير السبع المتوترات ، ولا يكثر منها ، ويرفض نقدها ، ويتشدد مع من يجترئ على ذلك ، ولو بأخف العبارات [٣].

و الكتاب يغلب عليه الجانب القصصي ، ويهتم بالنكت التفسيرية ، وقد يورد بعض الإشكالات ويجيب عنها [٤].

كما يستطرد أحيانًا إلى ذكر الأحكام الفقهية ، ومذاهب العلماء وأدلتهم كما فعل في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ (البقرة ٢٢٩/٢) [٥].

---

(١) السراج المنير ١ / ٧٤ .

(٢) النحو وكتب التفسير ٢ /٩٨٣ .

(٣) كما فعل مع البيضاوى مثلاً ، انظر السراج المنير ١ / ٤٥١ .

(٤) انظر (التفسير والمفسرون) ١ / ٣٢٣ .

(٥) انظر السراج المنير ١ / ١٤١ .

كما كان شديد العناية بالمناسبات بين آيات القرآن [١] .

و بالجملة فالكتاب ليس في معاني القرآن بالمعنى الاصطلاحي ، إنما هو كتاب تفسير كشأن كتب التفسير المعروفة .

(٦) تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل
لأبى الحسن البكرى الصديقى (ت٩٩٣هـ)

بيّن المصنف في مقدمته لهذا الكتاب سبب وضعه فقال : " أحببت أن أكتب فيه اقتداءً بالسلف الماضين ، والأئمة المهتدين ، جامعًا وسيطًا لا مختصرًا ولا بسيطًا ، ليتضح به المرام ، ويتجلى به أسرار هذا النظام ،فقصدت لذلك متوكلاً على الله وملتجئاً إليه . ومستمداً مما لديه . وشرعت في هذا التفسير ملقبًا له (تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل)" [٢] .

و من خلال وصف المصنف لمنهج تأليفه يتضح أن هذا الكتاب في التفسير ؛ بل هو كتابٌ شاملٌ لكل المباحث التفسيرية " فقد اشتمل - بحمد الله - على بيان ناسخه ومنسوخه ، ومكيه ومدنيه ، وفرش القراءات العشر ، وإعراب ذلك ، وبيان المشكل على أصول الدين والحكم على مذهب الشافعي رضي الله عنه باختصار ، وبيان غريبه ، والخلاف فيه ، ومناسبة السور ، ومناسبة أول السور لآخرها ، والحروف المقطعة أوائل السور لها ، وكل اسم من أسماء الله تعالى للآية التي ذكر فيها ، واسم السورة لها ، والتعبير بالألفاظ المختلفة في الحال المتشابهة ، وعدد الآي والخلاف فيه ، ومبهمات القرآن ، وغير ذلك مما يلتزم من الفوائد الفرائد ، وجواهر القلائد" [٣] .

---

(١) انظر (التفسير والمفسرون) ١ / ٣٢٣ .

(٢) تسهيل السبيل ١ .

(٣) تسهيل السبيل ٢ .

و قد سار المؤلف على هذا التصور الذي وضعه ، فجاء الكتاب موسوعة في علوم القرآن بصفة عامة ، وفي التفسير بصفة خاصة .

و قد تعرّض المصنف فيه لأمور قلّ من تناولها قبله ، لأنها ظنية : مثل معالجة مناسبة الحروف المقطعة للسور التي وردت فيها ، فالحديث عن الحروف المقطعة كثير جدًا ، لكنّ الحديث عن هذا الملمح التفسيري الدقيق في مناسبة الحروف المقطعة لسورها نادر جدًّا !

و مع هذا نقول : إن استنباطات المصنف شخصية ، ربما لا يوافقه عليها كثيرون ، لعدم وجود مستندٍ لها من النقل أو اللغة ، وهي أقرب إلى ما يسميه الصوفية بالإشراقات والخواطر والكشف منها إلى التفسير المنضبط بالأدوات المعروفة .

فهو يقول في ﴿ الٓمٓ ﴾ في بداية سورة البقرة : " ومما ظهر لنا أنها أسرار تدلّ على معاني السور وتجمع جملتها فالألف تدل على الغيب والإحاطة ، لأنها غيبٌ في ذاتها ، إذ لا يمكن النطق بها وهي محيطة بسائر الحروف لانقلابها إليها ، وتولدها منها ، ومن الغيب ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ (البقرة ٢/ ٣) وأحوال الآخرة ، وغير ذلك مما ذكر فيها ، وهو سر الألف المنفرد القائم بنفسه ، واللام تدل على وسع الصلة في لطفٍ ، وأعظم الوصلات بين العبد وربه إقامة الصلوات ، وبين العبد والناس الإعطاء لهم ، فقال : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة ٢/ ٣) والميم تدل على تمام ظهور المثال الحسن ، وقد ذكر مما تم ظهور مثاله الحسن : هداية المتقين وخلق هذا العالم ، في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾ (البقرة ٢/ ٢٢) ونحوه ، فهو سر جامع ، ولذلك ناسبه قوله :(ذلك) إشارة إلى القرآن الذي يقرأه محمد ﷺ أو إلى سر الأسماء المقطعة ، أو إلى ما نزل منه ....." [1] .

---

(١) تسهيل السبيل ٣ .

والحاصل أن هذا الكتاب لا علاقة له بكتب معاني القرآن ، فهو ليس انتقائيًا ، وليس لغويًا ، وليست عنايته منصرفة إلى التراكيب ، وإنما إلى مجموع المباحث التفسيرية ، من أسباب نزول ، وناسخ ومنسوخ ، ومكي ومدني ......إلخ .

(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ت ١٢٧٠ هـ

هذا الكتاب موسوعة تفسيرية كبرى ، أودع فيها المصنف جميع علومه ومعارفه التي أفنى عمره في تحصيلها .حتى أخرجه للناس جامعًا لخلاصة كل ما سبق من التفاسير المعتبرة.

و قد بدأ الكتاب بمقدمة أوضحت سبب تأليفه له ، حيث رأى في بعض ليالي الجمعة من شهر رجب سنة ١٢٥٢ هـ ، أن الله جلّ شأنه أمره بطي السماوات والأرض ورتق فتقها على الطول والعرض ! فرفع يدًا إلى السماء ، وخفض الأخرى إلى مستقر الماء . ثم انتبه من نومه وهو مستعظم لتلك الرؤيا ، فجعل يفتش لها عن تعبير ، فرأى في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير ، فشرع فيه ، وكان عمره إذ ذاك أربعًا وثلاثين سنة حتى أتمه عام١٢٦٧هـ بما يعنى أنه مكث في تأليفه حوالي خمس عشرة سنة ! [١] .

و يسير المصنف في كتابه - كشأن أهل التفسير - من بداية القرآن إلى نهايته متناولاً كل آية ، ومتعرضًا لكل لفظة . بتحليل نحويٍ واسع ، يكاد يخرج به عن كونه كتاب تفسير ، ومنهجه - بصفةٍ عامة — أقرب المناهج إلى منهج أبى حيان الأندلسي في تفسيره الشهير (البحر المحيط) .

و نستطيع أن نحدد ملامح ذلك المنهج في النحو والقراءات فيما يلي:

---

(١) انظر مقدمة تفسير (روح المعاني) .

١) غلبة المذهب البصري عليه والتزامه به في مسائل الخلاف ، مثل تضعيفه القول بزيادة الواو[١] ، وتضعيفه حذف الموصول ....إلخ ، وتقريره حذف الموصول على مذهب البصريين[٢] .

٢) الإكثار الشديد من مسائل النحو والإعراب ، والتخريجات والأقوال ، ولذلك شواهد كثيرة في تفسيره الضخم ، ولكن نختار منها هذا النموذج القصير - نسبيًا - فقد قال في قوله تعالى : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ (البقرة ٢/٣٥)...حيث ظرف مكان مبهم للظرفية ، وإعرابها لغة بنى فقعس ، ولا تكون ظرف زمان خلافًا للأخفش، ولا يجزم بها دون (ما) خلافًا للفراء ، ولا تضاف للمفرد خلافًا للكسائى ، ولا يقال : زيد حيث عمرو ، خلافًا للكوفيين ، وتعتقب عليه الحركات الثلاث – مع الياء والواو والألف – ويقال :حايث على قلة – وهى هنا متعلقة بـ (كلا) ، والمراد العموم لقرينة المقام ، وعدم المرجح أي مكان من الجنة"[٣] .

هذا النموذج يبين كيفية تناوله لقضاياه النحوية ، وهو نموذج في غاية الاختصار إذا ما قيس بغيره ، فلو أنك انتزعت ما كتبه عن (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) وأصدرته في رسالة خاصة – كما فعل الزجاج من قبل[٤] – لكان ذلك – وحده – مرهقًا للقارئ أيما إرهاق ؛ بسبب كثرة الاستطرادات والنقول والشواهد !

---

(١) انظر روح المعاني ٤/٦١ ، و٨٠ .

(٢) انظر مثلا روح المعاني ٥/٤٦ ، و١٨/٢٣٠.

(٣) روح المعاني ١/٢٣٤ .

(٤) طبع كتاب الزجاج تحت عنوان (الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم) بتحقيق الدكتور محمد البلاسي ، وبتحقيق الدكتور عبدالفتاح سليم أيضاً .

" فقد تجاوز الألوسي الحد المعقول في ذكر الخلاف النحوي ، والاستدلال عليه تاييداً وردًّا بأدلة مختلفة تجمع بين النحوي والعقلي والصوتي "[1] .

٣) كثرة مصادره ، ونسبة الأقوال إلى أصحابها — في الغالب - ويلاحظ أنه ينقل كثيرًا عن أبى حيان بالتصريح باسمه ، وفي مواضع قليلة بغير تصريح . وإذا نقل عن تفسير أبى السعود يقول - غالبًا — قال شيخ الإسلام ، وإذا نقل عن تفسير البيضاوى يقول — غالبا — قال القاضي ، وإذا نقل عن تفسير الفخر الرازي يقول - غالبًا — قال الإمام ، وهو ذو شخصية متميزة حاضرة ، فكثيراً ما يبدي رأيه بحرية فيما ينقل ، وقد يعترض على الأئمة الفحول[2] .

٤) التوسّع في إيراد القراءات — متواترة وشاذة - وتوجيهها ، والدفاع عنها ، كما فعل أبو حيان في (البحر المحيط) ، وهو " يجعل من التواتر حجر الزاوية في دفاعه عنها وثلمه ناقدي بعضها ، ويعتمد آراء أبى حيان وابن مالك في تجويز المسائل النحوية التي منعها النحويون القدامى ، وأقاموا نقدهم على هذا المنع ، مثل إدغام الراء في اللام في قراءة أبى عمرو ، والعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار ، وهو واضح الاعتماد فيهما على أبى حيان ، ومثل الفصل بين المضاف والمضاف إليه في قراءة ابن عامر.."[3] .

٥) استخدام الإعراب — أحيانا — في تقرير الأحكام الفقهية ، واظهار مذهبه الحنفي ، كما فعل مثلاً في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾

(١) النحو وكتب التفسير ٢/١٠٣٤ .

(٢) انظر (التفسير والمفسرون) ١/٣٣٦ .

(٣) النحو وكتب التفسير ٢/١٠٤٠ .

(البقرة ٢/٢١٧) حيث ساق الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة ، في إحباط العمل بالارتداد ، ورجح رأى إمامه أبى حنيفة عن طريق استعماله للتحليل النحوي للآية [١].

بل إنه كثيرًا ما يستخدم ذلك الأسلوب للرد غلى الفرق الضالة عن عقيدة أهل السنة والجماعة فقد نقد كثيرًا من آراء المعتزلة والشيعة ، وآراء مفسريهم ، وتأمل مثلاً قوله "... فلا تهولنك جعجعة الزمخشرى وقعقعته " [٢].

هذا عن منهجه النحوي ؛ أما منهجه العام في تفسيره ، فهو كبقية التفاسير ، يتعرض لأسباب النزول ، ويعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور والآيات ، وإن كان يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية ، ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة وينقد ما لا يرتضيه منه [٣] ومن محاسن تفسيره حملته الشديدة على الإسرائيليات والأخبار المكذوبة ، وسخريته ممن يوردها من المفسرين [٤].

كما تعرض الألوسي للتفسير الإشاري ، بعد ذكره كل ما يتعلق بظاهر الآيات ، ولكن لم يقصد لذلك إلاّ بصورة عارضة .

و خلاصة القول أن (روح المعاني) موسوعة تفسيرية شاملة ، وهو جهد جبّار قلّ نظيره ، لكنه ليس من كتب معاني القرآن بالمعنى الاصطلاحي .

---

(١) انظر روح المعانى ٢/١١٠ – ١١١ .

(٢) روح المعانى ١/١٦٠ .

(٣) انظر مثلاً روح المعانى ٢٣/١١ ، ٢٨/١٢٥ – ١٢٨ .

(٤) انظر مثلاً روح المعانى ٦/٨٦ – ٨٧ ، ١٢/٤٥ .

ثانيًا : التفسير بالمأثور

(١) نهج البيان عن كشف معاني القرآن
لمحمد بن الحسن الشيباني (المتوفى في القرن السابع الهجري)

قدم المصنف لكتابه هذا بثلاث مقدمات :

أما الأولى – وهي كبراهنّ – فقد ذكر فيها أن سبب تأليفه للكتاب يعود إلى إلحاح الفضلاء والعلماء عليه وفي هذا "من الذكر الجميل ، والثواب الوافي الجزيل "[(١)] ، ثم شرع في بيان منهجه تفصيلاً ، فقال : " وكنت إذا وقفت على كثير من أقوال المفسرين من السلف الصالح ، والأنموذج الراجح ، فرأيتها مختلفة غير متفقة ، ومتباينة غير مؤتلفة ... فألغيت ذلك وحكيت من أقوالهم و سيرهم ما يقلّ الخلاف فيه ، وتحصل الفائدة به لك ، وللقارئ النبيه ، وذكرت في ضمن ذلك بعض ما ورد عن أهل البيت - عليهم السلام - من الوفاق لهم ، وأومأت إلى وجه الدليل في بعض ما اختصوا به وخولفوا عليه . فذكرت جملة من الناسخ والمنسوخ ، وجملة من العبادات الشرعية ، والأحكام النبوية المذكورة في القرآن المجيد على مذهبهم - عليهم السلام - وذكرت جملة من أسباب النزول ، وكلام أهل اللغة المنقول ، .... وأعرضت عن كثير مما يُعلم معناه من ظاهره ، ولم أتعرض للنحو والإعراب والتصريف والاشتقاق والقراءات ، إلاّ اليسير مما استحسنته واخترته ، لأني رأيت الشروع في ذلك يؤدى إلى الإسهاب والإضجار ، وكان غرضي في هذا المختصر تجنب الإطالة والإكثار، ولا تعرضت فيه لشيء من البواطن والأسرار ، لبعض ما ورد عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار ، والصحابة الأخيار " [(٢)] .

لأن المؤلف من الشيعة الإمامية لم يكن غريبًا أن يقول عن أهل البيت :

---

(١) نهج البيان ١/٦ .

(٢) نهج البيان ١/٧ .

" فهم -عليهم الصلاة والسلام - أهل التقى وأهل الهدى والبيان والتفسير ، فلا يهتدى لمعانيه المودعة فيه إلا النبي وآهل بيته الطاهرون الأئمة ، قولهم حجّة كقوله ، وآفعالهم قدوة كفعله ، فهم أمناء الله في آرضه وبلاده ، وهم حججه على عباده ، فمن ادعى أسرار القرآن العزيز سواهم كان كاذبا "[١] .

أما المقدمة الثانية فقد خصصها المصنف للحديث عن عدد الكتب التي آنزلها على رسله عليهم السلام، وعن عدد سور القرآن وعدد آياته وحروفه، مشيرًا إلى الخلاف في ذلك كله[٢] .

أما المقدمة الثالثة التي جعلها بعنوان (مقدمة آخرى يحسُن تقديمها) فقد أوضح فيها المصنّف معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ، والخلاف المعروف في هذا[٣] .

و بهذه المقدمات الثلاث مهّد المصنف لموضوعه بثلاثة فصول[٤] : أولها (في ذكر اشتقاق القرآن ومعناه) ثانيًا : (فيما يشتمل عليه القرآن العزيز) ، والثالث خصصه للحديث عن بعض علوم القرآن ، مثل العام والخاص والناسخ والمنسوخ ......إلخ .

ثم بدأ المؤلف موضوعه بتفسير الاستعاذة ، ثم البسملة ثم فاتحة الكتاب على الترتيب المصحفي المعهود إلى نهاية القرآن .

و هو في تعّرضه للآيات لا يترك إلاّ ما كان معناه ظاهرًا ، كما قال فى مقدمته الأولى التي أشرنا إليها آنفا ولذلك فإنه لم يترك إلاّ القليل .

الاستشهاد :

عُنى الشيبانى كثيرًا بالاستشهاد في كتابه ، وجاء الاستشهاد بالآيات

---

(١) نهج البيان ١/٩ .
(٢) نهج البيان ١/١٦ .
(٣) انظر نهج البيان ١/٢١ .
(٤) انظر نهج البيان ١/٥٢ – ٥٣.

القرآنية قليلاً ، ربما لأن المصنف اشترط في مقدمته على نفسه ألا يتعرض للقراءات تجنبًا للإطالة .

ومن أمثلة ما استشهد به من القرآن قوله في تفسير : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة ٢/٣٧) ... " روى أن الكلمات التي تلقاها آدم وحوّاء – عليهما السلام – هي التي علمها جبرائيل عليه السلام فدعوا بها وتابا ، فقبل الله توبتهما ، وهي : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ "[1] (الأعراف ٧/٢٣)

أما الاستشهاد بالآثار والحديث فعزيز جدًا ، ويبدو الشيباني فيما ينقله شيعيًّا معتدلاً ؛ إذ يجمع بين الاستشهاد بأقوال أئمة أهل البيت ، وأقوال أئمة أهل السنة المعروفين ، وإن كان يرجّح عند الخلاف في غالب الأحيان أقوال الشيعة ، وفي بعض الأحيان لم يكن يورد من أقوال أئمة أهل السنة إلاّ ما يوافق مذهبه ومن أمثلة ما استشهد به الشيباني من الحديث قوله في تفسير ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة ٢/٤٠) : " إسرائيل : هو يعقوب بن إسحاق – عليهما السلام – وسُميّ إسرائيل لأنه كان كثير الإسراء بالليل ، وروى في الحديث : أن (إل) و(ايل) من أسماء الله بالسريانية ، فكأنه عبد الله وعبيد الله "[2]

و أما استشهاده بآثار الصحابة فيكاد يكون أكثره بابن عباس رضي الله عنه بالإضافة إلى عليّ رضي الله عنه بالطبع .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾ (الطور ٥٢/٢١) يقول : "عن ابن عباس رحمه الله قال : إذا دخل المؤمن الجنة وله ذرية

---

(١) نهج البيان ١/٦٦ .

(٢) نهج البيان ٢/١٥ .

مؤمنة دخلت الذرية بإيمانه ، ينزلون منازل آبائهم" [١]

و أما آثار التابعين فمن أمثلتها ما نقله في تفسير الآية السابقة ، يقول : " ابن جريج ومجاهد قالا : هم الذين لم يبلغوا الحلم ينزلون منازل آبائهم . أبو روق عن الضحاك قال : ... يلحق بهم ذرياتهم الصغار ، ولا ينقص من ثواب الآباء شيء . وروى عن الصادق عليه السلام أنه قال في تفسيرها : هو الرجل المؤمن تصيبه الشهادة والسعادة ، ويكون له وُلد على منهاجه لم يبلغوا مبلغه ، فيلحقهم الله به "[٢]

أما الاستشهاد بالشعر فنادر جدًا ، إذ لا يوجد منه إلاَّ أبيات تعدّ على أصابع اليدين ، وهكذا يتبين أن هذا الكتاب من كتب التفسير بالمأثور ، وليس من كتب معاني القرآن بالمعنى المعروف .

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل
للخازن (ت٧٤١هـ)

هذا كتابٌ في التفسير ، اختصره مؤلفه من معالم التنزيل للإمام البغوى، وزاد عليه شيئًا من تفاسير من تقدم عليه .

و للكتاب خطبة طويلة ، ذكر فيها المصنف سبب وضعه له ، ومنهجه فيه، نقتطف منها قوله : " ... لما كان هذا الكتاب [٣] كما وصفت ، أحببت أن أنتخب من غرر فوائده ، ودرر فرائده ، وزواهر نصوصه ، وجواهر فصوصه ، مختصرًا جامعًا لمعاني التفسير ، ولباب التأويل والتعبير ، حاويًا لخلاصة

(١) مجمع البيان ٢/١٣١ .   (٢) مجمع البيان ٣/١٤٥ .

(٣) يعني كتاب (معالم التنزيل) للبغوي ، وقد طبع بدار المنار بمصر عام ١٣٤٥ هـ .

منقوله ، متضمنًا لنكته وأصوله ، مع فوائد نقلتها ، وفوائد لخصتها من كتب التفسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ، ولم أجعل لنفسي تصرفًا سوى النقل والانتخاب ، مجتنبًا حد التطويل والإسهاب ، وحذفت منه الإسناد، لأنه أقرب إلي تحصيل المراد .... ثم إني عوضت عن حذف الإسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به .... وينبغي لكل مؤلفٍ كتابًا في فن قد سبق إليه ، ألا يخلو كتابه من خمس فوائد : استنباط شيء إن كان معضلاً ، أو جمعه إن كان متفرقًا ، أو شرحه إن كان غامضًا ، أو حسن نظم وتأليف ، أو إسقاط حشو وتطويل ، وأرجو ألا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت ..." [(١)] .

ثم قدمّ المصنف لتفسيره بخمسة فصول تمهيدية : الفصل الأول : في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه ، الفصل الثاني : في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ، ووعيد من أوتى القرآن فنسيه ولم يتعهده ، الفصل الثالث : في جمع القرآن وترتيب نزوله ، ومعنى نزوله على سبعة أحرف ، الفصل الرابع : في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك ، الفصل الخامس : في معنى التفسير والتأويل .

ثم شرع الخازن بعد ذلك في التفسير على الترتيب المصحفي المعهود ، ولم ألحظ اهتمامًا منه باللغة أو النحو ، أو البلاغة والبيان .

و نستطيع القول إن الخازن قد اختصر كتاب البغوى ، ولكنه لم يلتزم بما ألزم به البغوى نفسه ، من الإعراض عن الروايات الموضوعة والإسرائيليات[(٢)] ، بل إن الخازن قد سعى لجلب هذه الإسرائيليات من تفسير الثعلبي ، وشحن بها تفسيره ، وإن كان – في أحيان نادرة – يعقب عليها ويبين تهافتها .

---

(١) مقدمة الخازن بتصرف يسير .

(٢) ومع ذلك فإن البغوي أفلتت منه بعض الإسرائيليات، انظر مثلاً معالم التزيل ١/ ٦٠٤ – ٦٠٩

ويمكن أن نجمل أهم ما انصرفت إليه عناية الخازن في تفسيره في أمور ثلاثة :

أولا : القصص التاريخي

وقد توسعَ فيه الخازن توسّعًا كبيرًا ، إلى حد أنه كان يجمع فيه بين الغث والسمين ويكثر من الإسرائيليات كما أسلفت ، وربما مرّ الخازن بقصص تخل بمقام النبوة دون أن يعقب عليها بشيء ، كما فعل مع أيوب عليه السلام [1] ، أو يذكر قصصًا عجيبة يمجها العقل والشرع ، كما فعل مع أصحاب الكهف [2] .

وكان يعقد أحيانًا – في أثناء تفسير آيات تتعلق بالغزوات – بابًا خاصًا بالغزوة التي يتعرض لها ، كقوله مثلاً : " ذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب " [3] .

ثانيًا : الأحكام الفقهية

فقد كان الخازن يستطرد كثيرًا في حديثه عن آيات الأحكام ، إلى ذكر مذاهب الفقهاء وأدلتهم ويعقد لذلك فصولاً في بعض الأحيان ، كما فعل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ (البقرة ٢/٢٢٩) حيث قال : (فصل في حكم الخلع ، وفيه مسائل) ثم تحدث عن ثلاث مسائل ، الأولى : فيما يباح من أجله الخلع ، والثانية في جواز الخلع بأكثر مما أعطاها وعدم جوازه ، والثالثة : في اختلاف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق [4] .

وكذلك فعل عند تفسيره لقوله تعالى﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ

---

(١) انظر لباب التأويل ٤ / ٢٥٠ – ٢٥٤ . (٢) انظر لباب التأويل ٤ /١٦٠ – ١٦٥ .

(٣) لباب التأويل ٥ / ١٩٣ . (٤) انظر لباب التأويل ١ /١٩٣ -١٩٤ .

تربص أربعة أشهر ﴾ (البقرة ٢/٢٢٦)[١]، وقوله : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ (البقرة ٢/٢٢٨)[٢]

وعند تفسيره لآية الظهار في أول سورة المجادلة [٣]

ثالثا : الترغيب والترهيب

أكثر الخازن أيضًا من المواعظ والرقائق ، بسبب نزعته الصوفية ، التى أثرت فيه فجعلته يقتنص الفرص فى تفسيره ليسوق أحاديث الترغيب والترهيب ، ومن ذلك ما فعله عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ (السجدة ٣٢/١٦)حيث عقد فصلاً بعنوان (فصل في فضل قيام الليل والحث عليه) ذكر فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ "[٤].

على أية حال فالكتاب لا علاقة له بمعاني القرآن ، وإنما هو كتاب فى التفسير لا يعتمد المنهج اللغوى فى التحليل بل أكثر اعتماده على المأثور .

❁❁❁❁

(١) انظر لباب التأويل ١ / ١٨٧ .

(٢) انظر المسائل الأربع التي تحدث عنها الخازن عند تفسيره لهذه الآية ١ / ١٨٩ .

(٣) أورد الخازن فى أحكامها ثمانى مسائل فى كتابه ٦ /٣٩ – ٤٠ .

(٤) انظر لباب التأويل ٥ / ١٨٦ – ١٨٧ .

ثالثًا : التفاسير المختصرة

(١) المختصر الموضح في معاني القرآن وكشف مشكلات الفرقان لأبي خلف عبد العزيز المرزباني (من علماء القرن الرابع)

تبدأ مخطوطة هذا الكتاب بذكر اسم سورة مريم عليها السلام ، وبيان أنها مكية ، ثم البسملة ، ثم تفسير (كٓهيعٓصٓ) .

و لعلّ في النصف الأول المفقود من المخطوطة مقدمة تبين سبب التصنيف ، أو منهج التأليف ، غير أن القارئ لهذا الجزء الموجود من المخطوطة الذي يبدأ – كما ذكرت آنفا - بسورة مريم ، وينتهي بسورة الناس، لا يخفى عليه منهج المرزباني في كتابه هذا .

فالكتاب واضحٌ أنه كتاب تفسير ، يفعل كما تفعل تلك الكتب ، لا يكاد يشذ عنها في شيء ، أو يتميز عنها بشيء ! ولغته قريبة سهلة، وأسلوبه واضحٌ مفهوم .

و منهجه أقرب إلى منهج الجلالين في تفسيرهما المختصر الميسر ، وإن زاد المرزباني عنهما شيئًا من الاستطراد والتوسع أحيانًا ، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسيره : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم ١٩/٥٦) : معروفًا بالصدق في المقال والفعال ، (نَّبِيًّا) من أنبياء الله " ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم ١٩/٥٧) في الرتبة والمنزلة عند الله وعند الناس ، يقال رفعه الله إلى عليين، حتى رأى النجوم في أماكنها ، وعلمه علم النجوم ، ويقال : رفع إلى السماء الرابعة ، ثم أدخل الجنة ، فهو الآن في الجنة "[1].

و هكذا يسير المرزباني في تفسيره ، لا يترك كلمة دون تفسير ، وإن كانت واضحة ، وطريقته في الشرح هي ذكر المرادف للفظ غالبًا ، وربما يخرج

(١) المختصر الموضح ٤ .

عن ذلك أحيانًا كما يتضح من المثال المذكور .

أما الإعراب ، والقراءات ، والتحليل اللغوى ، فأمور لا وجود لها فى هذا التفسير تقريبًا .

بل إن المرزبانى لا يكاد يذكر أحدًا من العلماء المتقدمين أو المتأخرين في كتابه هذا ، وإن دعته الضرورة إلى ذكر أقوال العلماء ، ذكرها دون نسبةٍ لأصحابها بأن يصدرها بكلمة : (قيل) أو (يقال) ، إلا في مواضع نادرة تعد على أصابع اليدين ، منها ما ذكره عند تفسير (كٓهيعٓصٓ) حيث قال : " قال ابن عباس : ثناء الله على نفسه ، فكاف من كافٍ ، وهاء من هادٍ وياء من حكيم ، وعين من عالم ، وصاد من صادق ..."(١)

و ليس في الكتاب – فيما رأيت – بيت شعر واحد ، ولا حديث نبوي إلا إذا كان فى معرض ذكر أسباب النزول ، كما فى ذكر أسباب نزول سورة المسد التى يسميها المؤلف – كعادة القدماء – (سورة تبت)، حيث يقول: "وسبب نزول السورة أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء ٢٦/٢١٤) أمر عليًا ؓ أن يشترى رجل شاةٍ ، ويطبخ لهم طعاماً ودعا بقدحٍ من لبن ، ثم أرسل إليهم ، فدعاهم كلهم ، فاجتمع عنده ناسٌ كثير ، فقال: أما إني لكم نذير مبين ...."(٢)

و نخلص من هذا أن هذا الكتاب لا علاقة له بكتب معانى القرآن بالمعنى الاصطلاحي المعروف وليس في مشكل القرآن بالمعنى الاصطلاحي أيضًا ؛ فعنوانه لا يدل على مسماه .

---

(١) المختصر الموضح ١ .

(٢) المختصر الموضح ٢٤٤ .

(٢) ردّ الأذهان إلى معاني القرآن
لأبي بكر محمود جومي (ت ١٩٩٥ م)

هذا كتاب لمؤلف معاصر ، بدأه بمقدمةٍ قصيرة ، بين فيها سبب وضعه للكتاب ، حيث يقول : " كثيرًا ما قرأت كتب تفسير القرآن الكريم ما بين مطوّلٍ ومختصر ... ثم رأيت أنه مع كثرة تلك الكتب نحتاج اليوم إلى تفسير وجيز يبين معاني القرآن على وجهٍ يمكن تفهمها والعمل بها فإن كثيرًا من القصص التي أُدخلت في تفاسير القرآن أذهلت العقول ، فجعلت الناس يقرءونها للتفكه بها لا للعمل بما جاء به القرآن من العبر والمواعظ والشرائع وربما أدى ذلك إلى نسب ما لا يجوز شرعًا أو عقلاً إلى الله والأنبياء والملائكة والصالحين ، أو غير المعنى المقصود ، مع أن القصص كلها تعاليم ، وتكريرها لغرض يقتضيه المحل ، وتطويلها أو تقصيرها لتوضيح الغرض الذى تعالجه السورة " [(١)].

كما بين المؤلف بإيجاز – فى تلك المقدمة – منهجه فى تصنيفه فقال : " مقتصرا على رواية حفص بن سليم بن المغيرة الأسدي ، من قراءة عاصم بن أبى النجود ، لانتشارها ، ولأن سندي بها متصل بالنبي ﷺ شيخي العلامة سعدى ياسين وسنده المشهور ، وربما أشير إلى رواية أو قراءة لاحتياج المحل وعلى مشهور مذهب مالك ، وربما أشير إلى مذهب غيره ، وعلى ما لابد منه من العلوم العربية ، والقصص ، وسميته (**رد الأذهان إلى معاني القرآن**) "[(٢)].

و الكتاب يقع فى جزءين كبيرين ، ولكنه طبع بهامش المصحف ، كتفسير الجلالين المعروف ، وإن كان (رد الأذهان) أكبر فى حجمه كثيرًا من الجلالين .

---

(١) رد الأذهان ١ /٣ .

(٢) رد الأذهان ١ /٢٩ .

وهو فى الحقيقة كتاب تفسير كامل ، يبتدأ بتفسير سورة الفاتحة وينتهي بسورة الناس ويفسر القرآن كلمة كلمة ، لا يكاد يترك منه شيئًا ، حتى الكلمات الواضحة غير العربية ، كقوله : " المسجد الحرام أى : الكعبة "(١) ويبدأ – عادة – بذكر اسم السورة ، وهل هى مدنية أو مكية ، والخلاف في ذلك إن وجد ،ثم يذكر موضوعها الرئيسي بإيجاز ،ثم يستعرضها آية آية كشأن أكثر المفسرين.

الكتاب يتعرض للنحو واللغة على وجه عارضٍ غير مستقصٍ كشأن أكثر كتب التفسير المختصرة ، وكذلك الظواهر اللغوية فيه نادرة ، ولأن المصنف قاضٍ – بل رئيس قضاة نيجيريا – فى عصره ، فالكتاب يغلب عليه النزعة الفقهية ، وتقرير الأحكام الشرعية .

و تفسيره يغلب عليه الاستشهاد بالمأثور ، ففى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ (الأنفال ٢٥/٨) يقول ابن عباس : أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين آظهرهم فيعمهم الله بالعذاب ، فيصيب الظالم وغير الظالم "(٢) وهو فى الغالب لا يبين أين ينتهي الأثر الذي يستشهد به ، بل يكون كلامه مختلطًا مع الأثر بلا فاصل ، ففى تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾ (يونس ٢٤/١٠)يقول المصنف : " قال قتادة : إن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ، ووجه التمثيل أن غاية هذه الدنيا التى ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذى لما عظم الرجاء فى الانتفاع به وقع اليأس منه ، ولأن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها "(٣)

---

(١) رد الأذهان ٩٥/١ . (٢) رد الأذهان ١ / ٢٣٠ . (٣) رد الأذهان ١ /٢٧٠ .

فلا تدرى من هذا النص أين ينتهي كلام قتادة وأين يبدأ تعليق المصنف إلاّ تخمينا ! وعلى كل حال فالكتاب جيد فى باب التفسير ، ولكنه ليس من كتب معانى القرآن بالمعنى الاصطلاحي المعروف.

(٣) البيان لمعاني كلم القرآن
لحسين محمود معوض

هذا كتاب فى مفردات القرآن الكريم ، بدأه المصنف بمقدمة يسيرة قال فيها : " وبعد ، فقد بدا لي أن أكتب فى معانى بعض كلمات القرآن الكريم مما تمسّ الحاجة إلى معرفة معناه"[١] ولم يزد المصنف فى بيان سبب التصنيف على هذا ! ثم أشار إلى صنيعه فى الكتاب ، فقال : " وقد ذكرت تفسيرًا موجزًا لسورة الفاتحة ، إذ الحاجة إلى ذلك واضحة ، فالمسلم يقرأ هذه السورة فى صلاته مرارًا وتكرارًا ، فلا أقلّ من أن يُلمّ بمعنى موجز لها ، وقد حاولت إبراز المعنى العام فى بعض المواطن التى جاءت بها الكلمات ، وكذا عددت كلمات كل سورة ، كما عددت حروف السور آيضًا ، فضلاً عن عد آيات السور"[٢] .

و الكتاب صغير الحجم ، رقيق العبارة ، يُفسّر الكلمة القرآنية ، بكلمة واحدة فى كثير من الأحيان ، أو بكلمات قليلة فى أحيان أخرى ، ويبدو أنه كتبه للناشئة ، أو للمريدين فالمصنف شيخ طريقة صوفية يريد تثقيف أتباعه، ومعظمهم من العوام .

فالكتاب إذن لا علاقة له بمعاني القرآن ، بالمعنى الذى اصطلحنا عليه ، فهو لا يتناول التراكيب ، وإنما المفردات ، وتفسيره ليس لغويًا ، وليس عنده من

(١) البيان لمعنى كلم القرآن ٤ .

(٢) البيان ٤ .

الشواهد إلا الشيء النادر الذى لا يكاد يذكر وليس عميقًا فى تتبع معنى الكلمة ، وأصل اشتقاقها ، لأنه في الغالب لا يفسر الكلمة إلاّ بكلمة أخرى ، وجلّ اهتمامه : ذكر عدد كلمات كل سورة ، وعدد حروفها ، لأنه رجل مربٍّ ، يريد أن يدلّ أتباعه على عظيم فضل الله لقارئ القرآن كما قال : " ولا أقل من أن يستشعر القارئ ما تفضل الله به من عظيم الثواب فى قراءة القرآن ، حيث ورد أن لقارئ القرآن بكل حرف عشر حسنات " (١) .

و ما يحمد للمؤلف الفاضل دقة اختيار العنوان ، فهو معبِّر عن محتواه تمامًا.

أمّا ما يؤخذ عليه ، فهو إغفاله لمصادره تمامًا، فلا يذكر عنها شيئًا !

انتهت بعون الله دراسة المنهج والمصادر
ويليها بإذن الله الدراسة الصوتية

(١) البيان ٤ .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٧
التمهيد	١٧
المبحث الأول : تحديد المصطلح	١٩
أولا : التراث	١٩
ثانيا : معاني القرآن	٢١
مفهوم مصطلح معاني القرآن	٢٥
ثالثا : في العربية	٢٧
رابعا : الدراسة صوتية دلالية	٢٨
خامسا : منهج الدراسة	٢٨
المبحث الثاني : حصر تراث معاني القرآن	٢٩
المبحث الثالث : بين معاني القرآن وكتب أخرى متشابهة	٦٣
بين معاني القرآن وكتب الغريب	٦٣
بين كتب المعاني ومشكل القرآن	٦٤
بين معاني القرآن وإعرابه	٦٥

الموضــوع	رقم الصفحة
بين كتب المعاني وكتب التفسير	٦٦
أهل المعاني	٦٨
المبحث الرابع : دواعي التأليف في معاني القرآن وبداياته	٧١
مجالس الخلفاء والوزراء	٧١
الانتصار للمذهب	٧٣
الحاجة إلى تفسير لغوي	٧٥
بداية التصنيف في المعاني	٧٧
مناهج المصنفين في معاني القرآن	٨٣
الفصل الأول : كتب خالصة في المعاني **أولا** : كتب في المعاني تزخر بقضايا النحو والإعراب	٨٧ ٩٠
معاني القرآن للأخفش الأوسط	٩٠
معاني القرآن للفراء	١٠١
معاني القرآن وإعرابه للزجاج	١١٦
الإغفال لأبي علي الفارسي	١٣٧
الفيض العميم في معاني القرآن العظيم للدمنهوري	١٥٧
ثانيا : كتب تقتصر على تناول المعانى	١٦٢
معاني القرآن الكريم للنحاس	١٦٢
إيجاز البيان للنيسابوري	١٧٧
صفوة البيان للشيخ مخلوف	١٨٤

الموضـــوع	رقم الصفحة
الفصل الثاني : كتب تجمع بين المعاني وغيرها	١٩١
الجمع بين المعاني والقراءات	١٩٤
معاني القراءات للأزهري	١٩٤
الكشف في نكت المعاني والإعراب لجامع العلوم النحوي	٢٠٤
مفاتيح الأغاني للكرماني	٢١٨
المختار في معاني قراءات أهل الأمصار الجمع بين المعاني والمشكل	٢٢٨
الجمع بين المعاني والمشكل	٢٣٦
باهر البرهان للنيسابوري	٢٣٦
الجمع بين المعاني وعلوم التفسير	٢٥٠
لوامع البرهان وقواطع البيان	٢٥٠
الفصل الثالث : كتب واهية الصلة بمعاني القرآن	٢٥٥
معاني القرآن المنسوب للكسائي	٢٥٨
تفسير معاني القرآن لأبي الحسن الطبري	٢٦٩
الإبانة عن معاني القراءات لمكي القيسي	٢٧٢
كشف المعاني في المتشابه من المثاني	٢٧٤
معاني القرآن بين الرواية والدراية للباقوري	٢٨٠
الفصل الرابع : كتب تفسير تحمل اسم المعاني	٢٨٣
أولا : التفاسير اللغوية	٢٨٦
عين المعاني في تفسير كتاب الله العزيز	٢٨٦

رقم الصفحة	الموضـــوع
٢٨٩	إيضاح البيان عن معنى أم القرآن
٢٩٠	الكفيل بمعاني أهل التنزيل
٢٩٣	ضياء السبيل في معاني التنزيل
٢٩٦	السراج المنير للشربيني
٢٩٨	تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل
٣٠٠	روح المعاني للألوسي
٣٠٤	**ثانيا** : التفسير بالمأثور
٣٠٤	نهج البيان للشيباني
٣٠٧	لباب التأويل في معاني التنزيل
٣١١	**ثالثا** : التفاسير المختصرة
٣١١	المختصر الموضح في معاني القرآن
٣١٣	رد الأذهان لجومي
٣١٥	البيان لمعاني كلم القرآن
٣١٧	**الفهرس**

انتهت بعون الله دراسة المنهج والمصادر
ويليها بإذن الله الدراسة الصوتية